

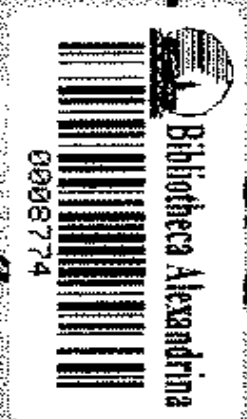
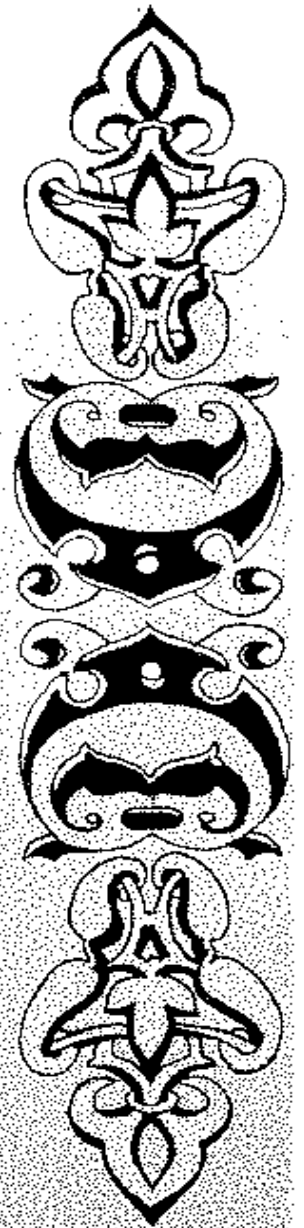
# أعلام الشعر العربي الحديث

أحمد زكي أبو سادي  
عبد العزيز الدشوقي

أحمد سوقي  
محمد مندور

بشارة الخوري  
أديب مروة

قدم له إيليا حاوي



مكتبات

المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت



العلم  
الشعر العربي  
الحديث

أحمد شوقي      أحمد زكي أبو شادي

بشارة الخوري

مكتبورات

المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت



أعلام الشعر العربي الحديث

الطبعة الأولى

١٩٧٠

مقتدرت





عندما كتب الناقد الفرنسي بيسار جان جوف في ذكرى شارل بودلير حرص على التأكيد بأن للشاعر قيمتين ، إحداهما اجتماعية والثانية شعرية ، وان كلاهما منها تتأثر وتؤثر في الأخرى ، بحيث كالتبسيان ، بعضاً ببعض ، والناقد لم يعنِ بالقيمة الاجتماعية الوعي الاجتماعي ومدى وقوف الشاعر على أزمة العصر ، بل أشار بذلك الى شخصيته الاجتماعية المتمثلة في الجاه والمقام وربها السلطة والتفوق . فالشاعر الذي ينعم بقليل أو كثير من ذلك قد يفى منه على شعره ، فلا يُقدَّر لك ، اوتد ، أن تدرك إذا كنت تأخذ الشعر بأخذه وعبارة ، أم أنك تقع فيه تحت وطأة صاحبه فتتغطم من شعره ما لا عظمت له وتثبوتُه من أجله ما ليس هو حقيقاً به . وقد يجري الأمر بنقيض ذلك في شأن شاعر بوهيميّ ،

رجيم ، لا يحفل بالمقامات الاجتماعية ولا ينضم بشيء منها ، فترى الناس  
'يحقرونه ، إذ دُوخِلَ على رَوْعهم به من قلة قدره وسوء حاله. فالحقيقة  
الشعرية قلما تخلُّص وتترك النقاء المطلق إذ تجدها ملتبسة بما  
دونها ، ولست تنفذ اليها ، الا بعد لاي شديد .

ومنذ مطلع هذا القرن برزت أسماء كثيرة في عالم الشعر ودوت أصداؤها  
وقرعت لها طبول الدعاية فتعلبت الجلبة والضوضاء على صوت الشعر  
فاختنقت همسته وتعشترجت

فماذا يعني ، مثلاً ، ان تنضم للشعر إمارة وتبايع عليها ؟ ذلك يعني  
أنك جعلت الشعر رديفاً للجاء ، أن تنطقه بغير صوته وأن تقيسه بتفسير  
عبارة وأن تجمله بوقاً للحماس ، بل ان مجد الشعر هو في ذاته ومملكته ليست  
من هذا العالم

وإذا وازنت شعر تلك الحقبة لتباينت قيمته ، بل وقتا قصت إذ انه  
لا يعدو في معظمه الافكار الموقمة عبر جلبة خطابية ، المموهة بالتأويل  
والصنوع الخرقاء ، المسفوحة بتراءات الغلو والتفشير . انه الشعر الطرقي  
الذي يلهيك ولا يفنيك ، يشيرك ولا يذيرك ، مختلفاً التجريبية في نوع  
من الانفعال الأصم . فهل ان الشعر هو نحالة من الاستجابة الحماسية الطائشة ،  
أم أنه معاناة جديدة تتوسل الانفعال لتتصل بالحقيقة وتحل فيها ،  
فتستحضرها ، بدلاً من أن تصيفها وتجزئتها وتمثر بأشلائها . لقد  
كان يخيّل للقوم ، حيناً ، أن مهمة الشعر تقتصر على المتعة او على تلك  
المشاركة الانفعالية العصبية . وقد بات يترجّع لنا اليوم ان غايته تتخطى  
ذلك كله ، بل انها لا تحفل به ، وتمعن فيما وراء الأشياء ، في ذاتها الثانية .

فلا شأن للانفعال ، قط ، بذته ، إذ أنه مَبْدُول في الناس ، قائم في طبيعتهم ، وإنشأ الشأن في اضاءته والنفاذ فيه واستطلاع ضميره ، فيكون سبيلاً لنا الى معانقة الحقيقة والحلول فيها .

أي من الناس لا ينفعل بالعدوان أو الحياة ، أيهم لا يثور لكرامته أو يحنق لاغتصاب حرّيته أو وطنه؟ ولقد يُفصحون عن ذلك بتعابير مُبتسرة عامة ، يشعرون معها ان انفعالهم ما زال أبكم لم يُفصح في شيء عن ذاته بل إنه اجهض في الهتاف والصياح وما اشبه .

أما الشعراء ، فمنهم من يُسَرِّج هذا الانفعال بأفكار يتسقطها تسقطاً ، في حالة عامة من الحماس ، وبعضهم يوغل فيه ويستبطنه ، فيعمق معاناتنا له ويدرك منه أبعاداً انسانية يُقصر عنها الانفعال العامي الهائج . الانفعال الشعري هو سبيل للكشف ، للمشاهد في الظلمة ، لنقل الأطياف النفسية المرتسمة على شاشة الذات الداخلية . وهو الذي يُزَعزِع أُطرَ الحسن ، وَيَحْرُجُ برودة العقل ولا مبالاته ، ويصل الى تلك الحالة التي تَخْلُقُ فينا يقين الحقيقة ، دون برهان أو بيّنة أو وصف أو اقناع . ولا بدع بعد ذلك في القول بان كل ما هو فكري مباشر ، غث ، وكل ما هو برهاني ، جدي ، وما هو تقريريّ ، ووصفي ، لا يلج الى حرم الشعر ولا يتصل بجوهره ، ان هو الا سقوطاً منه والمحدار من عالمه الى عالم الواقع المُتَحَجَّر . والشعر لا يسيغ ، كذلك ، التعليم والوعظ ، فضلاً عن الأحكام أكانت خُلُقِيَّة أم وطنيَّة لأنها من مظاهر الحقيقة الخارجية الزائفة .

وكي لا نُقيم في حدود التعميم والاطلاق نتمثل على ذلك بأبيات تُؤثّر من شعر تلك الحقبة وأبيات تعنى بمثل موضوعها من حقبنا . يقول شوقي في

القصيدة التي حثي بها دمشق ، فقد ان دخلها الافرنسيون ونكثوا بابنائها :

لحاما الله انباءً قوالَّتْ      على سمع الوليِّ بما يشقُّ  
يُفَصِّلُهَا الى الدنيا بريدٌ      ويجملها الى الآفاق برقٌ  
تكاد لروعة الأحداث فيها      تنخال من الخرافة ، وهي صدقٌ  
وقيل معالم التاريخ دُكَّتْ      وقيل أصابها تكلفٌ وحرقتُ

ثم يصف الهول من خلال ترويع النسم :

إذا رمى السلامة من طريق      أتت من دونه للموتِ طريقٌ  
بليلٍ للقذائفِ والمتنايسا      وراء سمائه خطفٌ وصمقٌ  
إذا عصفت الحديدُ احمرُّ أفقٌ      على جنباتيه واسودَّ أفقٌ  
سلي من راع غيدك بعد واهنٍ      أبين فؤاده والصخر فرقٌ

فالشاعر يعالج هنا انفعالاً وطنياً ، قومياً ، توصل له أساليب متباينة ، يطفو على الجنبها الانفعال الحماسي والايقاع الخطابي . ومنسد البيت الأول تراه يلحوا الأنباء لحوماً لفظياً ، إذ ان سماعها يشق على سامعها ، ومشقة السماع لا تقفي بغرض الإنفعال لحنوت دلالتها عما تقدمها وعمما يتوقعه القارىء إثرها ، وهي لفظة تقريرية ، ساكنة ، اقتضيت عليه بالاقافية . وحتى الآن لم ينير الشاعر انفعاله بل انه ما زال يضحخه ويهول فيه بالتهاويل اللفظية . ويرد فعلا : « يفصلها » للبريد ، و « يجملها » للبرق ، وقد عبّر عن حقيقة نشرية . ذلك ان رسائل البريد تفصل ، فيما توجز رسائل البرق . وقد كان التنويه بذلك تنويها بما لا طائل من دونه واقحاما لطفتيليات الواقع على الانفعال وتويها له بما يجاقبه ويصحبه

دون ان يَجْلِسُوهُ . اما ذكر البرق والبريد بذاتها فيتصل بالانفعال إذ يغالي فيه بالتعميم والاطلاق ، ومع ذلك ، فان الشعر الكبير يأنسف من ذكرهما لدنوّهما ويسر الأخذ بهما وعقم دلالتها . فأية جدوى من شعر يكذب ويوجد صاحبه ليؤدّي لنا في النهاية افكاراً مبدولة على ألسنة الدهماء .

\* \* \*

وتعني النثرعة التسهيلية في تَصَخُّمِها ، تعظّم من وقع الفاجعة ، دون أن توضحها ، مجازية حدود الانفعال العامي ، حينما يزعم أن تلك الانباء تفوق العقل الى الخرافة ، وانها لا تكاد تُصَدِّق . وقد اوقف الشعر بذلك عند حدود الغلو الذي تنامي فيما يلي بالألفاظ الكبيرة التي تنطوي بطبيعية دلالتها على المعاني الهائلة : « وقيل معالم التاريخ دُكَّتْ » . فلفظة التاريخ هي لفظة تهويلية تضخيمية ، تُغَرَّرُ بالقاريء وتُكْدَوِي في وجدانه بسل تَصَعُّدُهُ ، لكنها قلّما تتنفذ الى ضمير الحقيقة او تجلو بعض مكانها . والانفعال لبث ، الى الآن ، أصم ، يطغر طفرة خارج ذاته . ولا يعدو ذلك قوله :

رباعُ الخلدِ وَبِحَـكِّ ما دهاها أحمقُ\* أنها درّستُ أحمقُ\*

فرباع الخلد هي كالتاريخ من الألفاظ الكبيرة التسهيلية ، وهي تروّع وتعني كلّ شيء دون ان تعني شيئاً بالذات ، بل انها تنقل أقوالاً جارية في العرف بين العامة . فأبي\* من هؤلاء لا بقرن جمال الديار بالجنة ؟ وفضلاً عن ذلك كات ، فان الاشارة الى ربوع الخلد هو نُبوُّ عن سياق التجربة ومضمونها الجدّي اذ لا فرق في فاجعة الاحتلال والاعتصاب ان تكون البلاد جميلة كرباع الخلد أم

زربة قاحلة كرباع الطلل أو القفر ، اذ ان الشأن في ذلك ليس شأنًا ماديًا يقتصر أمره على تشويه معالم العمران والطبيعة ، وانما هو شأن إنساني في معنى الحرية والعدل ، في الذل والكرامة ، في المدنية والتوحش ، في الانسان الآكل للحم الانسان ، في قايين القاتل لآخيه آبيل ، ليخلو له العالم ويفرض عليه سيطرته الحقاء .

فما شأن ربوع الشام اذا كادت تطالعنا بجمال الخلد او بمثل عراء الجرد . ومع ان الشعر يصدر عن الحرية المطلقة في الرؤيا والتأويل ، وحرسته هي مبرر وجوده ، بل باعثه الدائم ، فان الشاعر هو مسؤول ، في النهاية ، عن الحقيقة ، وعن المعرفة ، ولا شأن للانفعال اذا لم يكن بصيراً يُهديه الى ما لم يبتدئ اليه سواه من أمرها ، أو اذا كان لا يميز بين الآتي العابر والدائم الجوهري . وانفعال الشاعر ضلّ سبيله فيما تقدم واخلب بالمظهر عن الجوهر ولم يقدر له ان يفطن لمعنى الحادثة في إطارها الانساني . وثمة بون نام بين أن يُحزنك المعنى الانساني للاشياء وان يخلبك مظهرها المادي الذي تحفل به العامة . فالكوخ الحقير يماثل القصر في معنى الحرية ، وكذلك فإن القاع الصفصف يُوازى الرياض القناء في المعنى الروحي النهائي . فما بال الشاعر يتسلب لبّ القارئ، ويُذهله عن انسانيته ويُسغله بالمظاهر الحسية التي تأخذ بروح البدائي .

وبذلك تغدو الطريفة صنواً للخطابية في التوسل بالألفاظ المدووسة الجوففة التي تخادع السامع وتوهمه ويجوز عليه برقُعها . أو ليس الخيمة النازح بل لخيمات النازحين في عصرنا ، بالرغم من هزال حالها ، من الأهمية الانسانية ما للقصور والقرى والمدن . وإنما لا تقسر الاعر بذلك انت يرى

برؤيتنا وانما نقتضيه الرصالة والعمق في الانفعال ، يجاوه لنا بل يجلو انفسنا لذاتها ، بدلا من انه يحفضه بترهات الغلو العصبية الطائشة .

وانك اذا أوغلت فيما دون ذلك لطالعك التقليد الغامض المكتوم عبر موقف الشاعر من الاشياء والمعاني . فالتجديد الشعري لا يقوم على الموضوع بل على اكتشاف المواقف والايعاد الانسانية الجديدة من قلبه ، بصورهسا الشاعر أو يؤدّي لها اداءها ، فتكون لنا سبيلا الى المعرفة الذوقية او الى الحقيقة الحضورية أي الماثلة والجامعة امامنا .

الشعر هو معرفة فيما وراء المعرفة ، إنها المعرفة الخالصة فينا بيغيبها ، المزيلة للمحدود بين الذات والموضوع ، والانسان وحقيقته ، والحياة بما فيها وما وراءها . وبكلمة موجزة إنها المعرفة الشعرية الطافرة من قساع الظلمة والغيب . الا انها لا تقل جدية عن أية حقيقة أخرى ، بل انه ليس من حقيقة سواها . وما دونها جميعا وهم والنحسار . وجميع ما يحتفل به الشاعر وينصرف اليه يؤول في النهاية الى هذا المآل ويقتصر على هذه القيمة . وهو اذ لم يطلع على بعد انساني جديد ردّد المعاني المتداولة في قلب الموضوع وتبارى بها عليه . لذلك عمد شوقي هنا الى الإثارة في عرض الموضوع بجانبه التقليدي ، بجانب الممار المتمثل في النساء الجميلات المروّعات :

واين دمي المقاصر من حجال مهتكت وأستار تشق

فهو قد حذّر فداحة الخطب بسامر النساء الجميلات كالدئس والتواتي 'مهتكت' من دولهن الأستار . ولم يكن العربي ، منذ الجاهلية يتمثل العار بما دون ذلك ، وقد ألحف النابغة به في معظم قصائده ، وانما تجزىء ببعضه لضرورة التمثيل :

لا أعرفن ربربا حوراً مدا معها      كان أبكارها نعاج دوار  
خلف العضا ريط لا يوقسن فاحشة      مستمسكات بأفتاب واكنوار

\* \* \*

او حرة كهياة الرمل قد كبلت      فوق المسعاصم منها والعراقيب  
تدعو قمعنا وقد عض الحديد بها      عض الثفاف على صم الأبايب

\* \* \*

وبيض ، غمرات ، تفيض دموعها      بمسكركه 'يدرينه' بالأامل

وفي هذه الابيات تكتس النابغة على العار اللاحق بالقوم من الغزو  
والهزيمة ، مثلاً النساء ، وقد واقمن المفتصبون بالفحش وقيد معاصم  
فيا اقمن على البكاء والاستغاثة .

وقد جرى شوقي بحرى النسابغة ومن اليه ، غير مبصير في اقتحام  
الفرنسيين على دمشق الا الوجه البدائي العامي الطافر أمام العيان ، واصفاً  
المرأة بأوصاف الجارية التقليدية في اشارته الى أصباغها وحجبها وأستارها ،  
وكأنه لا يرى فضيلتها الكبرى الا بها . وهنا ايضا بدا انفعال الشاعر  
قاصراً أمياً وتقليدياً في مظهرين على الأقل :

(١) في تمثيله للمرأة يجهلها وتروعه لتزع حجابها وستورها ، وهو لم يظن  
بذلك الى انسانيها . واذا كان البدائي في غلاظة طبيعه كان يبد  
المرأة فان الحضري بات يدرك أنها ام الخليفة ، وانها صنو الرجل ،



وليس أداةً للزينة والتبرّج . لذلك نقول ان الانفعال أجهض  
هنا بالمعنى والموقف التقليديين اللذين لا شأن لهما .

(٢) في اقتصاره على تجسيد فداحة الاحتلال بما أصاب المرأة وحسب ،  
فيما يمتد ويتطاول معناه الى ما هو انأى من ذلك ، الى الحق المخدول،  
والقوة البطاشة ، الى تقدم الانسان بالعلم وتخلّقه بالروح ، الى انتهاك  
معنى الحرية التي تتجسد في سيادة الشعب وما الى ذلك مما لا مجال  
للافاضة فيه . وربما ابتغى الشاعر من ذلك ان يستثير الدهاء الذين  
يقصرون الغار على ما يصيبهم من شأن المرأة . وقد استعار الاستشارة  
من الخارج وافتعلها بالافادة من نزوات سواد ، والشعر يؤثّر  
بالنشوة من دون النتزوة ، وبالكشف من دون الوصف . لقد  
استثار الناس بتقاليدهم وغرائزهم ، وهذه تستثار لذاتها بالأحداث .  
فروية المرأة وهي "تزجر وتقهّر" تثيرنا دون حاجة لشعر شاعر  
أو قول قائل .

وهكذا فان الشاعر لم يُعَدِّم الانفعال ، لكنه ساقه وانساق فيه بالحيدة  
والشدّة ، وأوقفه ووقف به عند حدوده المرسومة وأطره المعلومة . وإنّا  
اذ تلونا أخذنا به ، كأننا أخذنا بالصياح والهتاف ومشاهد الخراب والترويع ،  
وهي مطروحة على أديم المظاهر والأحداث ، ولم تتّمّرس معه بتجربة  
البطولة أو الحرية ، ولم نشاهد الأشياء في تخومها البعيدة ورؤاها الروحية  
حيث تكون حقيقتها الفعلية . نقول في مثل ذلك إن الانفعال ظلّ قاصراً  
عن الخلق والكشف ، لم يجلّ ولم يشجّل ولم ينفذ الى نهاية مطلقه في  
النفس .

ولنسرّ ما يتحوّله إثر ذلك :

إذا رمّنت السّلامة عن طريقٍ  
بليّ للقدائف والمنّاسيا  
وراء سماءه خطفٌ وصعقٌ  
إذا عصفت الحديد احمرّ أفقٌ  
على جنباته واسودّ أفقٌ  
سلي من راع غيدك بعد وهنٍ  
ابن فؤاده والصخر فرقٌ  
وللمستعمرين وان الأذوا  
قلوبٌ كالحجارة لا توقُّ

فالموت قد سدّ سبل النجاة من دونهن ، حيثما حاولن الفرار ، كما ان  
القدائف تغشى الأفق بالإحمرار من توهج نيرانها . فالموقف ما زال وصفيّاً  
سرديّاً والصورة واقعية وليست ابتداعية ، كما ان الخيال استحضّر ما تقع  
عليه العين ، دون ترجمة أو تأويل . ولا تعدو لفظة الموت ، هنا ايضاً ،  
الألفاظ التحويلية التي يعمد اليها الشاعر في وعيه المباشر ، ليدخل في روع  
القارئ ، حالة من الاستغراب والدهشة . وذكر الموت لا يقتضي كسداً أو  
جداً ، أو بُعداً وإنّما هي أبسط فكرة تستدارل بصدده هذا الموضوع .  
فالتاريخ والخلد ونارت هي من الألفاظ الإطلاقيّة التي يوفي منها الشاعر الى  
أقصى غاية الغلوّ والتعميم بفضيلة ما تنطوي عليه اللفظة بذاتها .

ومن هذه الصورة العامة نراه يتحدّر ، فجأةً ، الى الواقعيّة بدقائقها  
الجزئية ، ممثلاً توهج الأفق بمثل خطف البرق وصعق الرعد ، من تفجّر  
القنابل وتوهجها . ويجزي على هذا الفرار احمرار الأفق واسوداده ، حيث  
جثّم الشاعر أمام الاحداث ، فنقلها وحاكها باللفظ ، مبصراً فيها  
ما يبصر ، فاهماً منها ما يفهم ، معيداً الاشياء الى ذاتها . ولو شعر الانسان ،  
منذ البدء ، أن ما تتداوله حواسه وما يفهمه عقله يفني بفرض الحقيقة

كلّها ، لما كان ثمة مبرر للفنّ في وجوهه المتباينة . والشعر الكبير يعفّ  
عن أداء الأشياء بظهورها ، مع قليل أو كثير من التضخيم . وما يتنطلق من  
البصر ليعود إليه في حلق السّقط يُغفدُ الشعر وظيفته الإبداعية .

وخلصة القول ان شوقي وقّع المعاني في سياق نغمي هادر ، وتداول  
فيها صيغ متباينة من التساؤل والتعجب ، لكنّه اقام على حدود التقرير ،  
يعلمنا ما نعلمه في البداية ، يعزل المظاهر التي تشبهه ، حاشداً مغالبياً ،  
قوامٌ فنّيته اللّفظيّة الكبّري ، المهولة بطبيعة معناها ، والمشهد الحثي  
والافكار الشائنة في الموضوع والمطروحة في طريقه .

ولنتولّ ، الآن ، موضوعاً مشابهاً لشاعر معاصر ، فنتخذ مثلاً قصيدة  
السّياب في الجزائر التي نكتل الفرنسيون بابتائها كما نكتلوا بأبناء الشام .  
فهو يقول :

من قاع قبّري أصبحُ  
حقّ تننّ القبورُ  
من رجع صوتي وهو رملٌ وريحُ  
من عالم في حفرتي يستريحُ  
مركومةً في جانبيه القصورُ  
وفيه ما في سواهُ  
إلا دبيب الحياةُ  
حقّ الأغاني فيه ، حتّى الزهورُ  
والشمس الا أنّها لا تدورُ

والدردُ نَحْثَارُهَا فِي ضَرْبِجٍ  
مِنْ عَالَمٍ فِي قَاعِ قَبْرِى أَصِيحُ  
لَا تَبْأَسُوا مِنْ مَوْلِدِ أَوْ نَشُورِ

\* \* \*

وانك لتشعر ، توأ ، اثر قراءة هذه الأبيات ، ان طبيعة الانفعال غدت  
داخلية ، بعد ان كانت خارجية ، وان الصورة حلت محل الفكرة ،  
وار خطوط الوضوح وسياءه ، فضلا عن التقرير والتعليل والوصف والرصف ،  
انها ، جميعا ، قد زالت ، وتمدلت طبيعة الانفعال فيها ونفذ الشاعر الى  
اصفاح يشاهد فيها الحقائق التي لا تُشَاهَد ، يُبْصِر الطَّيِّفَ والشُّعُورَ ،  
وهي لا تبصر ، مجسداً المعاناة قبل ان تنقطع الى الافكار والأوصاف  
والالفاظ . ذلك ان عالم الحقيقة يُظَلِّمُ بقدر ما توغل فيه ، يُظَلِّمُ بالنسبة  
الى الحس والعقل ، لكنه يزداد وضوحاً بالنسبة الى النفس . واذا كانت  
الارتباطات المنطقية قائمة منتظمة في الابيات الاولى ، فان هذه الابيات  
تتوسل اللامنطق لتلج الى أعماق المنطق للنفس الانفعالي الذي يُخَضِّعُ  
ولا يُخَضِّعُ والذي يُبْدِعُ عالماً جديداً ، بدلا من ان يُدْعِنَ لعالم التقليد .  
فكيف يصيح صائح من القبر ، كما يزعم الشاعر ، والقبر هو مأوى الموتى  
الذين فقدوا القدرة على الصياح ؟ ان القبر لا يعني ذاته هنا ، كما ان دلالة  
لا تقوم على التشبيه او الاستعارة ، اي على الافتراض والايهام ، بل انها  
حقيقة فعلية أوفى اليها الشاعر من خلال موقف عام يقفه ويؤمن به بالنسبة  
الى الحرية . تلك حقيقة ثانية وراء الظاهر ، وهي مستمدة من أسطورة  
عريقة في الجاهلية ، تقول إن الميت إذا عُدرَ به لا يموت ، بل تخرج روحه

من رأسه بمثل طائر 'يدعى الصّدى' ، لا يزال بصيحه « اسقوني ، اسقوني » ، ولا يتروى الا من دسّاء تقاتل . هكذا تشعب انفعاله ، وامتدّ عبر الاسطورة ، ممثلاً واقع الظلم في مكان معين ، هو الجزائر ، وكلّ مكاتب وزمان من خلال ذلك الرّمز الاسطوري العميق . وكما كان وهوف شوقي عند حدود المرأة ، لتمثيل العسار ، مظهراً للتقليد والعقم ، فان تقمّص السيّاب لهذه الاسطورة تولّد من قدرته الاباء اعية على كشف الارتباطات التي توحد بين معاني الأشياء ورموزها ، من خلال مظاهرها المتناقضة . انها صيحة الثأر والدم ، وهي في فمه ، كما كانت في أفواه آلاف بل ملايين المظلومين عبر التاريخ . والقبر والصباح هما رمز الموت والحياة التي تأتي ان يصرعها الظلم ، فتنتصر عليه بالفعل الماورائي . فصوت الحريسة يُسمع حتى من أعماق حفرة الموت . هكذا سقط التشبيه وحلّ من دونه الرّمز ، وهو يسقط كذلك بقوله : « من رجع صوتي وهو رمل وريح » حيث جسّد بالرمل والريح الثورة العاصفة ، وخصّ الرمل لما ينطوي عليه بذاته من دلالة على بكاره البطولة العربية في صحرائها ، وألم بالريح لانها تنطوي على معنى الغضب ، وهو لم يفسّر ولم يعملّس ولم يُقترّر ، وانها شاهد صوته مشاهدة أو سمعه بالفعل في الرّيح والرمل . وقيمة ذلك كله أن المعاناة لم تستحيل الى أفكار واضحة ، مباشرة او إلى حكمٍ وعظيمة . فالشعر الحديث يتقمّص المظاهر الحسية من اطلاع على ضمائر المكتومة بالتأمل واحساسه بها في نوع من الصوفية التي تدعنا نفطن الى مرامٍ كامنة فيها . لا شك ان الارتباط الواقعي المنطقي زالت آثاره ، اذ لا نكاد نتمثل بوعي كيف يكون الصوت رملاً وريحاً والصوت يصدر عن الفم بالألفاظ ، وانما الشعر الخالق هو الذي يعثر على حقائق مُضمرة وأصوات لها معاني

الألفاظ وان لم يكن فيها لفظ . هنا الرمل لم يعد رملاً ، اي حبات سمراء  
شاخصة يجمود ، بل غدا رمزاً لنوع من المصائر القوية التي لا تلسين ولا  
تستكين لقوى الطبيعة . كما ان الرّيح لم تعد تعصف في الفيافي والطبيعة  
بل من الوجدان لتقتلع وتدمر وتبيد .

ربضي الشاعر في معانقة التجربة ، فتطالعنا القصور والأغاني والزهور ،  
وهي تتم على ان الجزائر يحميا كسواه في عالم متكامل مادياً . لا يعوزه  
حتى الثراء وحتى الطمأنينة وحتى السور ، الا ان ذلك كله لا يجديسه .  
فالقصور لا تدعه يركن إلى طمأنينة الترف والحول ، يتلهى بسماع أغاني  
الحياة ومشاهدة زهورها . كل شيء قائم في عالمه ، إلا ان شمس لا تدور ،  
اي ان حياته لا تجري وفقاً لسياقها . فالسياب لم يتحدث عن الحرية  
وطنية ، لم يستأها باسمها ، لكنه استحضر رموزها وبخاصة في الشمس  
الواجمة المتجمدة . ذلك عالم فيه ما في سواه ، بيد انه فاقد للحياة ، لانه  
فاقد للحرية . ثم ترد لفظة « الدود » لتدل على الهوان والذل وما الى ذلك  
من أحوال تصحب الظلم والعبودية . فهذا الشعر لا تستطع فيه الأفكار ، وما  
يتخلّص إليها منه ، لا يعدو البقايا والأشلاء الفاقدة للدلالة ، ذلك ان  
الشاعر يحميا من نفسه بمثل هذا العالم الذي تنيره شمس سوداء ، مظلمة ،  
جسامدة ، يدب عليها الدود ، وتقيم فيها القصور كالأطلال ، والزهور  
كالكليل المتوتى .

فما هو الفرق ، إذن ، بين تجربة السياب وتجربة شوقي ؟ انها صدرتا عن  
انفعال واحد ، هو انفعال الظلم . وبينما شطر به شوقي الى الخارج ، إلى  
قصف القنابل وتوجهها على الافق والى النساء المذعورات ، كلفذ السياب إلى

رموز أنأى بكثير لا تطالعنا في حقيقة الواقع ، وان كان الخيال يبصرها في حدقته النفسية التي تستعير مظاهر العالم الخارجي وتنبذع فيها معاني وأحوالاً جديدة ، هي أعمق من دلالاتها الظاهرة . مسرح الإنفعال واحد ، أيضاً ، بين الشعارين ، هو مسرح الطبيعة ، الا انها طبيعة واقعة حية عند شوقي ، وهي طبيعة نفسية عند السياب ، ابدعها الخيال من قدرته على تداول المعالم الخارجية في مضامينها الأولى التي سقطت عنها تحت وطأة المنطق والوضوح . تجربة شوقي اوضح ، وتجربة السياب اعمق . انفعال شوقي نقلي\* ، تهويلي\* ، وانفعال السياب خالقي ، ابداعي ، اضاءت ظلمته الرؤيا ، وشخصت المشاعر عبر المظاهر ، فتم له التجسيد في عالمه وقبل ان يتردى تحت وطأة الافكار والوعي والواقع .

وكما تداعت معادلات التشبيه زالت\* ، كذلك ، الأطر التهويلية للألفاظ ، فالرمل والرياح والقصور والزهور والشمس ، هذه جميعها ، لم تعد ألفاظاً خطابية لأنها خلصت\* حتى من معناها النثري الملازم لها وأنيط بها معنى شعري\* لا يلازمها في الظاهر المبذول ، بل انه يفتق منها بالتأمل العميق والتوحد مع روح المظاهر .

لذلك نقول ان الشعر الحديث يعف\* عن الفكرة ويحل\* من دونها الصورة ، يعترف عن التقرير ويلم من دونه بالرؤيا ، لا ينقل\* عما يطالع في الواقع ، بل عما يستطلع فيما وراءه أو عبره ، وانك لا تفهمه ، بل تعانیه وتحل\* فيه . وفضلاً عن ذلك كله ، فإن مستوى المعرفة الشعرية يتباين أشد التباين . فبينما أقام شوقي على اللجة والسطح ، يلوب على الانفعال ، ويجهضه بالصياح ، نقت\* فيه السياب\* وأدرك من خلاله الحقائق العميقة المتصلة بقم الحربة والعدالة

والظلم ، دون ان يصفها أو يفصح عنها .

ونعني في المقارنة فنجد شوقي يقول :

وللمستعمرين وان الأنوا      قلوب كالججارة لا ترقى

وهو يمثل بذلك بطش المستعمر وقساوته ، وقد استعار لذلك الصخر ،  
وهو أدنى ما تمثّل به القساوة في بداهة الانفعال وأميته ، اما السياب ،  
فيمثّل مقاومة المستعمر وعُسّر التصدي له بالقول :

وَعَرُّهُ هُوَ الْمَرَقَسِيُّ إِلَى الْجُلُجُلَّةِ  
وَالصَّخْرُ يَا سِيزِيفُ ، مَا أَثْقَلَهُ

فهو قد استحضّر لهذا الانفعال المائل تماماً لانفعال شوقي ما مدّه به  
أبعاده ، ومنحه يقين التاريخ وأناط به صفة الاطلاق من دون تجرّيسه ، اذ  
تفحص فيه بقصة الصّلب والجلجلة . فالشعب لا ينال حرّيته ، إلا بعد  
أن يُصلّب على جلجلتها ، لينهض من قبره وبيعت بيعت الحرّية كالسيح .  
وبذلك توحدّ مصير المسيح والجزائري في وجدانسه ، وتوحدّت مصائر  
البشريّة عبر تاريخها الطويل . وقد كان استحضاره لمشهد الصّلب نوعاً من  
الايغال بمعنى الظلم والاضطهاد في سبيل فكرة ، تخلص منه الى حتمية  
العذاب حتى الموت ، بينما اقتصر شوقي من ذلك كلّهُ على التّسديد الصريح  
العامي المباشر من المقارنة بين قلب المُستعمر والصّخر . هكذا ، فان انفعال  
السياب أطلعه على حقائق دائمة حيّة عبر التاريخ ، شاهدها في رؤيا الجلجلة ،  
ثم تكثّف ذلك وتضاعف وقعه من ذكره لاسطورة سيزيف الذي يحمل



صخرة كتبت له في كتاب القدر ، يكاد لا ينفذُ بها الى الذرورة حتى  
تتدحرج الى السّفح ، فيعود يحملها ويصعد بها من جديد . سيزيف هو  
الشعب الجزائري الذي يحمل صخرة قدره ومصيره ، يصعد بها الى جبل  
الحرية ثم تراها تنحدر من جديد . لقد توسّل الشاعران ، جميعاً ، بالصخرة ،  
الا ان شوقي توسّلها في معناها الواقعي ، في دلالتها الشائسة على القساوة ،  
بينما توسّلها السياب في دلالتها الأسطورية كرمز لمحاربة الشقاء والصمود له من  
الداخل بالفعل الروحي . فسيزيف يمثل هنا المُطّلق لكتبه المطلق الشعري  
الاسطوري وليس المطلق اللفظي الذهني التجريدي ، نزع به من ذاته الى  
ذات الانسانية في تجاربها مع الظلم ، عبر التاريخ ، بينما أقام شوقي في حدود  
تجربته الجزئية الخاصة . فالفرق بين الشعر الحديث وسواه هو فرق في مدى  
اتساع الانفعال وشموله وانطوائه على معاناة الانسان العامة .

ويخاطب شوقي اهل الشام مخاطبة وعظية مباشرة بقوله :

وقفتم بين موت أو حياةٍ      فان رمتم نعيم الدهر فاشقوا  
ولالأوطان في دم كل حرٍّ      يدٌ سلفتٌ ودينٌ مستحقٌ  
ومن يسقي ويشرب بالمتّايا      إذا الأحرار لم يسقوا ويُسقوا  
ولا يني الممالك كالضحايا      ولا يُدني الحقوق ولا يُحيقُ  
ففي القتلى لأجيال حياةٌ      وفي الأسرى فدى لهم وعسقُ

ففي هذا المقطع يحض على الفداء إذ لا ينعم القوم في بلدكم اذا لم يضحّوا  
من دونه بدمهم ولا ترتفع اسوار الممالك الا على جاجم الشهداء .

ويقول السيّاب في الموضوع ذاته خلال القصيدة ذاتها، مصوّراً يقين  
البعث :

لكنّ اصواتاً كقرع الطبول  
تتهلّ في رمسي  
من عالم الشمس  
هذي خطى الأحياء بين الحقول

\* \* \*

هكذا مخاض الأرض لا تبيّسي  
بشراك يا أجداتُ حان النشور  
نشارك في وهران اصداهُ صورُ  
سيزيف القى عنه عبء الدهورُ  
راستقيلَ الشمس على الأطلس

ففي ظاهر القطعين تباين شديد ، إذ إن شوقي يحضّ ويدعو ، والسيّاب  
يُبصر ويشاهد ما يدعو اليه شوقي ، وكأنه تحقّق وقام فعلاً . ذلك إن  
السيّاب بلغ من الإإن بجميّة الانتصار ، إثر ما قدّم الشعبُ من ضحايا وما  
تطهّر به من عذاب وآلام أنه شاهده واقعاً وإن لم يكن قد وقع فعلاً .  
شوقي اتخذ التلميح والبيّاب استنبطنته إذ أكّد أن الشعب الذي يَبْدُل  
بذل الجزائريين سيشرق عليه شمس الحرّة في النّهاية . وهذا التباين الشكلي  
الظاهر يضمّر تبايناً جوهرياً عميقاً . إنّه عنصر الزّمن التّذي يمثّل في

نُموّ القصيدة من بدايتها الى نهايتها عبر التحولات النفسية . فالبيت أو المقطع يقع كلٌّ منهما في لحظة النفسية . فبينما تراه في المَطْنَع متجهماً ، اذا بتجربته تنمو الى نهايتها ، حيث يتولد التّفاؤُلُ من التّخاذل ، والبعثُ من رحم الموت والانسانُ من إهاب الإنسان القديم .

اما ابیات شوقي فهي أبيات تراكمية ، تُكثّر لحظة نفسية واحدة ، او انها خالية خلواً تماماً من الزمن ، تتساقط بعضاً على بعض في ايقاع رتيب مُتّائل . لهذا كانت ميزتها الأولى التكرار ، بينا اختصت أبيات السياب بالتطور ، يؤدي البيت التلاحق وجهاً جديداً من المعنى أو مرحلة أخرى من مراحل . في الأبيات السابقة وقّعنا على سيزيف ، وهو يحمل صخرته الداهية ، صخرة العبث والتسيير واللاحرية . واذا به عبر تطور الانفعالات والأحداث في القصيدة ، يتنصر ويلقي عنه صخرته ويدرك ذروة الجبل حيث طالعتّه شمس الحرّية . فسيزيف الأبيات الأخيرة هو سيزيف الأبيات الأولى ، والفارق الجوهرى بينهما هو فارق الزمن وما انطوى عليه وما انفعّل به من تطورات دانيئة وخارجية جعلت الشاعر يوقن من انتصاره النهائي . وقد يكون عامل الزمن هو في الآن ذاته ، عامل الوحدة العضوية القائمة على التجارب النامية من ذاتها ، تتطور من الأزمة الى الذروة الى الحل ، وكأنها فاجعة صغرى أو كبرى . وقد كان خلوع شعر شوقي ومن إليه من الزمنية باعثاً لهم على الردّة والتناقض والرتابة ، تتقارب أبيات قصائدهم ولا تتحدّد ، تُردم ردماً يُعبّثُ بنظامها فلا تُضطرب ولا تتبدّد لأنها غير مترابطة ومُتّامية .

هذا وجه من وجوه التباين بين المقطعين . وهناك وجه آخر له اتصال بالحقيقة الشعرية وكلية التجربة التي تعبّر عنها . فانت لو نظرت في أبيات

شوقي لوجدت أنها تنسب الى الحكمة ، أي الى مبادئ ، خلص اليها الشاعر .  
 بالتفكير الواعي ، ثم انه يؤذيها للناس ويستحثهم لاعتناقها بالطلب المباشر .  
 إنها أفكار تولدت من التجريد الذي يسمو من الأحداث الجزئية الى خلاصة  
 فكرية توجزها . فهي وليدة العقل المعارف المستنتج . أما أبيات السياب ،  
 فهي صور ورموز ، لا تطيل من خلالها أحداق المعاني الواجة ، الجائمة ،  
 كما انها لم تعزل إطارها الحسي المنطوي على المضمون النفسي ، فهي اشبه  
 بالرؤى . ففي مطلع الأبيات نرى انه لا يزال في رسمه ، لكنه يسمع وقع  
 الخطى ، والخطى رمز الحياة ، لكنها خطى بين الحقوا ، انها خطى الحصب ،  
 اي عودة الحياة الى نعيمها . والشاعر لم يُسم ذلك باسمه ، ولم يفكر فيه  
 بتفكيره بل ألمح اليه في رموزه العميقة اللطيفة وبخاصة في خطى الأحياء  
 بين الحقول حيث جسد معنى التجدد في اطار شبيه بأطر العبادة الوثنية التي  
 كانت تعبد الحصب من خلال عبادتها للإله تموز . هنا ، أيضاً ، اتسعت  
 تجربة الشاعر وعانقت الشمول والمطلق من خلال الاسطورة واطلاعه على  
 الحقائق اللطيفة الهاربة في الوجود ، موفياً من ذلك الى مثل الاسرار التي  
 تفتطن لها الإنسان الأول في معانقته الأولى للوجود . أما شوقي ، فانه ما  
 زال يُلقي حكمة الخطابية التي يقبض فيها ما طفا على اللجة من غناء الأفكار .  
 ولا يقف السياب عند هذا الحد بل انه يماثل بين آلام الوضع من رحم المرأة  
 وآلام الأرض والشعوب لتخرج الانسان الجديد من رحمها : « هذا مخاض  
 الأرض » بل انه النعت الذي أحيانا الاموات كلتهم في مقبرة الفداء « بشراك  
 يا أحداث حان النشور » .

هكذا يتباين التجارب عمقاً وشمولاً بين الشعر المعاصر والشعر الذي  
 تقدمه ، وانما اجتزأنا بهذه المقطوعة من السياب لتماثل الموضوع بينه وبين  
 شوقي ، دون ان نذهب من ذلك الى ان سوية الشعر الحديث المُنطقه

استوت في شعر السياب وان آثار القديم تعفت فيه . ولا مجال للتعرض الى ما دون ذلك من شعره ، فنقتصر على القول ان ما ذكرناه فيما تقدم يصح في المقطوعة التي اجتزأنا بها ، وربما صح تطبيقه على سواها ، الا ان شعره بعامه ، لا يستقيم في هذا المضمار .

أما أبو شادي ، فانه تأثر بالرومنسية الأوروبية ، فرقت عبارته حتى الهللة ، وانتالت انفعالاته وتسربت الى المظاهر بنوع من الغنائية الشجية لكنها لم توفق في تلمس الأرواح والأطياف النائية للحقائق فيما وراء المظاهر . فلست تقع في شعره على الصورة المظلمة المنبجسة كالحلم من اعماق النفس والغيب ، ولا على الموقف الوجودي الصامد ، الشامل الذي ينتظم حلقات الوجود وسلسلته الكسبرى . فشعره هو شعر المواطن الكالحة حيناً ، والسائلة حيناً آخر ، لكنه لم يتحد فيها بوحدة الوجود وحلوليته ، ولنتمثل في صدفة الاختيار بقصيدته في وحي المطر اذ يقول :

انا ظامىء والكلى حولى ظامىء  
فتتطري ياسحب كيف جئنت  
هذي الغصون تناولت ماخصها  
ولبثت في ظمأ لوحيك أنت  
تتساقط القطرات من يد زهرة  
ليسد لأخرى والجميع سكارى  
وأنا الوحيد ، فأين أين حبيبتى  
حق ترد جوى وتطفى ناراً

انت ترى أن عبارة القصيدة افتقدت بلاغتها وشدة أسرها ، كما عهدناها في شعر شوقي ، كما ان الانفعالات تنثال انشبالاً شديداً ، لكنه عاجز عن الرؤيا المبتدعة ، فيسف ويتداعى بمان لا شأن لها في الافصاح عن تجربة انسانية عميقة جدية . فشوقي يعف عن القول : « انا ظامىء والكلى

حولي ظامي، « ، لان لفظه الكل هي من العامية المنبوذة المرذولة ، وهي تنم عن يسر الشاعر وامتناعه عن تثقيف عبارته ، ثم انه يتهاقت الى التعبير النثري المباشر بقوله : « هذي العصور تناولت ما خصصها » حيث تعفنى أي ظليل للخيال والانفعال وارتمن التعبير للعامية النابية . أما مؤدبي القصيدة العام ، فإنه مغمرق في الذاتية والوجدانية بحيث يقتصر على التعبير عن لحظة معينة في نفس صاحبها ولم تمكن له الموضوعية ليفيد بعض الشمول والكلية . وقد بات من المقرر في الشعر الحديث ان الذاتية المسترفة هي صنو للآنية والجزئية، وانه لا شعر كبير الا حيث تتسع أفق الذاتية وتمتد وتتصل بالحقائق الموضوعية الدائمة ، كما شهدنا في اتصال انفعال الشياب بالصدى الطالب بالثرار وبقصة الصئب وسيزيف - هنا الانفعال يستفح ذاته بذاته ولا يصمد ولا يدوم ، اذ لم يهتد به الشاعر الى الخلق والكشف بل انه يبذله في أسواق وغنميات لا طائل من دونها . وكنا قد ذكرنا ان الانفعال لا شأن فينا له الا بقدر ما يكون وسيلة للاتصال بالحقائق الكامنة والدائمة والجديدة لان الشعر ليس اداة للطرب ولا وسيلة للهديان بالمعاطف . والرومنسية لا تزال تُجسّض في مثل هذه الابتهالات اللامجدية . هابو شادي هو أشد انفعالاً من شوقي ، كما ان انفعالاته تطفو على لجة القصيدة ، لكنها تقصر عن الرؤيا حيث يتحد الخيال والانفعال ، فتتشخص الحقيقة في إطار نفسي ابداعي مبتكر . فهو اذ يبكي حبه الفاشل يقول :

وارقاي أدومي فحسي عزاء	أن يسر الحبيب من ايلامي
ويزف الجمال جنة قلبي	ضاحكاً من فؤادي المترامي
زاعماً انني بس غير أهلي	وكذا يرتضي أمير خصامي

فالانفعال لا يعدو هنا العواطف الساذجة الفاشلة وبخاصة في تعزيبه  
بفرح الحبيب لآلامه وفي ذلك التعبير المنمّي الساقط « أني به غير أميل »  
حيث أسفّ الى نفايات الواقع لفظاً ومعنى .

وعلى الجملة ، نقول ان أبا شادي أباح للانفعال قليلاً أو كثيراً من الحرية  
لكنه لم يتقفه ولم يتسوّّر به ولم يستطلع منه الرؤى فطمي عليه الغشاءُ  
والزبد وتسربت إليه عناصر نثرية كثيرة وغلبت الافكار وسطح الوضوح ،  
وهو في الشعر الكبير صنو السطحية ، لان الحقيقة الشعرية مظلمة تعيفُ  
عن التقرير والسترد والوصف والافكار وتنزل في رموزها المطلية على المنحدر  
الآخر من النفس والوجود . وقد يكون ما أداه ذا قيمة بالنسبة الى عصره  
الا انه اذا حككتك وصهبرَ ظهر زيفه واستبان في الأقداء . نقول ذلك  
كله دون أن نغفل عما عدا ذلك من قيم طارئة على شعره وشعر سواه من  
معاصريه . الا ان المنحى العام والقيمة النهائية لمثل ذلك الشعر تتضاءل وقد  
تقدم أحياناً ، والله أعلم . (١)

## إلياس أوي

بجاز في الآداب

مدرس الادب العربي في دار المعلمين والمعلمات

بيروت

---

(١) أردنا أن نسوق هذه المقدمة على ضوء النقد المعاصر ، كي ينسئ للقارئ أن يسمع صوتين  
متباينين في تقييم هذا الشعر وكي يصدر ، في النهاية ، عن رأيه واقتناعه الخاصين به .





أحمد شوقي  
أحمد زكي أبو شادي  
بشارة الخوري



# أحمد شوقي

حياته  
أغراض شعره  
مختار من آثاره

بقلم  
الدكتور محمد مندور



## شوقي في سطور

- ولد سنة ١٨٦٨ في قصر الخديوي اسماعيل من أصل مختلط يجمع بين الدم التركي واليوناني والشركسي عن أبيه وأمه .
- تلقى دروسه الأولى في مكتب الشيخ صالح بالقاهرة ثم بمدرسة المبتديان التجهيزية ، وبعد الفراغ من هذا التعليم العمام التحق بمدرسة الحقوق حيث انضم إلى قسم جديد للترجمة أنشئ فيها .
- توظف لمدة عام في قصر الخديوي .
- أرسله الخديوي توفيق في بعثة إلى فرنسا حيث درس القانون في مونبلييه وباريس واتصل بالأدب والحضارة الفرنسية وترجم قصيدة البحيرة « للامارتين » . كما عرب وحاسكى الكثير من قصص « لافونتين » على ألسنة الحيوانات . وألّف أول مسرحية له وهي : علي بك الصكبير أو « ما هي دولة المماليك » وطبعها بعد عودته من البعثة سنة ١٨٩٣ ثم أعاد صياغتها في أخريات حياته .
- توظف بالقصر الخديوي طوال حكم عباس الثاني أي منذ عودته من فرنسا حتى خلع الإنجليز عباس الثاني عن عرش مصر وأعلنوا الحماية عليها سنة ١٩١٤ . وفي تلك الفترة الطويلة نظم شوقي تركيياته وإسلامياته ومدائحه في الخليفة والخديوي .

- نفى الإنجليز شوقي سنة ١٩١٤ حيث أقام في أشبيلية طوال مدة الحرب العالمية الأولى ، وبعد انتهائها قام برحلة زار فيها آثار الأندلس العربية ، وفي أثناء نفيه كتب أندلسياته معارضاً البعثري والشريف الرضي وموشحات شعراء الأندلس .
- عاد إلى مصر سنة ١٩٢٠ في عنفوان الثورة وانسلخ بعض الشئ عن الأسرة المالكة وتقرب من الشعب وأخذ يظهر اتجاهه العربي وإن ظل به رئيس من الاتجاه التركي القديم .
- في سنة ١٩٢٧ بايعه شعراء الأقطار العربية كلها بإمارة الشعر في حفل كبير أقيم بدار الاوبرا في القاهرة .
- منذ عام ١٩٢٧ أخذ ينشر تباعاً مسرحياته الشعرية والنثرية .
- توفي في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ بقصره المعروف باسم « كرمة بن هانيء » على ضفاف النيل بالجيزة .
- طبع شعره بعد وفاته باسم « الشوقيات » في أربعة أجزاء كما طبعت مسرحياته وقصصه النثرية المقامية الأسلوب ومقالاته أو فصوله المعروفة باسم « أسواق الذهب » ، كما طبعت منفصلة أرجوزته المطولة عن تاريخ العرب والإسلام .

## سيرته خصائصه الفنية

عندما ولد أحد شوقي في سنة ١٨٦٨ كان أول هواء دخل رتتيه هو هواء قصر الخديوي اسماعيل ، وكان أول لبان رضعه مختلط الاصول والأنساب ، فجدته لامة جارية يونانية الاصل سماها اسماعيل «تمزارة» وتزوجت هذه الجارية اليونانية من رجل عرقي فأنجبت أم شوقي ، واما أبوه وجده لاينه فشركيان ، ومع كل ذلك انصهرت كل هذه العوامل الوراثية في بوتقة البيئة العربية التي عاش فيها أحمد شوقي وتلقى ثقافته الاولى ، وأخذت اشعاعات تلك البيئة الناهضة تنفذ إلى روحه شيئاً فشيئاً حتى جعلت منه في الفترة الأخيرة من حياته وبعد عودته من منفاه في سنة ١٩٢٠ شاعر المجتمع العربي الجديد ، الناطق بلسانه والمعبر عن التيارات الغالبة في وجدانه في شعر فضم وموسيقى مجلجلة حملت الامة العربية كلها على أن تباعه بإمارة الشعر العربي الحديث في سنة ١٩٢٧ بلسان شاعر النيل حافظ إبراهيم الذي وقف في حفل المبايعة الضخم بدار الاوبرا بالقاهرة ليقول :

أمير القوافي قد أتيت مبايعة وهدي وفود الشرق قد بايعت ممي

وإذا كان أحمد شوقي قد توفي في ليلة ١٤ من اكتوبر سنة ١٩٣٢—وهو في

الرابعة والستين من عمره - فإنه قد شهد في حياته من التطورات السياسية والاجتماعية والادبية الشعرية ما كان له أبلغ الأثر في تطور حياته ومواقفه ومجالات القول في شعره ، بل وفنون الأدب التي عالجها وتجلت فيها موهبته الفذة . ويكفيه أنه عاصر ثورتيين كبيرتين في حياة وطنه هما ثورة أحمد عرابي سنة ١٨٨٢ ، ثم ثورة الشعب المصري كله بزعامة سعد زغلول سنة ١٩١٩ ضد الاحتلال الإنجليزي . ثم شهد التحول التدريجي الكبير الذي حدث في وجدان الشعب العربي في مصر من ناحية التبعية للخلافة التركية إلى الشعور بالقومية العربية والنزعة الوطنية وهو الشعور الذي ظل يتصاعد حتى بلورته ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ في التحرر الوطني الكامل لكل قطر عربي من الاستعمار الاجنبي أياً كان نوعه تمهيداً للوحدة القومية التي نرجو أن تشمل العالم العربي كله من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي .

وكان لا بد لتلك الأحداث الكبرى من أن ينعكس تأثيرها على حياة أحمد شوقي واتجاهات تفكيره واحاسه فضلاً عن اتجاهات فنه الشعري والأدبي وقوالبه وطرائق تعبيره وبخاصة وأنه قد ولد وترعرع في الفترة التي أخذ يلتقي فيها ويتفاعل التياران الكبيران اللذان تقوم عليها نهضة العالم العربي الحديث ونعني بهما تيار البعث والتبار الاوروبي .

فمنذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي أخذت مصر تتخلص من عفونة القرون الوسطى التي طال عهدا بها في ظل الحكم التركي وحكم المماليك ، وتفتح نوافذها لتسبب الشمال الآتية من اوروبا التي كانت قد سبقت شرقنا العربي إلى النهضة والحضارة الحديثة بثلاثة قرون . وبفضل هذا الاتصال باوروبا استطاعت مصر أن تعرف طريقها إلى النهضة الحديثة وأن تستفيد في تحقيقها من مخترعات الحضارة الجديدة وبخاصة من فن الطباعة فأست في حي بولاق في القاهرة المطبعة الأميرية وبفضل هذه المطبعة استطاعت أن



تبدأ حركة البعث أي بعث التراث العربي القديم على نحو ما ابتدأت النهضة الأوروبية قبل ذلك بثلاثة قرون ببعث التراث اليوناني والروماني القديم فأخذت مطبعة بولاق تطبع وتنشر أمهات الأدب العربي كالآغاثي لابي فرج الاصبهاني وغيره كما أخذت تطبع وتنشر دواوين فحول الشعراء العرب القدماء التي كانت لا تزال مخطوطة وغير متداولة ، وباستطاعتنا ان ندرك الانقلاب الثوري الذي أحدثته حركة البعث بفضل فن الطباعة عندما تقارن بين شعر رائد البعث محمود سامي البارودي وشعر الجيل السابق له من امثال الخشاب والساعاتي حيث نرى الشعر العربي عند البارودي يسترد قوته وفخامة اسلوبه وجدية موضوعاته بعد أن كان قد انحدر الى التفاهات والزخارف اللفظية الخاوية .

وإذا كانت المطبعة قد أخذت تعمل منذ منتصف القرن التاسع عشر على بعث التراث العربي القديم لتغذي به وجدان الشعب العربي في مصر وتسدد من ذوقه الأدبي عامة والشعري خاصة - فإن اكتشاف العالم الفرنسي شامبليون لحجر رشيد في أواخر القرن الثامن عشر وتمكنه من حل طلاسم اللغة المصرية القديمة - قد فتح الباب أمام الباحثين لاكتشاف الحضارة المصرية القديمة وبالتالي الى تغذية وجدان الشعب المصري بأجداده الاقدمين .

ومما لا شك فيه أن حركة البعث والاكتشاف:بعث التراث العربي القديم، واكتشاف الحضارة المصرية القديمة كانا الرافدين الكبيرين اللذين غذايا في نفوس المصريين ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفي فترة شباب احمد شوقي، ذلك الشعور القوي الدافع بكرامة الشعب المصري والثورة على امتهان حكامه من أتراك ومماليك وشراكسة له ، واعتبارهم كل دخيل على مصر أسمى مرتبة وأجدر بالامتياز على من كانوا يسمونهم عندئذ بالفلاحين . وكان هذا الشعور هو الدافع الاماسي لثورة أحمد عرابي وزملائه الخالدين ضد الخديوي توفيق وأذنايه من الاتراك والجرراكسة .

ومع ذلك ظل حياً خلال القرن التاسع عشر في مصر تيار وجداني ثالث هو التيار الديني الاسلامي الذي استمر يربط جمهرة الشعب المصري بالخلافة التركية ، ويمكن الاتراك وحكام مصر من اسرة محمد علي من محاربة المشاعر الثورية حتى لنرى الخديوي نفسه يتهم الزعيم أحمد عرابي بالخروج على الخلافة وعلى الاسلام بالرغم من أن هذا الخديوي وأسرتة كلها كانوا يعملون على الاستقلال بمصر عن تركيا والخليفة الذي يحكمها ، ولم يتورع محمد علي عن محاربتها . ولولا وقوف الدول الاجنبية الكبرى في وجهه لغزا الآستانة نفسها وقضى على الدولة التركية التي كانت تعرف عندئذ باسم الرجل المريض .

وسط كل هذه التيارات المتداخلة حيناً والمتلاطمة حيناً آخر ولد وترعرع أحمد شوقي . . . واذا كان رائد البعث الشعري في مصر وشاعره الاكبر محمود سامي البارودي - قد استجاب للتيار الثوري الذي أراد أن ينصف فلاحي مصر ، أي شعبها ، من غطرسة حكامه الاتراك واذانهم ، فانضم الى الثورة العرابية وحوكم بسببها ونفي الى جزيرة سيلان مع قادتها حيث اصيب بالعمى وعاد من المنفى محطماً - فان أحمد شوقي لم يستطع أن يقف مثل هذا الموقف ، ودفعته نشأته وأعرافه وظروف حياته الى أن يقف الى جوار الاسرة المالكة التي ولد في قصورها ونشأ في حجرها وظل حتى سنة ١٩١٤ ربيباً لها ، كما وقف خلال هذه الفترة كلها الى جوار تركيا والخلافة العثمانية وبخاصة بعد أن أخذت مصالح خديوي مصر تتفق مع مصالح تركيا والخلافة على أثر ما أخذ ينشب من خلاف بينه وبين الانجليز الذين احتلوا البلاد بدعوة من توفيق وبجبة حماية عرشه . فرأينا الخديوي عباس الثاني خليفة توفيق يتضامن مع تركيا ويتوهم أن باستطاعة الاتراك أن يعينوه على الانجليز ويستغلوا في سبيل ذلك الشعور الديني عند المصريين ويوحى الى شاعره احمد شوقي بان يضرب على هذا الوتر .

ولما كان أحمد شوقي قد تطور بعد سنة ١٩١٤ تطوراً كبيراً جارى فيه تيار

الوطنية المصرية وتيار القومية العربية وبخاصة بعد انتهاء فترة نفيه في اسبانيا خلال الحرب العالمية الاولى ثم عودته الى الوطن في سنة ١٩٢٠ حيث وجد سيدا جديدا اسمه الشعب العربي في مصر وهو الشعب الذي قام بثورة سنة ١٩١٩ الخالدة مطالبا بالاستقلال التام عن إنجلترا وعن الاتراك على السواء وضرب على أوتار هذا التيار الصاعد الحائما مدوية حتى ارتضينا اميراً لشعرائنا واعتبرناه من امجاد نهضتنا الحضارية الحديثة - فان من واجبنا أن نحاول فهم وتفسير مواقف هذا الشاعر العربي الكبير في النصف الاول من حياته على ضوء ظروف حياته الخاصة وما اكتنفها من ملابس قاسية .

فأحمد شوقي لم يولد بباب اسماعيل فحسب ، بسبل في احضان الاسرة المالكة ، وذلك لانها هي التي قامت على تعليمه وتنشئته في مراحل شبابه المختلفة اذ نراه يلتحق في طفولته بكتاب الشيخ صالح حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة ، ثم ينتقل منه الى مدرسة المبتدیان الابتدائية في القاهرة ومنها الى المدرسة التجهيزية أي الثانوية التي ينتهي منها في الخامسة عشرة من عمره ليلتحق بمدرسة الحقوق .

ولما كانت هذه المدرسة العليا قد افتتحت عندئذ قسماً خاصاً بالترجمة يتخرج فيه الطلبة بعد عامين - فقد نصحه القصر بأن يلتحق بهذا القسم لكي يعمل بعد انتهائه منه في ادارة الترجمة بهذا القصر ، واستجاب أحمد شوقي طبعاً للنصيحة وعمل فعلاً موظفاً في ادارة الترجمة بالقصر لمدة عام ، رأى بعدها الخديوي أن يرسل فتاه الى فرنسا في بعثة يدرس خلالها القانون بجامعة مونيليه لمدة عامين فينتقل بعدها الى باريس لاكمال دراسته في جامعتها ، وليطلع على الآداب الفرنسية ويتصل بالحضارة الفرنسية ، وهكذا ظل القصر يتعهد به ويطويه تحت جناحه حتى استكمل ثقافته وتكون وجدانه .

واذا كان احمد شوقي قد ظل يعمل بعد عودته من دراسته في فرنسا موظفاً

في القصر الحديوي حتى نحى الانجليز عباس الثاني عن عرش مصر سنة ١٩١٤ واعلنوا الحماية على البلاد ونصبوا السلطان حسين كامل حاكماً ، ونفوا أحمد شوقي مع عباس الثاني حيث ظل منفياً في إسبانيا طوال الحرب العالمية الاولى - فان أحمد شوقي لم يعتز بوظيفته في القصر بقدر ما اعتز بأن يعتبر شاعر القصر فيقول مفاخراً :

شاعر العزيز وما بالقليل ذا اللقب

ويا ليت ما عرف العزيز وما اعتر ولا حرص على أن يكون شاعره ، وذلك لانه وان يكن قد توهم في صدر شبابه أن غاية المجد الشعري هو أن يصبح شاعر الامير الا أن اقامته في فرنسا واتصاله بأدائها الانسانية الواسعة لم يلبث أن فتح ناظره على عوالم من الشعر والأدب أرحب بكثير من مدح الامير والضرب على الاوتار التي يظنها الشاعر كفيلة بأن تجمع القلوب حول أميره .

ولدينا وثيقة بالغة الاهمية تدل على الهزة القويصة التي أحدثها الادب الفرنسي في نفس شوقي وتأثير هذا الادب على مفهوم الشعر عنده ونعني بها المقدمة التي كتبها احمد شوقي للطبعة الاولى التي صدرت من ديوانه سنة ١٨٩٨ وفيها يقول :

« إن إنزال الشعر منزلة حرفة تقوم بالمدح ولا تقوم بغيره تجزئة يحل عنها ويتبرأ الشعراء منها ، إلا أن هناك ملكاً كبيراً ما خلقوا إلا ليتفنوا بمدحه ويتفنوا بوصفه ذاهبين فيه كل مذهب آخذين منه بكل نصيب ، وهذا الملك هو الكون . فالشاعر من وقف بين الثريا والثرى يقلب احدى عينيه في الدر ، ويحيل اخرى في الذرا . يأسر الطير ويطلقه ويكلم الجراد وينطقه . ويقف على النبات وقفة الطل ، ويمر بالعراء مرور الويل ، فهناك يفسح له مجال التخيل ويتسع له مكان القول .. »

أو لم يكن من الغبن على الشعر والامة العربية أن يحيا المتني، مثلا، حيات  
 العالية التي بلغ فيها إلى أقصى الشباب ثم يموت عن نحو مائتي صحيفة من  
 الشعر تسعة أعشارها للمدوحين والعشر الباقي هو الحكمة والوصف للناس .  
 هنا يسأل سائل : وما بالك تنهي عن خلق وتأتي مثله ؟ فأجيب بأني قرعت  
 أبواب الشعر وأنا لا أعلم من حقيقته ما أعلمه اليوم ولا أجد أمامي غير  
 دواوين للموتى لا مظهر للشعر فيها وقصائد للاحياء يحدون فيها حدو  
 القدماء ، والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر إلا ما كان مدحا في مقام  
 عال ، ولا يرون غير شاعر الخديوي صاحب المقام الاسمي في البلاد ، فما  
 زلت أتمنى هذه المنزلة وأسمعو إليها على درج الاخلاص في حب صناعتي  
 واتقانها بقدر الامكان وصونها من الابتذال حتى وفقت بفضل الله إليها ، ثم  
 طلبت العلم في اوروبا فوجدت فيها نور السبيل من أول يوم ، وعلمت أنني  
 مسؤول عن تلك الهبسة التي يؤتينا الله ولا يؤتينا سواه ، وأني لا أؤدي  
 شكرها حتى اشاطر الناس خيراتها التي لا تحد ولا تنفذ ، وإذا كنت اعتقد  
 أن الاوهام إذا تمكنت من أمة كانت لباعيا ابادتها كالأفعموان لا يطاق لقاءه ،  
 ويؤخذ من خلف بأطراف البنان ، جعلت أبعث بقصائد المديح من اوروبا  
 مملوءة من جديد المعاني وحديث الاساليب بقدر الامكان ، الى أن رفعت الى  
 الخديوي السابق « توفيق » قصيدتي التي أقول في مطلعها :

خدعوها بقولهم حسناء      والفواني يغرّهن الشناء

وكانت المدائح الخديوية تنشر يومئذ في الجريدة الرسمية وكان يحرر هذه  
 أستاذي الشيخ عبد الكريم سليمان فرُفعت القصيدة اليه وأُطلب منه أن يسقط  
 الغزل وينشر المدح ، فود الشيخ لو اسقط المديح ونشر الغزل ، ثم كانت  
 النتيجة أن القصيدة برمتها لم تنشر . فلما بلغني الخبر لم يزدني علما بأن احتراسي  
 من المفاجأة في الشعر الجديد دفعة واحدة إنما كان في محله . وأن الزائل معي  
 إذا انا استعجلت . ثم نظمت روائي « علي بك الكبير أو فياهي دولة المماليك »

معمدا في وضع حوادثها على أقوال الثقات من المؤرخين الذين رأوا ثم كتبوا،  
وبعثت بها قبل التمثيل بالطبع الى المرحوم رشدي ليعرضها على الخديوي  
السابق ، فوردني منه كتاب باللغة الفرنسية يقول في خلاله : أما روايتك  
فقد تفكه الجناب العالي بقراءتها وناقشني في مواضع منها وناقشته وهو يدعو  
لك بالمزيد من النجاح ، ولحج ألا تشغلك دروس الحقوق التي يمكنك تحصيلها  
وأنت في بيتك بمصر عن التمتع من عالم المدينة القاية امامك ، وان تأتينامن  
مدينة النور « باريس » بقبس تستضيء به الآداب العربية ... وترجمت  
القصيدة المسماة « بالبحرية » من نظم لامارتين وهي من آيات الفصاحة  
الفرنساوية ، ثم أرسلتها الى المشار اليه في كراس وبعض كراس ليطلع الجناب  
الخديوي عليها . واذ كنت لا أتخذ لشعري مسودات رجوت أن أجدها  
عنده بعد العودة الى مصر ، ثم عدت دون ذلك عواد ، وجريت خاطري  
في نظم الحكايات على أسلوب لافونتين الشهير وفي هذه المجموعة شيء من  
ذلك .

من هذه الوثيقة الخطيرة نحس أن أحمد شوقي قد وعى اثناء اقامته في  
فرنسا واتصاله بأدائها بحقيقة الادب والشعر ومجالاتها الرحبة وأدرك الفارق  
الواسع بين الشعر العالمي الانساني النزعة ، وتقاليد الشعر العربي التي خنقته  
في مجال المديح . وفي عبارات شوقي السابقة ما ينبض باللوعة والاسى لرؤية  
عوالم الشعر الواسعة ، وخوفه من ان يلج رحابها ويتمرد على تقاليد قومه التي  
يشبهها بالافعوان أي الشعبان الذي لا يطاق لقاءه ويؤخذ من خلف بأطراف  
البنان ، وبخاصة بعد أن عززت التجربة مخاوفه ، فهو حتى في مجال المدح لا يستطيع  
أن يتعامل كما كان يفعل شعراء العرب القدماء فيتغزل أو يتحدث عن المرأة قبل ان ينتقل  
الى المديح ، وما هو القصر يريد أن يحذف من قصيدته مطلعها الغزلي حتى لا ينشر  
في الجريدة الرسمية غير مدحه للأمير . وإذا اعترض على هذا الحذف أديب  
مرهف الذوق كالشيخ عبد الكريم سلمان كانت النتيجة اهمال القصيدة كلها

وعدم نشرها . وها هو يرى الشعر في فرنسا لا يقتصر على الفن الغنائي الذي عرفه القدماء بل يشمل أيضاً الفن القصصي والفن الدرامي ، فضلاً عن أن الفن الغنائي يمكن أن يقتصر على التعبير عن التجارب العاطفية لقائله على نحو ما أحس شوقي في قصيدة « البحيرة » الخالدة وأشباهاها للامرتين وغيره ، فيأخذ لفوره في ترجمة ومحاكاة كل هذه الفنون على نحو ما ينبتنا من أنه قد ترجم البحيرة وأرسلها إلى رشدي وزير الخديوي فضاعت ولم نعلم لها على أثر حتى اليوم ، كما حاكى قصص لافونتين على لسان الحيوانات وألّف أول مسرحية شعرية له وأرسلها للخديوي الذي تفكر بها . وأحس الشاعر بأن ما يريده منه الخديوي هو قصائد المديح والضرب على الاوتار التي يمكن أن تضمن لهذا الخديوي ولاء الشعب والتفافه حوله . وإذا كان أحمد شوقي قد جازف مع كل ذلك فطبع ونشر طائفة من قصص الحيوانات التي حاكى فيها شاعر هذا الفن الكبير لافونتين في الطبعة الاولى التي أصدرها من ديوانه سنة ١٨٩٨ كما طبع الصورة الاولى لمسرحية « علي بك الكبير أو فيما هي دولة المماليك » في سنة ١٨٩٣ بعد عودته من فرنسا - فإنا نلاحظ أنه قد أفلح نهائياً عن هذه النزعات التجديدية المتمردة بمجرد عودته إلى القصر حيث أخذ ينظم القصائد في مدح الخديوي وأسرته حيناً وفي التغني بأبجاء تركيا والخلافة أو النبي والإسلام . وهذه هي مرحلة التركيبات والاسلاميات والمدائح في النصف الأول من حياة أحمد شوقي وهو النصف الذي يمكن القول بأنه قد انتهى بعزل الخديوي عباس الثاني عن العرش وإعلان الحماية البريطانية على مصر سنة ١٩١٤ ونفي الانجليز لآحمد شوقي شاعر الخديوي الذي اختار مدينة أشبيلية موطناً لمنفاه وظل بها حتى سنة ١٩٢٠ حيث سمح له الانجليز بالعودة إلى الوطن .

وكان شوقي يحس كما رأينا بالسجن الذي ضربه القصر حول موهبته الشعرية وخاصة في عصر عباس الثاني الذي أصبح شوقي ظلّ له أو بوقاً .

ولسنا ندري استعباداً أشتى من استعباد الموهبة كما نحسب أن الموهبة القوية لا يمكن أن تستسلم لسجنها استسلاماً تاماً ، بل لا بد أن تحاول التنفس والانطلاق ولو من خصاص السجن ، وهذا ما فعله شوقي بين الحين والحين .

فقد كانت لشوقي ككل إنسان تجاربه الخاصة ووجدانه الفردي بصرف النظر عن نوعية هذه التجارب وذلك الوجدان ، وكان يرى شاعر البعث الضخم محمود سامي البارودي يتغنى في شعر رائع بتجارب حياته وهي تجارب كانت عاتية بحكم اشتراك البارودي في الحروب كقائد جيش وفي الثورة العربية كزعيم وطني حوكم ونفي ولاقى في نفيه الأهوال . ولم تكن لاحد شوقي بحكم ظروف حياته ونشأته مثل تلك التجارب العاتية ، ولكنه مع ذلك كان يعيش بالضرورة حياته المترفة في مصر وفرنسا ثم في مصر ثانية قبل أن يغادرها إلى المنفى وكان لا بد أن يتفعل وجدانه أو على الأقل تتفعل حواسه بتجارب حياته المرهفة وما فيها من مشاهدات وان يتحدث في شعره عن بعض تلك التجارب وهذا ما فعله بين الحين والآخر حيث نعث في شوقياته على بعض قصائد في التغني بالمرح والمرح مثل قصيدة :

حف كأسها الحبيب      فهي فضة ذهب

وقصيدة :

رمضان ولي هاتها يا ساقى      مشتاقه تسمى إلى مشتاق

والظاهر أن شوقي قد فطن منذ إقامته في فرنسا إلى الاتجاه التاريخي في قرص الشعر ، ومن المؤكد أنه سمع ورأى الفرنسيين يشيدون بملحمة فيكتور هيجو التاريخية « اسطورة القرون » وخاصة أن إقامته في فرنسا كانت عقب وفاة هذا الشاعر الضخم مباشرة وكان ذكره لا يزال يتردد على كافة الألسنة ، وأحس شوقي بأن في معين التاريخ ما يمكن أن يمدد بنبع فر ، كما أحس بأن في التغني بأعجاد الماضي ما يغذي وجدان شعبه الذي كان يحرص



كل الحرص على نيل اعجابه ليصبح أمير الشعراء بعد أن أصبح شاعر الامراء  
ومنذ ذلك الوقت انصرفت قراءات أحمد شوقي الى التاريخ وأصبح هذا  
النوع من القراءة هو ديدنه طوال حياته . ولما كان شعب وطنه يعيش في  
فترة بعث لأجداده العربية والمصرية على السواء فقد انصرفت همه بالضرورة  
الى القراءة في تاريخ العرب وتاريخ مصر القديمة . ولكنه لما كانت الدعوة الى  
القومية العربية لم يشتد بعد عودها في مصر بل وكانت الاسرة المالكة تنظر  
الى مثل تلك الدعوة بعين الريبة لاحساسها بأنها تتعارض مع الدعوة الى  
القومية الطورانية أي العثمانية التركية والدعوة الى الجامعة الاسلامية - فقد  
أحس شوقي بأن طريق السلامة هي أن يعود الى تاريخ مصر الفرعونية  
وبخاضة وأن عملية الكشف عن الحضارة المصرية القديمة كانت قائمة على قدم  
وساق وكان الخديوي اسماعيل قد نادى بالدعوة الى اعتبار مصر قطعة من  
أوروبا لا قطعة من الشرق أو من العالم العربي . واتجه التفكير الى ان الاشادة  
بحضارة مصر القديمة والعمل على بعث تلك الحضارة هو خير مؤهل لأدخالها  
ضمن الحضارة الاوروبية وأكبر الظن أن كل هذه الاعتبارات هي التي دفعت  
أحمد شوقي الى ان يختار تاريخ مصر موضوعاً لأول مطولة تاريخية حاول ان  
يحاكي أو يعارض فيها « اسطورة القرون » وأن يخصص الجزء الأكبر منها  
لتاريخ القراعنة . وقد نظم هذه المطولة بعد عودته من فرنسا ببضع سنوات  
ليلقيها في مؤتمر المستشرقين الذين انعقد في جنيف سنة ١٨٩٤ وانتدبته الحكومة  
المصرية لينقلها فيه وعنوانها « كبار الحوادث في وادي النيل » ومطلعها :

همت الفلك واحتواها الماء وحداها بمن تقل الرجاء

وهي قصيدة طويلة تتم عن طول النفس وفخامة الاسلوب وجهازة الرنين  
الموسيقي على النحو الذي يلائم هذا النوع من الشعر .

وباستطاعتنا أن ندرك مدى تأثير موهبة شوقي الشعرية بلباسات حياته

وتغير المؤثرات التي خضعت لها تلك الحياة عندما نذكر ان شوقي بعد نفيه في اسبانيا واقامته في أشبيلية منفا خمس سنوات قضاه في قراءة تاريخ العرب عامة وتاريخهم في الاندلس خاصة ، ثم انتهاء تبعيته مصر لتركيا وظهور القومية العربية في المشرق العربي ضد القومية التركية - كل ذلك وجه عبقرية شوقي الى كتابة مطولته التاريخية الثانية عن « دول العرب وعظماة الاسلام » المعروفة باسم « أرجوزة العرب » والمنشورة في مجلد خاص . وهي أرجوزة بعيدة عن أن تكون من روائع شعره وربما كانت الى النظم التعليمي أقرب منها الى الشعر في الكثير من اجزائها الرجزية وربما كان خير ما فيها الموشح الذي كتبه عن « صقر قريش » عبد الرحمن الداخيل « وهو موشح ألحق بالارجوزة لاتصاله بموضوعها وان اختلف عنها وزنا وروحا .

ولما كانت نزعة المعارضة هي الغالبة على انتاج أحمد شوقي الشعري في مدة نفيه فانتنا نراه يعارض بموشحه الجميل عن عبد الرحمن الداخيل موشحين أندلسيين شهيرين أحدهما لبراهيم بن سهل ومطلعه :

هل درى رظي الحمى أن قد حمى      قلب صب حله عن مكس  
فهو في حر وخفق مثلاً      لعبت ریح الصبا بالقبس

والثاني للوزير بن الخطيب ومطلعه :

جاءك الغيث اذا الغيث همى      يا زمان الوصل بالاندلس  
لم يكن وصلك الا حلاً      في الكرى أو خلسة المختلس

واما موشح شوقي فمطلعه :

من لنضو يتأذى ألماً      برح الشوق به في الفللس  
حن للبان وتاجى العلما      أبرزق الارض من اندلس

وكان احمد شوقي يحرص دائماً على أن يضرب على الزر الاسلامي ، ولقد

يكون لهذا الوتر رنين خاص في نفسه ، وذلك أنه من المؤكد ان انغام هذا الوتر كانت تلعب دوراً كبيراً في جذب الشعب الى الخلافة والى مثلها في مصر خديوي البلاد . وشوقي بالعزف على هذا الوتر كان يرضي الشعب والخديوي على السواء ، بل ويشجعي المسلمين في كافة أقطارهم الناطقة بالضاد . ومن هنا يعمر ديوانه بالاسلاميات مثل « نهج البردة » في حياة الرسول ، وفيها يعارض بردة البوصيري- الشهيرة ويستهلها بقوله :

ريم على القناع بين البيان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

وهي بأسلوبها الشعري وصورها وأخيلتها وعذوبة موسيقاها من روائع شعره ويلحق بها في الاتجاه وان كان دونها في الجودة « الهمزية النبوية » :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

بل ويستغل أحد شوقي أحياناً مناسبة ذكرى المولد الشريف ليشيد بمجد الرسول ، ويرنح المسلمين بأرق النغمات الدينية في مثل قصيدته « ذكرى المولد » التي مطلعها :

سلوا قلبي غداة سلا وثابا لعل على الجمال له عتابا

وكان لا بد لاحد شوقي كشاعر حي الوجدان من أن يفعل بما شاهد من حوله في وادي النيل وفي رحلاته الى الخارج من آيات الطبيعة وأن يتغنى بكل ذلك ، ولكننا نلاحظ أنه سار في فن الوصف على النهج العربي التقليدي فنجاء وصفه أقرب الى الوصف الفني الحسي منه الى الوصف الرومانسي الذي يخلع فيه الشاعر أحاسيسه على الأشياء ويبادلها العواطف ، وكأنه يفكر خلالها وتفكر خلاله ، وذلك بالرغم من أنه قد عاصر شاعرا عربيا كبيرا نهج هذا النهج الحديث في هذا الفن ، وهو الشاعر خليل مطران صاحب

قصائد « المساء » « والاسد الباكي » كما انه لم يحاول ان يتخذ من مشاهد الطبيعة اطارا لتجارب عاطفية على نحو ما فعل من بعد، الشاعر المشجي علي محمود طه في وصفه لرحلاته بأوروبا في «الجنودول» « وبجيرة كومو » وكثير غيرهما . واذا كانت هناك عناصر معنوية تتخلل وصف شوقي فهي عناصر اخلاقية عامة او سياسة اجتماعية ولا نكاد نستثني من ذلك غير قصيدته في « زحلة » التي مزج فيها الوصف باحاسيسه الخاصة واطلق فيها نغمات ذاتية مشجينة في الشباب الذي ولى ولم يعد قادرا على الاستجابة لتساءل الحب ، فيقول في مطلعها :

شيعت احلامي بقلب باكي . ولمت من طرق الملاح شباكي  
ورجعت أدراج الشباب وورده امشي مكانها على الاشواك  
ويجاني واہ كأن خفوقه لما تلفت جهشه المتباكي  
شاكي السلاح اذا خلا بزلوعه فاذا اميب به فليس بشاكي

وبالرغم من ان حياته في مونتيليه وفي باريس ومشاهداته فيها كانتا في غضاضة الشباب حيث الروح متفتحة والحس متقد - الا اننا نلاحظ ان ما قاله في وصف تجاربه ومشاهداته في فرنسا اقل واضعف بكثير مما قاله في البوسفور والآستانة اللذين اخذ يتردد عليها بعد ذلك بمفرده او في صحبة الخديوي عباس الثاني ، ولا غرابة في ذلك فقد كان يعتبر الآستانة ومقائن الطبيعة فيها موطنه الروحي ، وجملة ما قال في وصف مشاهداته وتجاربه في فرنسا لا يعدو بضعة قصائد مثل «باريس» ومطلعها :

جهد الصباية ما اكيد فيك لو كان ما قد ذقته يكفيك

وهي قصيدة قالها في التفجع على ضرب باريس اثناء الحرب وتغنى فيها بايجاد باريس مثل قوله :

زعموك دار خلاعة ومجانة      ودعارة يا إفك ما زعموك  
ان كنت للشهوات ربا فالعلا      شهواتهن مرويات فيسك  
تلدن اعلام البيان كأنهم      اصحاب تبجان ملوك اريك

ثم قصيدة «غاب بولونيا» التي يتغنى فيها بنسبات خافتة من ذكريات  
شبابه في تلك الغابة الشهيرة، وان تكن التجربة الشعرية فيها غائمة غير حادة  
الملامح ، وفيها يقول :

يا غساب بولون ولي      ذمم عليك ولي عهد  
زمن تقضى للهوى      ولنا بظلك هل يعود  
حلم اريد رجوعه      ورجوع احلامي بعيد  
وهي الزمان أعادها      هل للشبيبة من بعيد

وان يكن ما في هذه القصيدة من شحن يكسبها عطرا انسانيا نفاذا .  
واذا اضعنا الى ذلك اربعة أبيات كتبها عن « ميدان الكونكوردي » الذي  
تحول من ساحة ثورية الى «ميدان الوفاق» كما يدل اسمه بعد الثورة الفرنسية  
الكبرى ، ثم قصيدة كتبها « على قبر نابليون » نكون قد أحصينا تقريرا  
حصيلته الشعرية من فرنسا واقامته في عصر الشباب المبكر قرابة أربعة  
اعوام .

وذلك بينا نجد له في الأستانة ومشاهدها وفي البسفور ومفاته عدد كبيراً  
من القصائد الوصفية الحارة ، مثل قصيدة « كوك صو » أي « ماء السماء »  
وهو اسم الخليج في البوسفور ، وهو يستهلها بقوله :

تحية شاعر يا ماء (جكسو) فليس سواك للارواح أنس

ويفدي ماء جكسو بحياة دجلة وزمزم والاردن والنيل فيقول :

فدتك مياه دجلة وهي سعد  
وجاءك ماء زمزم وهو طهر  
وكان النيل يعرس كل عام  
وأنت على المدى فرح وعرس  
ولأجعلت فداءك وهي نحس  
وأمواء على الاردن قدس

ثم قصائد « مسجد أياصوفيا و « البسفور » و « جسر البسفور » وغيرها  
ومع ذلك فيقتضينا الانصاف أن نقرر ان أحد شوقي قد خص مصر ومشاهدها  
الطبيعية والاثرية كما خص عددا من مشاهد البلاد العربية كدمشق ولبنان  
وزحلة وغيرها بالكثير من روائعه الوصفية الوطنية ، وبخاصة في الفترة  
الأخيرة من حياته وهي الفترة التي تبدأ بعودته من المنفى سنة ١٩٢٠ وتحرره  
من التبعية الخديوية التركية وانطلاقه مع التيار الوطني والعربي القومي على  
نحو ما سرى عند حديثنا عن تلك المرحلة العظيمة من حياته .

ولو اننا أضفنا الى تأخيات أحمد شوقي واسلامياته ووصفياته عدة مقطوعات  
كتبها فيما يسميه ناشر «الشوقيات» بالنسيب وهي منشورة في القسم الأخير  
من المجلد الثاني ولا نحسبها من روائعه لان ارسنقراطية شوقي منعتة فيما يبدو  
من أن يفضح مشاعره العاطفية على نحو حار يدخله ضمن شعراء الغزل - لو  
جمعنا كل ذلك ووضعناه جانبا لتبقى لنا من « الشوقيات » ما نسميه بشعر  
المناسبات الذي يشمل الجانب الأكبر من إنتاج شوقي الشعري وهو الجانب  
الذي ثار حوله الجدل العنيف والمعارك الطاحنة وعلى أساسه يتلون الحكم  
النهائي على هذا الشاعر الكبير .

والواقع أن طموح شوقي الى ان يصبح شاعر الامير وامسير الشعراء في  
نفس الوقت قد ساقه الى ان يصبح شاعر المناسبات الذي يتحسنت باسم  
الخديوي حينما وباسم الشعب والامة كلها حينما آخر ، وكان في كل ذلك  
يحرص على ان يقول ما يرضي الغير اكثر مما يحرص على ان يقول ما يرضيه  
هو ، ولم يكن ما يرضي الغير يرضي الجميع بل كان يضطر احيانا الى ان

يقول ما لا يرضي عامة الشعب مثل قصائده في ذم الزعيم الشعبي أحمد عرابي  
ارضاء للبيت المالک الذي ثارضده عرابي، وهي قصائد لم تنتشر في «الشوقيات»  
ولكن احد كبار مؤرخينا العرب المعاصرين وهو الدكتور محمد صبري قام  
بجمعها واعدادها للطبع ويكفي ان نورد هنا بيتا مشهوراً من قصيدة تلقى  
بها احمد شوقي الزعيم عرابي وهو عائد من منفاه وفيه يقول :

صغار في الذهب وفي الاياب هذا كل حظك بنا عرابي

ولم يقتصر احمد شوقي على مناسبات وطنه مصر بل مد مجال القول الى  
المناسبات التركية والخلافة العثمانية فكتب المطولات في الاشادة بانتصارات  
الحليفة في الحروب على نحو ما فعل في قصيدة «صدي الحرب» التي يصف فيها  
الوقائع اليونانية العثمانية ويستهلها بقوله :

بسيفك يعلو الحق والحق اغلب وينصر دين الله ايمان تضرب

وهي مطولة تشبه الملاحم وقد قسمها الى اجزاء كأنها الاناشيد في ملحمة  
فيجزء بعنوان « ابوة امير المؤمنين » وآخر عن « الجلوس الاسعد » وثالث  
بعنوان « حلم عظيم وبطش أعظم » ثم أجزاء عن « معجزات الجنود على  
الحدود » « وزينب بني عثمان » « والحالة في بحر الروم » « ومنعة السواحل  
العثمانية » و « زينب المتطوعة في موقعة » و « مضيق مالونا » و « الحاج  
عبد الازل باشا » و « هزيمة طرناو » و « التلاقي على سهل فرسالة »  
و « غضب دوموكو » و « أحلام اليونان » و « عفو القادر » ويختتم هذه  
الملحمة الضافية بمقطوعة عنوانها : « التماس القبول » وفيها يرجو مولاه  
الحليفة ان يتقبل قصيدته فيقول :

أمولاي غنتك السيوف فأطربت فهل ليراعي ان يغني فيطربوا  
فعندي كما عند الطبا لك نعمة ويختلف الانعام للأنس أجلب

ومن المؤكد ان موقف احمد شوقي من الخليفة كان شديد الشبه من موقفه من الخديوي عباس ، بل هو موقف واحد يناصر الحاكم وتبعه ويقف الى جواره حتى عندما يصطدم الحاكم بالشعب ، فعندما قام احرار الاتراك بحركتهم الشهيرة التي طالبوا فيها بالحكم الدستوري الذي يجد من طغيان الخليفة عبد الحميد وفساده ونالوا هذا الدستور ، ثم عاد عبد الحميد وحاول الغدر بسبه فاسقطوه عن العرش - نرى شوقي يتفجع على عبد الحميد وجواريه وبذخه المشين ، وان يكن قد حاول في نفاق معيب ان يسترضي ايضاً الاحرار المنتصرين ، وذلك في مطولته الرنانة « الانقلاب العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد » التي يستهلها بقوله :

هل جاءها نبأ البدور	سل يلدزا ذات القصور
لبكتك بالدمع الغزير	لو تستطيع اجابة

ثم يقول عن الاحرار الثوار :

دخلوا السرير عليك يحتكون في رب السرير  
 أعظم بهم من آسرين وبالخليفة من أسير  
 أسد هصور أنشب الاظفار في أسد هصور

ومن الواجب ان نذكر هنا أن مصر كان يقم فيها عندئذ شاعر كبير لجأ اليها هارباً من بطش عبد الحميد وهو ولي الدين يكن الشاعر العنيف الذي لم يرقه موقف احمد شوقي وما فيه من نفاق مرذول فرد عليه رداً عنيفاً بقصيدة قوية سماها ايضاً « عبء الدهر » وافتتحها بقوله :

هاجتك حالية القصور	وشجتك آفة البدور
وذكرت سكان الحمى	ونسيت سكان القبور
وبحكيت بالدمع الغزير	ير لباعث الدمع الغزير



وبعد أن يعدد مآسي عبد الحميد وظلمه وفجوره ينتهي الى التعريض  
بشوقي ومن نحوه من الشعراء فيقول :

لما أدبيل من السرير	بكاه عباد السرير
ندروا الندور لعوده	هيات يرجع بالندور
أسفوا عليه وانما	أسفوا على المال الدرير

ر اذا كان أحد شوقي قد تحرر بعد المنفى بعض الشيء من هواه التركي  
الواضح وأخذ ينتج نحو الشعب العربي في مصر وغيرها من الاقطار العربية  
التي حاربت الاتراك اثناء الحرب العالمية الاولى سعيًا لتحررها من حكمهم  
الاسود ، وواجهوا الدعوة الى الجامعة العثمانية الاسلامية بالدعوة الى القومية  
العربية - فاننا نلاحظ ان تحرر شوقي من هذا الهوى الدفين لم يكن تاماً ،  
اذ ظلت اوتاره تعزف لانتصارات الاتراك فلا يكاد الزعيم مصطفى كمال ينتصر  
على اليونان في اعقاب الحرب العالمية الاولى بأسيا الصغرى حتى يشيد شوقي  
بانتصاره في قصيدة قوية بعنوان « انتصار الاتراك » في الحرب والسياسة  
ومطلعها :

الله اكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

ومع ذلك لا يكاد مصطفى كمال يلغي الخلافة ويخلص الحكم في تركيا  
منها ومن كل ما كان قد تطرق اليها من فساد وانحلال واستبداد حتى يتفجع  
شوقي على هذه الخلافة وبرئيتها رثاء حاراً في قصيدته « خلافة الإسلام » حيث  
يستهلها بقوله :

عادت اغاني العرس رجع نواح	ونعيت بين معالم الافراح
كفنت في ليل الزفاف بثوبه	ودفنت عند تبليج الاصباح

\*\*\*

ضحجت عليك مآذن ومنابر  
الهند والهبة ومصر حزينة  
والشام تسأل والعراق وفارس  
وبكت عليك بمالك ونواحي  
تبكي عليك بمدامع سحاح  
أحبا من الارض الخلافة ماحي

ولا يتسع المقام لتابعة تركيبات شوقي ومواقفه السياسية والدينية فيها ،  
فننتقل الى مصرياته ومواقفه من أحداث مصر الكبرى خلال حكم الخديوي  
عباس الثاني أي حتى سنة ١٩١٤ فنراه يقول أو يصمت وفقاً لموقف الخديوي  
ووجهه . ولما كان طموحه لم يقف - كما قلنا - عند حد شاعر الامير ، بل  
كان يسعى أيضاً الى أن يحظى بامارة الشعر عن طريق الصحف التي حرص  
دائماً على توثيق صلته بها وبأصحابها ومحرريها - فافنا نراه يجتال على الامر ،  
فاذا انطلق جنود الاحتلال الانجليز الى قرية دنشواي بمحافظة المنوفية في  
دلتا النيل ليصيدوا حمام الاهالي وحاول أهل القرية منعهم ، واخذ الفرع بقلب  
احدهم فانطلق يعدو كالجنون حتى سقط من وهج الشمس القائظ واتهمس  
الانجليز اهل القرية بالاعتداء على جندهم وحاكمهم فوراً محاكمة صورية قضا  
فيها شنق البعض في بيدر القرية وجلد الآخرين ، وذلك في سنة ١٩٠٦ ،  
وهاجته البلاد كلها بزعامه مصطفى كامل الذي لم يكنف باقارة شعب مصر  
ضد الانجليز الظالمين المعتدين ، بل سافر الى اوربا ليستثير ضدهم جميع  
الاحرار ، وقال الشعراء القصائد في هذا الحصاد الوطني الشهير -  
لزم احمد شوقي الصمت لأن الخديوي فيما يبدو لم يكن يريد أن يخوض  
المعركة مع الشعب بالرغم من كرهه عندئذ للمعتد البريطاني كرومر ، ولعله  
قد تلقى عندئذ من لندن وعداً بتخليصه من كرومر وبدء ما عرف بعد هذه  
الحادثة بقليل باسم سياسة الوفاق بين الانجليز والقصر وهي السياسة التي نفذها  
غورست خليفة كرومر بمصر . وأخذ الشعب المصري يتساءل عن صمت شوقي  
المريب وهو الشاعر الذي عوده متابعة الاحداث والمناسبات التافهة وغير  
التافهة ، مما اضطر أحمد شوقي بعد مرور عام على ذلك الحادث ان ينظم

مقطوعة بعنوان « ذكرى دنشواي » ومطلعها :

يا دنشواي على ربك سلام      ذهبت بأفس ربوعك الايام

وكان أحد شوقي يجهر بصداقته للزعيم الوطني الكبير مصطفى كامل عندما  
توثقت صلة مصطفى كامل بالخدوي عباس الثاني الذي أخذ يده بالعون المادي  
والادبي في محاربه للانجليز واحتلالهم لمصر بعد أن فسدت علاقة الخدوي بهم  
على أثر تجرؤ الخدوي على انتقاد نظام الجيش المصري الذي كان يتولى قيادته  
عندئذ اللورد كتشنر ، وذلك على أثر مشاهدته لعرض عسكري في وادي  
حلفا بجنوب الصعيد فغضب اللورد كرومر وطلب من الخدوي الاعتذار  
للورد كتشنر ، وأخذت الخدوي العنجهية التركية فرفض هذا الاعتذار  
ولكن وزيره رياض باشا صديق الانجليز ظل يلح عليه حتى حمله على ارسال  
برقية الى كتشنر يثني فيها على نظام الجيش ، وزادت هذه الهزيمة من الجرح  
الذي أصاب كبرياء الخدوي ، فأخذ يناصب الانجليز العداة مستخفياً ، وعن  
طريق مؤازرته السرية لحركة مصطفى كامل ، حتى كانت حادثة دنشواي  
التي عجلت بسحب كرومر من مصر وتعيين غورست خلفاً له وبدء سياسة  
الوفاق بين الانجليز والقصر الملكي ، وعلى أثر ذلك انسحب الخدوي من  
مؤازرته مصطفى كامل وحركته الوطنية ، ووجه مصطفى كامل الى الخدوي  
على صفحات الصحف خطاباً مفتوحاً يكشف فيه عن تحول موقف الخدوي  
وكانت القطيعة بينهما ، ثم أنشبت النية أظفارها في الزعيم الوطني بعد ذلك  
بقليل وراث شعراء العروبة فيما عدا شوقي الذي التزم الصمت فترة طويلة ولم  
ينطق إلا بعد أن استوثق من عدم إغضاب الخدوي . وعند ذلك فقط نظم  
قصيدته الشهيرة :

المشرقان عليك ينتحبان      قاصيها في ماتم والداني

وهي قصيدة فخمة الاسلوب قوية الرنين الموسيقي ولكن الشاعر لم يتحدث

فيها عن زعامة مصطفى كامل وجهاده الوطني مكثفياً ببعض نغمات التفجع الشخصي وقيض من التأمل في الحياة والموت وما الى ذلك من الافكار الدارجة التي تدور حول الموت والحياة مثل قوله :

دقات قلب المرء قائلة له ان الحياة دقائق وثواني

وأما غضبات شوقي الوطنية فلم تظهر الا بوحى من الخديوي عندما غضب كرومر وغاضب بالتالي أذنا به من أمثال رياض باشا الذي وقف يوماً يشيد بفضل الانجليز على مصر ونشرهم للحضارة فيهنسنا في حفل افتتاح مدرسة محمد علي الصناعية بالقاهرة وذلك رغم اشتداد الخلاف عندئذ بين عباس والعمد البريطاني كرومر فلم يكذب فجر الصباح التالي ييزغ حتى كان شوقي قد نظم قصيدته الشهيرة ضد رياض باشا وفيها يقول :

غمرت القوم اطراء وحسدا	وسم غمروك بالنعيم الجسام
خطبت فكنت خطيبا لاخطيبا	أضيف الى مصائبنا العظام
لهجت بالاحتلال ومسا انا	وجرحك منه لو احسست دامي
وما أغناه عن قسال فيه	وما أغناك عن هذا الترامي

وينجح مصطفى كامل وأحرار مصر في التعجيل بتخليص البلاد وتخليص الخديوي عباس من اللورد كرومر صاحب مذبحه دنشواي وخصم عباس اللورد، فيقام حفل رسمي شكلي لتوديع كرومر الذي يقف في هذا الحفل ليشتد بأفضال الانجليز على مصر وينسب اليهم الفضل في نهضتنا الحضارية . ويفضبه الخديوي طبعاً لأنه يريد أن يحتكر الفضل لأسرته الحاكمة ويترجم شاعره أحد شوقي عن هذا الفضب في قصيدته القوية الجامعة بين العاطفة والسخرية اللاذعة ووداع اللورد كرومر ومطلما :

أيامكم أم عهد إسميلا	أم أنت فرعون تسوس النيل
أم حاكم في أرض مصر بأمره	لا سائلا أبداً ولا مستولا

وأما مدائح شوقي في الخديوي عباس الثاني وآبائه واجداده من أسرة محمد علي فكثيرة ولا داعي للوقوف عندها . وإذا كان شوقي في مقدمة الطبعة الأولى لديوانه قد تفجع على الشعر العربي وعلى بعض من قطاعه أمثال المتنبي الذي بدد جزءاً كبيراً من طاقته الشعرية الجبارة في المديح - فإننا كنا نرجو لو استطاع أن يقف من أميره عباس الثاني موقف المتنبي من سيف الدولة مثلاً ، وإن كنا نعتقد أننا بذلك نطالبه بما يخالف طبعه وبما يخالف حقيقة عباس الثاني الذي لم يقف إلى جوار الوطنيين ضد الإنجليز المحتلين إلا لخلاف شخصي بينه وبين المعتمد البريطاني اللورد كرومر ، حتى إذا غيرت إنجلترا معتمداً وأعلنت سياسة الوفاق صالح الخديوي الإنجليزي وأعرض عن الوطنيين بل وحاربهم في السر والظهر .

وأين كل هذا من موقف سيف الإسلام حامي ثغور العرب والمحارب الشجاع الذي وقف كالسد المنيع في حلب ضد غزوات الروم مما حمل المتنبي على حبه والاعجاب به ومدحه بلغة أجمع النقاد القدماء والمحدثون على أنها كانت لغة الغزل لا المديح ، لغة الصدق والاعجاب لا الزلفى والنفاق والتقلب ، وآية ذلك أن المتنبي ظل طوال حياته يحن إلى سيف الدولة ويتغنى ببطولته وأيام إقامته إلى جواره ، وكان المتنبي من الكبرياء والاعتزاز بالنفس وبموهبته الشعرية الفذة بحيث يرى نفسه صديقاً أو ندماً لسيف الدولة لا تابعاً مداماً ، وذلك بينما نحس من مدائح أحمد شوقي أنها كانت مجرد صناعة وأنه لم يكن يمدح شخصاً معيناً هو عباس الثاني عن اقتناع و إعجاب بل كان يمدح الحاكم في شخص عباس الثاني أو في شخص الخليفة عبد الحميد ، ولا أدل على ذلك من أنه لم يكذب الإنجليز ينحون عباس الثاني عن العرش في سنة ١٩١٤ ويولون السلطان حسين كامل حتى نرى أحمد شوقي يحاول أن يتقرب من السلطان الجديد بل ومن الإنجليز الذين أتوا به إلى العرش لعله ينجو بنفسه ، وذلك في

القصيدة التي سماها « السلطان حسين كامل » واستهلها بقوله :

الملك فيكم آل اسماعيل      لا زال بيتكم يظل النيبلا

ثم يحاول التبرؤ من تبعيته لعباس تحت ستار الاخلاص للأسرة كلها  
وبخاصة لسلالة اسماعيل الذي ولد ببابه فيقول :

أخون اسماعيل في أبنائه      ولقد ولدت بباب اسماعيل

ويحاول استرضاء الانجليز في نفس القصيدة فيقول عنهم :

حلفاؤنا الاحرار الا أنهم      أرقى الشعوب عواطفاً وميولاً  
أعلى من الرومان ذكراً في الوري      وأعز سلطاناً وأمنع غيلاً  
لما خلا وجه البلاد لسيفهم      ساروا سماًحاً في البلاد عدولاً  
وأثوا بكابرها وشيخ ملوكها      ملكاً عليها صالحاً مامولاً

ومع ذلك لم ينفعه استرضاء السلطان حسين كامل ولا استرضاء الانجليز  
ولا تبصله الخفي من التبعية والولاء لعباس الثاني فحمله الانجليز على مغادرة  
البلاد منفياً بعد عزل مولاه عباس الثاني عن العرش . وبيده حياته في المنفى  
بمدينة برشلونه الاسبانية التي اختارها هو نفسه موطناً تبتدىء مرحلة جديدة  
في حياة أحمد شوقي .

### المنفى والاندلسيات

عندما نشبت الحرب العالمية الاولى في سنة ١٩١٤ بين المانيا والحلفاء كان  
الحديوي عباس الثاني غائباً عن مصر في زيارته الصيفية لتركيا . فأعلن  
الانجليز الحماية البريطانية على مصر وانقضاه تبعيتها لتركيا وعزلوا عباس  
الثاني عن العرش ومنعوه من العودة الى مصر ، وتوجس شاعره أحمد شوقي

خيفة وحارون ان يسترضي السلطان الجديد حسين كامل وأن يسترضي الانجليز وأن يتنصل - كما قلنا - من ولاته لعباس الثاني وتبعيته له ، ولكنه لم ينجح في محاولته وطلب اليه الانجليز مغادرة البلاد الى المنفى تاركين له حرية اختيار البلد الذي يريد أن يقيم فيه فاختار اسبانيا المحايدة وفضل ميناءها اشبيلية باعتبارها أقرب ميناء الى مصر . وحدث أثناء إقامته في اشبيلية أن أرسل اليه عباس الثاني يدعوه الى الإقامة معه في «فيناء» ولكن أحمد شوقي الخائف من الانجليز اعتذر في لباقة عن قبول دعوة مولاه السابق بحجة خوفه من الغواصات الألمانية التي كانت تعمل عندئذ في البحر الابيض المتوسط ، وبخاصة وأن شوقي كان قد استطاع عن طريق السفير البريطاني في مدريد أن ينظم عملية وصول ما يلزمه من مال من وكيل املاكه في القاهرة ، وبذلك مرت فترة النفي على أحمد شوقي في دعة واستقرار نسبيين وظل مقيماً في أشبيلية طوال مدة الحرب ، ولم يحاول أن يتركها ليرتحل في بلاد الاندلس أو غيرها من المدن الاسبانية إلا بعد أن وضعت الحرب اوزارها وتأهب أحمد شوقي ومن معه من أفراد أسرته للعودة الى الوطن . غير أن الانجليز لم يسارعوا بالسماح له بالعودة بل ماطلوا بعض الوقت . وهذه المدة التي مرت بين انتهاء الحرب سنة ١٩١٨ والسماح للشاعر بالعودة الى الوطن سنة ١٩٢٠ هي التي قام فيها الشاعر بزيارة الآثار الاندلسية في نواحي الاندلس المختلفة وقرطبة وغيرها .

وكان الشاعر قد أنفق سنوات النفي في القراءة وبخاصة قراءة كتب التاريخ العربي القديم عامة وتاريخ الاندلس خاصة ومن بينها كتاب « نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب » للمقري . ومن حصيلة هذه القراءات وما سبقها كتب أحمد شوقي أرجوزته الكبيرة التي سبق أن أشرنا اليها عن دول العرب وعظماة الاسلام . ولما كانت حياة شوقي في أشبيلية حياة مقيدة مجدبة من تجارب الحياة الحية النابضة - فان استغراقه في الكتب والمطالعات قد وجهه نحو المعارضات الشعرية ، وكأنه يدخل بذلك في مسارقات مع الشعراء

أقدماء . وهناك من أوجه الشبه بين أرجوزة شوقي وأرجوزة أبي عبد الله ابن الخطيب ذي الوزارتين المسماة « رقم الحلل في نظم الدول » ما يوحي بأن شوقي قد قصد إلى معارضته . وعلى أية حال فإن مسنده الأرجوزة رغم ضخامتها لا نعتبرها من روائع شوقي ، بل نعتبرها أقرب إلى النظم التعليمي منها إلى الشعر كما سبق أن قلنا .

هذا ، ولقد انتهز أحد أساتذة الأدب العربي الشبان وهو الدكتور صالح الاشر فرصة وجوده في فرنسا مبعوثاً من جامعة دمشق لكي يقوم ومراجعته بين يديه إلى الاندلس في إسبانيا برحلة حاول أن يتابع فيها مساعده استطاع ، رحلة أحمد شوقي فيها ، ليدرس على الطبيعة ما أخذه أحمد شوقي في أندلسياته عن مشاهد البصر وما استقاه مما قرأ من كتب التاريخ والأدب الأندلسيين ، وسجل الدكتور الاشر نتائج بحثه ورحلته في كتابه أندلسيات شوقي الذي نشره سنة ١٩٥٩ . وقد شمل كتاب الدكتور الاشر دراسة كل ما كتبه أحمد شوقي نثراً وشعراً منذ ركوبه السفينة من السويس إلى المنفى ، حتى عودته إلى الوطن بما في ذلك الفصل النثري الذي كتبه الشاعر ونشره ضمن مجموعة مقالاته النظرية المعروفة باسم « أسواق الذهب » وعنوان هذا الفصل « قناة السويس » حتى القصيدة التي نظمها أحمد شوقي بعد عودته من المنفى في سنة ١٩٢٠ والقاهها في اجتماع لجان التموين بدار الأوبرا في ذلك العام ، وفيها يشيد بذكر البلاد التي آوته ويعترف بحميلها ثم يتحدث عن استقبال وطنه له استقبالا رائعا بعد تلك الغيبة الطويلة ، وفي النهاية ينتقل إلى مسألة التموين التي انعقد الاجتماع من أجلها .

والقصيدة منشورة في الجزء الاول من « الشوقيات » بعنوان « بعد المنفى » وقد استهلها بقوله :

أناذي الرسم لو ملك الجوابا وأجزيه بدمعي لو أظابا



وفيها أبياته الخالدة في التغني بالوطن والتغالي في حبه :

ويا وطني لقيتكم بعد ياس      كأني قد لقيت بك الشبابا  
وكل مسافر سيؤوب يومياً      إذا رزق السلامة والإيابا  
ولو أني دعيت لكنت ديني      عليه أقابل الحتم المحابا  
أدير إليك قبل البيت وجهي      إذا فهت الشهادة والمسابا

ومن أروع وأجل ما قاله احمد شوقي من شعر في منفاه حينه إلى الوطن  
مثل رسالته الشعرية الرائعة - التي أرسلها من برشلونه سنة ١٩١٧ إلى  
حافظ إبراهيم مخاطباً من خلاله ساكني مصر كلهم بقوله :

يا ساكني مصر إنا لا نزال على      عهد الوفاء وان غبنا مقيمينا  
هلا بعثتم لنا من ماء نهركم      شيئاً نبيلاً به أحشاء صاديننا  
كل المناهل بعد النيل آسنة      ما ابعد النيل إلا عن أمانينا

ويرد حافظ إبراهيم على رسالة شوقي بأجل منها قائلاً :

عجبت للنيل يدري أن بلبله      صاد ويسقي ربي مصر ويسقينا  
والله ما طاب للأصحاب مورده      ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لنا  
لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه      وقد نأينا وإن كنا المقيمينا

وفي نفس السنة يكتب شوقي إلى إسماعيل صبري شاكياً متوجماً  
في قوله :

يا ساري البرق يرمي عن جوانحه      بمد الهدوء ويهمي عن مآقينا  
ترقرق الماء في عين السماء وما      غاض الأسى فحضبنا الأرض باكيننا

ويرد عليه الشاعر الرقيق إسماعيل صبري قائلاً :

بأفق أندلس برق يميننا      بيت يضحك منا وهو يبكينا  
يا آل وديّ عودوا لا عدتمكم      وشاهدوا ويحكم فعل النوى فينا  
ويا نسمة ضمخت أذيالها سحراً      أزهار أندلس هبي بواديسا

وأما القصيدتان الكبيرتان اللتان يتخللها نسيم الأندلس العطر وماضيها  
الجيد وحديث عن بعض آثارها الخالدة فهما القصيدتان اللتان عارض في  
إحدهما الشاعر العباسي الكبير البحتري صاحب قصيدة « الإيوان » :

صنت نفسي عما يدنس نفسي      وترفعت عن جدا كل جبس

التي عارضها أحمد شوقي في قصيدة « الرحلة إلى الأندلس » وقد صدرها  
بمقدمة تحدث فيها عن سينية البحتري وإعجابها بها وتردد أبياتها في خاطره  
وهو يشاهد آثار طليطلة وقرطبة وغرناطة . وهو يستهل هذه القصيدة  
الرائعة بقوله :

اختلاف النهار والليل ينسي      اذكرا لي الصبا وأيام أنسي

ومع ذلك فإن حديثه فيها عن مصر ومشاهدها وحنينه إليها أقوى  
وأروع من حديثه عن الأندلس وآثارها الخالدة ، ويخيل إلينا أن الدكتور  
صالح الأشقر كان على حق عندما رجح في كتابه ان شوقي لم يصل في جودة  
الوصف في هذه القصيدة الى مثل ما وصل اليه البحتري في وصف آثار إيوان  
كسرى وإن يكن من المؤكد أن شوقي قد وصل في أبيات الحنين الى الوطن  
التي تضمنتها هذه القصيدة الى الذروة في مثل قوله :

أحرام على بسلابله الدو      ح حلال للطير من كل جنس  
وطني لو شغلت بالخلد عنه      نازعتني إليه في الخلد نفسي  
شهد الله لم يغب عن جفوني      شخصه ساعة ولم يخل حسني

وأما القصيدة الأخرى ففسد عارض فيها الشاعر الأندلسي الرقيق ابن زيدون في قصيدته التي مطلعها :

أضحى التناهي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

اذ عارضها شوقي بأندلسيته الشهيرة التي مطلعها :

با نائح الطلح أشباه عوادينا نسجي لواديك أم نأسي لوادينا

ولو أننا أضفنا إلى هاتين القصيدتين الموشح الذي نظمته عن صقر قرش عبد الرحمن الداخل ، ثم قصيدة كتبها في رثاء أمه التي كان يرجو أن يتمكن من رؤيتها وهي مريضة بجلوان قبل أن تموت ، ولكن تلكم الإنجليزية في السماح له بالعودة إلى الوطن حال دون رؤيته لها وجاءه البرق ينمينا فأثر هذا الحادث الجسم في نفسه تأثيراً بالغاً ولم تفض ساعة حتى كتب هذه المرثية ، وقد قيل انه من فرط تأثره بها تحاشى أن ينظر فيها بعد ذلك فبقيت ضمن أوراقه الخاصة حتى نشرت في الصحف غداة وفاته ومطلعها :

إلى الله اشكو من عوادي النوى سها أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى

وهي مرثية ليست بالبداهة اندلسية في شيء عدا أن كتبها وهو لا يزال منفياً في الأندلس .

### بعد المنفى

وعاد أحمد شوقي إلى الوطن في سنة ١٩٢٠ حيث استقبل استقبالاً شعبياً رائعاً ، وحيث وجد سيداً جديداً قد ظهر في الميدان وهو الشعب الذي قام بثورة سنة ١٩١٩ العاتية مطالباً بانتهاء الحماية البريطانية على مصر وإعلان استقلالها وتخليصها من الاحتلال الإنجليزي ووجد أحمد فؤاد متربعاً على عرش

البلاد كسلطان ، وحاول أحمد شوقي التقرب من أحمد فؤاد ولكنه لم ينجح في هذه المحاولة الا بمقدار ولذلك ظل موقفه الوطني اول الامر متأرجحاً لا يجاري الشعب الى نهاية الشوط في حاسته الوطنية الجارفة ولا يجرؤ على مغاضبته ارضاء للسلطات الحاكمة التي كانت أميل الى الترقق والملاينة مع الانجليز ، ولعلنا نلمح هذا الموقف واضحاً في القصيدة التي نظمها في سنة ١٩٢٠ عن مشروع ملتر الذي اجمع الوطنيون على رفضه ومقاطعة لجنته كلها مقاطعة تامة ، ومع ذلك نرى أحمد شوقي يدعو مواطنيه الى قبوله قائلاً في هذه القصيدة :

لا تستقلوه فما دمركم بحاتم الجود ولا كعبه

بما كان له وقع سيء في نفوس المواطنين. وأحسن شوقي بزلته فعدل عن روح التخاذل، وصدر عن روح وطنية شعبية في القصيدة التي نظمها بعد ذلك بعامين عن مشروع ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الذي اعلن فيه الانجليز نهاية الحماية البريطانية وقيام الملكية في مصر وتولية أحمد فؤاد السلطان ملكاً على عرشها، وان كانوا قد شفعوا هذا التصريح بتحفظات أربعة فرغت الاستقلال من مضمونه الحقيقي ، زهي تحفظات خاصة ببقاء جيش الاحتلال في البلاد وحماية قناة السويس وما سموه الاقليات ، وقضية السودان الذي كان المصريون والسودانيون يطالبون عندئذ بالتحاده مع مصر التي تتكون من وحدة الوادي . فشوقي يستهل هذه القصيدة بقوله :

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبنا وفاز بالحق من لم يأله طلبنا  
وما قضت مصر من كل لبانتها حتى تجر ذبول العبطة القشيبنا

وعلى أية حال فان المتبوع لانتاج أحمد شوقي الشعري بمسند عودته من المنفى يحس في وضوح بتطوره المستمر نحو الاقتراب من الشعب ومن قضاياه الوطنية والاجتماعية ثم تطوره مع الشعب ايضاً نحو الاحساس القوي بالتضامن

والقومية العربية ، فشوقي يتابع المد الوطني والثوري والقومي لشعبه ولأمت  
العربية كلها ويحزن عندما يدب الخلاف بين صفوف الزعماء الذين قاموا  
متحدين بثورة سنة ١٩١٩ وعندما يصل هذا الخلاف إلى حشد تهديد قضية  
الوطن ذاتها يصبح شوقي بهؤلاء الزعماء صيخته الخالدة سنة ١٩٢٤ في القصيدة  
التي نظمها عندئذ بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم مصطفى كامل  
باشا وسماها شهيد الحق واستهلها بقوله :

إلام الخلف بينكم الاما      وهذي الضجة الكبرى علاما  
وفيم يكد بعضكم لبعض      وتبدون العداوة والخصاما  
وأين الفوز لا مصر استقرت      على حال ولا السودان دامما

وظل شوقي يحرس بشعره المشاعر الوطنية ويرعى وحدة الوطن القائمة  
على المحبة بين المسلمين والأقباط ، وهي خطة انتهجها منذ حادثة اغتيال  
المرحوم بطرس باشا نجالي ونظم عندئذ في الدعوة إلى إطفاء نار الفتنة وتوثيق  
عرى المحبة والائتاء بين أبناء الوطن مسلمين وأقباط .

وبالبداهة لم يعد شوقي ينظم في مشاهد الطبيعة في الآستانة والبوسفور  
وما إليها من الأراضي التركية ، بل أخذ يكتب التاريخيات والوصفيات عن  
مصر والبلاد العربية الأخرى حتى زخرت الشوقيات بالقصائد المصرية  
والعربية وأقامت التوازن بل رجحته مع التركيات والخلافيات ، وبخاصة  
بعد أن وفق العالمان الانجليزيان الأثريان اللورد كارتو والمستر كلرنفور الى  
اكتشاف قبز توت عنخ آمون الرائع في وادي الملوك في الأقصر ، حيث نظم  
أحمد شوقي قصيدته الرائعة « توت عنخ آمون » التي تغنى فيها بأبجداد مصر  
القديمة وما خلفت من آثار رائعة أجل الفناء ، ومطلعها :

قفي يا أخت يوشع خبيرنا      أحاديث القرون الغابرينا

كما نظم قصيدة أخرى بعنوان « قوت عنخ آمون وحضارة مصر » استهلها بقوله :

درجت على الكنز القرون      وأتت على الدن السنون  
خير السيوف مضي الزما      ن عليه في خير الجفون

ونستطيع أن نضيف هاتين القصيدتين إلى قصائده عن النيل والامرام وأبي الهول ، ووصفياته المصرية الأخرى لتبين الثروة الشعرية الكبيرة التي خلفها هذا الشاعر غداء وطنياً لبني وطنه .

وأخذ اهتمام أحمد شوقي بالاقطار العربية الشقيقة ومعارك شعوبها ضد الاستعمار يزداد شيئاً فشيئاً حتى رأيناه ينظم في نكبة دمشق سنة ١٩٢٥ وفي « نكبة بيروت » وفي « ذكرى استقلال سوريا وذكري شهدائها » كما رأيناه يكتب الوصفيات عن مشاهد الاقطار العربية. وجبل لبنان وزحلة وغيرها .

وهو في تلك الفترة من حياته لم يعد يحرص على مناسبات البيت الحاكم بقدر حرصه على المناسبات الشعبية فنراه يخاطب الشبان حيناً ، والطلبة حيناً ، والعمال حيناً ثالثاً ، بل وفاجأ الموت بعد فراغه مباشرة من تأليف قصيدة طويلة يحيي بها مشروع القرش الذي نهض به الشبان في سنة ١٩٢٢ . وهو يشيد في تلك الفترة بالجهودات الشعبية وبالمشروعات العمرانية التي يعود نفعها على الشعب كالنشاء طلعت حرب لبنك مصر وانشاء الدولة للجامعة المصرية الحكومية سنة ١٩٢٥ . وعلى أية حال فقد كان هذا التطور طبيعياً ، فشوقي بعد عودته من المنفى لم يعد الى القصر الملكي وإنما طمخ الى عضوية البرلمان وتحقق طموحه بتعيينه عضواً في مجلس الشيوخ ، كما طمخ الى اماره الشعر في العالم العربي وبويح بهذه الامارة كما قلنا بمناسبة اعاده طبع ديوانه

« الشوقيات » سنة ١٩٢٧ وهي السنة التي بلغ فيها شوقي قمة مجده واحس بأنه قد حقق كل أمانيه وأصبح من حقه أن يحرر موهبته الشعرية من كل القيود لينطلق الى فن أعجب به منذ إقامته طالباً في فرنسا وحاوله وهو لا يزال طالباً ، ثم عدل عنه إلى فن القصيدة عندما استرقه طموحه فأخضعه لسيطرة القصر المالك الذي اتخذه ثابتاً له وبقاً ولسان مدح ، ونعني بهذا الفن الجديد « فن المسرحية » .

### مسرحيات شوقي وقصصه

حدثنا أحمد شوقي - كما رأينا من قبل في مقدمة الطبعة الأولى من ديوانه سنة ١٨٩٨ كيف أنه أعجب بالأدب والشعر الفرنسيين أثناء إقامته في فرنسا وود أن لو لهما الشعر العربي الحديث نحوه وخرج عن مجاله التقليدي الى مجالات أوسع وإلى فنون جديدة كما حدثنا كيف أنه شرع هو نفسه في محاكاة ذلك الأدب فكتب مجموعة من الأفاصيص الشعرية القصيرة على السنة الحيوانات وللأطفال على غرار أفاصيص لافونتين الشهيرة . والجزء الرابع من الشوقيات يضم عدداً كبيراً من الأفاصيص الجميلة كما ترجم قصيدة البحيرة للامارتين .

وأما الفن الكبير الذي يلوح أنه قد علق بنفسه ورأى فيه مجالاً لاشباع طموحه الشعري والأدبي فقد كان فن المسرحية ، بل ويلوح أن أحمد شوقي كان شخصياً من هواة المسرح لا في فترة شبابه فحسب بل طوال حياته ، وهو الرجل المنعم الذي يهوى متع الحياة الحسية والمعنوية حتى لتراه ينظم قصيدة في الطلاب المصريين الذين يطلبون العلم في أوروبا فيحثهم على اقتناص المتع أو على الأقل يبيحها لهم ومن بينها المتعة بالمرأة والمتعة بالمسرح فيقول :

والله لا حرج عليكم في حديث الغانية

و في اشتهاه السحر من لحظ العيون الساجية  
أو في المسارح فهي بالنفس اللطيفة راقية .

والذي لا شك فيه أن أحمد شوقي قد تردد على المسارح الفرنسية أثناء  
دراسه في فرنسا ، وبخاصة مسرح الكوميدي فرانسيز بباريس ، وهو مسرح  
الدولة الذي كان ولا يزال يعرض المسرحيات الكلاسيكية الشعرية بنوعيتها  
المأساة والمهابة ، أو التراجيديا والكوميديا ، وبخاصة مسرحيات راسين وكورني  
وموليير ، ولا شك أنه قد اتجه الى محاكمتها ، ورأى شعراء التراجيديا  
يستمدون موضوعاتهم من تاريخ اليونان والرومان القدماء وأساطيرهم لأنهم  
يعتبرون هذا التاريخ وتلك الاساطير تراثهم القومي ، ويرون كما قال كورني  
أن الحوادث الروائية حتى التي تعتبر في نظر العقل المجرد خارقة ، لا يلبث  
أن يألفها العقل ويستسيغها عندما تقدم اليه كحوادث تاريخية وقعت بالفعل ،  
وذلك بينما استقى موليير على نحو ما فعل عملاق الكوميديا الاغريقي ارسطوفان  
من قبل موضوعات كوميدياته من الحياة المعاصرة وما فيها من مأخذ .

وابتداء أحمد شوقي يتجه نفس الاتجاه فعاد إلى تاريخه القومي الذي رآه  
ذا شعبتين : تاريخ مصر - وتاريخ العرب ، يبحث فيها عن موضوعات  
تصلح لكتابة المآسي الشعرية أو النثرية . وابتداء من وقت مبكر ومنذ سنة  
١٨٩٣ أو قبلها بكتابة أول مأساة شعرية ألفها وهي الطبعة الاولى من  
مسرحية « علي بك الكبير » أو ما هي دولة المماليك ، وهي مسرحية أخذ  
موضوعها من تاريخ مصر الحديث واستهدف منها تصوير حياة الظلم والفقر في  
حكم المماليك . وهو لا يصور فيها غدر محمد بك أبو الذهب بسيدته علي بك  
الكبير فحسب ، بل يصور أيضاً ظلم هؤلاء المماليك للشعب وابتزاز أمواله  
بالقسوة والعنف ، ولكنه لسوء الحظ صور الشعب فيها ذليلاً خاضعاً على  
نحو ما نحس من الحوار الذي يجري بين إقبال زوجة علي بك الكبير وجاوي



الضرائب والمكوس «حنا» إذ جاءها بحصيلة ضخمة فسألته :

وبأيما كيفية تحصلها      ومن الجبابة فمن شر جبابة  
هل في دم الفلاح سر الكيمياء      أم هل يدين لكل باغ عاني  
ويجيبها حنا قائلاً :

تحصيلها سهل مع القرصات والكيات والجلدات والشنقات  
والضرب فوق الظهر وهو مطاوع      والضرب فوق البطن وهو مواتي  
وأمر من ذابيح واحدة النعا      ج أو التي بقيست من البقرات  
فهل صحيح أن ظهر هذا الشعب مطاوع وبطنه مواتي ؟

وأرسل أحمد شوقي - كما سبق أن اوضحنا - هذه المسرحية من فرنسا  
إلى الوزير رشدي الذي اطلع عليها الخديوي فتفككه بها وأحس شوقي أن  
الخديوي لا يريد منه مسرحيات بل يريد مدائح ، وأن تقاليد الشعر العربي  
أشد ضراوة من أن يهجم عليها ، فأقلع عن الاستمرار في هذا الفن وعاد إلى  
كتابة القصائد والمدائح وإن ظل الفن القصصي يراد خياله . والظاهر أنه قد  
وجد بعد عودته من فرنسا حلاً وسطاً يلائم بين رغبة القصر وتقاليد الشعر  
العربي من جهة وبين إعجابه بالفن القصصي وهو أينسه له من جهة أخرى ،  
فأيناه يلتزم في شعره مقتضيات القصر والتقاليد ، وينصرف إلى النثر ليكتب  
فيه في أواخر القرن الماضي وأول القرن الحالي أربع قصص نثرية تاريخية  
بأسلوب قريب الشبه بأسلوب المقامات ، وتلك القصص هي « لادياس سنة  
١٨٩٩ » و « عذراء الهند » و « ورقة الآس » و « محاورات بينتاؤور »  
سنة ١٩٠٠ ، وبعض هذه القصص عن فترات تاريخية سيتخذها أحمد شوقي  
فيما بعد موضوعاً لبعض مسرحياته الشعرية التي كتبها في السنوات الأخيرة  
من حياته مثل قصة « لادياس » التي تتصل أحداثها بمسرحية قميز .

استمر شوقي اذن بعد عودته من فرنسا وتوثيق صلته بعباس الثاني يسير على تقاليد الشعر العربي ويحصر إنتاجه في فن القصيدة الشعرية وفي الاغراض التي حددتها ظروف حياته الرسمية . ولكننا رأينا كيف أن انفصاله عن الخديوي ونفيه في اسبانيا قد قلب صفحة حياته وابتدأ صفحة أخرى منها وهي صفحة تحرر موهبته الشعرية من سيطرة القصر وانطلاق تلك الموهبة نحو قضايا الوطن والعروبة من جهة ومجالات القول الواسعة من جهة أخرى .

وفي فترة ما بعد الحرب الأولى شن النقاد وبخاصة الاستاذ عباس محمود العقاد حملة عنيفة على منهج شوقي التقليدي في الشعر وعلى استرقاق المناسبات لموهبته الشعرية ، وكان فن المسرح قد ازدهر في مصر بنوعيته التراجيدي والكوميدي ازدهارا كبيرا ولاحظ احمد شوقي كما لاحظ اساتذة الادب ونقادهم أن عالمنا العربي قد عرف فن التمثيل منذ ثلاثة أرباع القرن أي منذ أن ألف مارون نقاش بالعربية ومثل أول مسرحية عربية مؤلفة في بيروت سنة ١٨٤٨ ، ومع ذلك لم يخلق فن التمثيل أدبا دراميسا يستطيع الخلود والانضمام الى تراثنا الادبي بقوة صياغته وارتفاع مستواه الادبي . وكان شوقي قد حقق مطعمه الاكبر بإعلان العرب لامارته على الشعر العربي التقليدي في سنة ١٩٢٧ ، فأحس انه يستطيع أن يزاوِل هويته المكبوتة وأن يبدأ بخلق الشعر الدرامي المتين الصياغة في أدبنا العربي ، وبالفعل أخذ يؤلف وينشر تباعا منذ سنة ١٩٢٧ سلسلة مسرحياته الشعرية التي ابتدأها بمسرحية «مصرع كليوباتره» ثم أتبعها بمسرحيات « مجنون ليلى » و « عنقرة » و « قبيز » كما أعاد كتابة مسرحية « علي بك الكبير » بأسلوبه الشعري الذي نضج واستحصد واكتسبت له خصائصه المميزة . ولأمر غير مفهوم كتب مسرحية « اميرة الاندلس » نثرا ، مع أن بطلها أو أحد أبطالها الرئيسية وهو المعتمد ابن عباد كان شاعرا ، وقد ضمن أحمد شوقي مسرحيته بعض مقطوعات من شعره . واخيراً أراد أن يعالج أيضاً فن الكوميديا العصرية فكتب كوميديا

«الست هدى» شعراً، ولكن بلغة تختلف عن لغته المألوفة، وبها الفاظ وتعبيرات شعبية أو شبه شعبية وذلك بحكم أن موضوعها شعبي، وحوادثها تجري في حي الخنفي الشعبي بقسم السيدة زينب بالقاهرة وهي تنتقد طمع الأزواج في أموال الزوجات، إذ نرى الست هدى تتزوج تسع أزواج تباعاً وبعد موت كل منهم، حتى إذا كان التاسع وظن أنه هو الذي سيرث الست هدى اتضح له عند موتها أنها قد أوصت بماله لغيره. ولبعض جهات البر، فخابت مطامعه.

وعندما ابتدأ أحمد شوقي في كتابة تراجمياته الشعرية، كان الطابع الغنائي والأخلاقي قد استبدت بوهبته القوية، وبحيث لم يستطع التخلص من هذا الطابع ليتخذ الطابع الدرامي الخالص. ولقد نشر الدكتور شوقي ضيف في كتابه «شوقي شاعر العصر الحديث» بالزنگوراف صفحات بخط يد شوقي من مسرحية «مجنون ليلى» ومن هذه الصفحات يتضح أن أحمد شوقي لم يكن يكتب حواراً عند تأليفه هذه المسرحيات بل كان يكتب قصائد ثم يوزع هذه القصائد بين المواقف التي تتضمنها المسرحية. ومن هنا غلب الطابع الغنائي والأخلاقي على مسرحياته وضعف الطابع الدرامي وبطوت الحركة المسرحية لشدة طول الكثير من أجزاء الحوار، حتى ليبلوح أحياناً كثيرة أن الممثل لا يحاور زميله بل يسمعه قصيدة رائعة من الشعر.

ولا يتسع المجال لدراسة تحليلية دقيقة لمسرحيات شوقي التي سبق لنا أن ألقينا عنها سلسلة من المحاضرات في المعهد العالي للدراسات العربية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية، ونشرت هذه المحاضرات في كتاب مستقل. ولذلك نكتفي بأن نلاحظ ضعفاً واضحاً في الفن الدرامي عند شوقي وهو عدم نجاحه في حملنا على التعاطف مع أبطال مآسيه، والانفعال بما أصابهم من محن، وذلك لاضطرابه في تحديد هدفه وفي تصوير شخصياته وتحديد أبعادها.

فهو مثلاً يحاول أن يصور كليوباتره في صورة الملكة المصرية المخلصة لوطنها ومع ذلك يقدمها في المسرحية وسط مشاهد البذخ والاغراء التي تعددها لتصطاد انطونيو ، كما لا يستطيع أن يقنعنا بأنها لم تكن غادرة عندما سحبت اسطولها من معركة أكتيوم ثاركة عشيقها انطونيو يجابه العدو، وهو في مسرحية « قبيز » يحدثنا عن تيتاس الفتاة المصرية التي ضحت بنفسها في سبيل الوطن وقبلت الزواج من قبيز حتى يتنصع عن غزو مصر ، ولكنه في نفس المسرحية يشوه بطولتها الوطنية عندما ينبئنا أن تيتاس كانت تعاني اليأس من خطيب انصرف عنها الى غيرها رغم حبها له .

على أن المآخذ الدرامية على مسرحيات شوقي لا تفقد هذه المسرحيات قيمتها الشعرية الغنائية الرائعة ، كما أنها لا تنفي عنها أنها أصبحت ركيزة الشعر الدرامي في أدبنا العربي المعاصر وأن كتابة أمير الشعراء لها قد رفعت الكتابة للمسرح الى مستوى الأدب الرفيع . وهذه القيمة الغنائية للمسرح شوقي هي التي دفعتمني في كتابي عن « مسرحيات شوقي » الى أن أقرر أن هذه المسرحيات وبخاصة « مصرع كليوباتره » و « مجنون ليلى » و « عنقرة » لو أتبع لها ملحن موسيقي كبير واصوات غنائية قادرة على الغناء المسرحي لاصبحت من روائع الاوبرا التي نعتز بها . ولقد قام الموسيقار محمد عبدالوهاب بتلحين وغناء اجزاء من هذه المسرحيات فلاقته نجاحاً شعبياً كبيراً مثل مقطوعة :

أنا انطونيو وانطونيو أنا ما لروحينا عن الحب غنى

في مصرع كليوباتره ، ومقطوعة جبل التوباد في « مجنون ليلى » .

وأما كوميديا « الست هدى » فإنها بطبيعتها لم تفسح المجال لطاقة شوقي الغنائية ولذلك ظل حوارها في نطاق الفن الدرامي الذي تنتمي اليه وهو فن الكوميديا الاجتماعية ، وأظهر فيها شوقي روحاً نقدية ساخرة لطيفة .

وإذا كان جمهور المسرح في قطرنا المصري لا يقبل اقبالاً كبيراً على المسرحيات الشعرية الرفيعة الأسلوب ، فإننا نعتقد أن هذا الوضع يمكن أن يتغير تغييراً تاماً إذا استطعنا أن نقدم له هذه المسرحيات كإبريات .

### شوقي والنقاد

لا شك أن أحمد شوقي قد توفرت له من ظروف المركز الاجتماعي الرسمي والثروة والوجاهة ما ساعد على اشتعال شهرته ، كما لا شك في أنه كانت من المهارة بحيث استطاع أن يستخدم عدداً من الوسائل التي زادت من شهرته اشتعالاً ، حتى انتهت به إلى أماراة الشعر بعد شعر الامارة ، وكانت من أهم الوسائل التي استخدمها اتصاله بالصحافة والصحفيين واصطناعهم بكافة السبل للإشادة بفضله وعبقريته ونشر قصائده في أبرز مكان في صحفهم ، ثم مصادقته للمغنين والملحنين وبخاصة محمد عبد الوهاب الذي لازمه ملازمة الظل منذ سنة ١٩٢٤ ، وكتب له عدداً من القصائد والاعشاني التي لا يزال لحن محمد عبد الوهاب وصوته الممتاز يتردد بها حتى اليوم وشاركته في ذلك مطربتنا العربية الكبيرة السيدة أم كلثوم ، والصحافة والفنساء من أقوى وسائل الاتصال بالجمهور والتأثير فيها .

ولسنا ندري إلى أي حد تورع أو لم يتورع أحمد شوقي في اصطناع كل هذه الوسائل ، ولكن الذي ندريه عن يقين هو أن شهرته أخذت تعلق حتى غمرت بظلالها معاصريه ، وكان شأن الجيل اللاحق له من الشعراء أكثر احساساً وضيقاً بهذه الظلال من شعراء جيله أمثال حافظ إبراهيم وخليل مطران وإسماعيل صبري . وهذه حقيقة لا يمكن أن تغفل الإشارة إليها عندما نعرض للحملة النقدية العنيفة التي شنها جماعة الجيل الجديد عندئذ التي تكونت في أوائل هذا القرن من عبد الرحمن شكري وإبراهيم عيسى

القادر المازني وعباس محمود العقاد، وان يكن من الظلم أن نزعهم أن الدافع الى هذه الحملة النقدية كان شخصياً فحسب، إذ الواقع أن هذه الجماعة والجماعة التي سارت في خط مواز لها - وهي جماعة شعراء المهجر - قصد أتوا الى الشعر العربي الحديث من آفاق تأثرت تأثراً عميقاً بالشعر والادب الاوروبيين ونظرت الى تقاليد الشعر العربي القديم من خلال ثقافتها الشعرية والنقدية الاوروبية وأحست أنه إذا كانت النهضة الشعرية الجديدة قد ابتدأها شاعر البعث محمود سامي البارودي، ووجه الاديب الازهري الكبير الشيخ حسين المرصفي في كتابه « الوسيلة الأدبية » الاذواق نحو روائع الشعر العربي القديم وأساليبه الجميلة الاصلية، ومع ذلك استطاع محمود سامي البارودي أن يصدر في شعره عن ذات نفسه وتجارب حياته الحية - فانهم قد كانوا على حق عندما أخذوا على شوقي عودته بالشعر العربي الحديث بعد البعث الى التقاليد القديمة وجنوحه به الى المذائح والمناسبات العارضة ورأوا فيه رائد الشعر التقليدي الذي احصوا بأنه لم يعد يساير ذوق العصر ومطالب العقل والقلب في عصر اخذت تتوثق فيه صلاتنا الحضارية والفنية بالحضارة والآداب والفنون العالمية وبخاصة في اعقاب العصر الرومانسي الذي أخذت فيه شخصية الشاعر تظهر في شعره ظهوراً واضحاً لا شبه له في شعر شوقي .

وإذا كان عقل المهجريين المفكر ومستشار الرابطة القلمية ميخائيل نعيمة قد اخذ يكتب المقالات العنيفة منذ سنة ١٩١٧ في الصحف والمجلات العربية بالمهجر الامريكي الشمالي ضد الاتجاه التقليدي في الشعر العربي الحديث دون أن يصرح باسم أحمد شوقي، ثم يجمع هذه المقالات بعد الحرب العالمية الاولى في كتابه النقدي الشهير « الغربال » فان زملاءه في الدعوة الى التجديد من شعراء مصر الشبان لم يحجموا عن شن معركة عاتية ضد الادباء والشعراء التقليديين وعلى رأسهم أحمد شوقي الذي انفرد بما جمعه ونقده الاستاذ عباس

محمود العقاد الذي اتقى في اعقاب الحرب العالمية الاولى مباشرة مع زميله  
المرحوم ابراهيم عبد القادر المازني ، على اصدار كتاب من عشرة اجزاء باسم  
« الديوان » يكتب كل واحد منها في كل جزء منه فصلا أو فصولاً في نقد  
اديب شاعر تقليدي ، ولحسن الحظ أو سوئه لم ينشر العقاد والمازني غير  
جزئين فقط من هذا الكتاب في سنة ١٩٢١ ، وفيها حمل العقاد على أحمد  
شوقي حملة بالغة العنف بل مسرفة الى حد يكاد يختلط فيه الحق بالباطل

ولقد تناول الاستاذ العقاد عددا من قصائد شوقي كثرائه لمصطفى كامل  
وغيره بالنقد التفصيلي ليظهر ما يراه فيها من تفكك وسطحية في العاطفة  
ومبالغة وولوع بالأعراض دون الجواهر وتفكك في بناء القصيدة وانعدام  
للوحدة العضوية فيها حتى رأيناه يعيد تركيب أبياتها تقدما وتأخيرا دون  
ان تضطرب فيما يرى معانيها ، وهي وجهات نظر سبق ان ناقشناها في الجزء  
الاول من كتابنا عن « الشعر المصري بعد شوقي » كما ناقشناها بتفصيل اكبر  
في سلسلة مقالات كتبناها عن الاستاذ « العقاد ناقداً » في مجلة « المجلة » .  
ولكن النقد العام الذي وجهه الاستاذ العقاد لشعر شوقي كله هو اختفاء  
شخصية شوقي من شعره حيث قال « في شوقي ارتفع شعر الصنعة الى ذروته  
العليا وهبط شعر الشخصية الى حيث لا تتبين لمحة من الملامح ولا قسمة من  
القسمات التي يتميز بها انسان بين سائر الناس » وشعر الصنعة ليس على نهج  
واحد كله ، فتمه ما هو زيف فارغ لا يمت الى الطبيعة بواشجة ولا صلة وليس  
فيه الا لفظ ملق وتقليد براء من الحس والذوق البراعة ، ومنه ما « قرويبي  
الى الطبيعة » ولكنه منقول من القسط الشائع بين الناس ، فليس فيه دليل  
على شخصية القائل ولا على طبعه لانه أشبه شيء بالوجوه المستعارة التي فيها  
كل ما في وجوه الناس ، وليس فيها وجه انسان . ومن هذه الصنعة كانت  
صنعة شوقي في جميع شعره ، فلو قرأته وحاولت ان تستخرج من ثناياها  
انسانا اسمه شوقي يخالف الاناس الآخرين من انشاء طبقته وجيله لاعمالك

العشور عليه ، ولكنك قد تجد هناك قلباتسميه ما شئت من الاسماء ، وشوقي اسم واحد من سائر هذه الاسماء ، وليس هذا بشعر النفس الممتازة ولا بشعر النفس الخاصة ان اردنا ان نضيق معنى الامتياز . وليس هو من اجل ذلك بالشعر الذي هو رسالة الحياة وغودج الطبيعة وانما ذلك ضرب من المصنوعات غلا او رخص على هذا التسويم « وهذا هو الرأي العام الذي أجمله الاستاذ العقاد في الفصل الذي كتبه عن احد شوقي في كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم في الجليل الماضي » وذلك بعد ان كان قد كتبه وفصله بأسلوب اشد عنفا في الفصول التي كتبها عن شوقي في الجزئين اللذين صدرا سنة ١٩٢١ من كتاب « الديوان » .

ولقد يكون في نقد الاستاذ العقاد كثير من الصدق من حيث وصفه لطبيعة شعر شوقي ، ولكن القضية العامة فيها نظر كما يقول الفقهاء ، فهناك شعر عالمي لا تتضح فيه على أي وجه شخصية قائله ولا يستطيع قارىء ان يلتقط منه ملامح هذا القائل ، وفي مقدمة هذا الشعر اشعار هو ميروس نفسه ، ولكن الخلاف قد يثور حول الشعر الغنائي اي شعر القصائد وهو الفن الشعري الذي برع فيه الرومانسيون بنوع خاص ودعوا الى ان يكون هذا الفن تعبيراً عن وجدان قائله الذاتي . ويلوح ان الاستاذ العقاد وزميله شكري والمآزني قد تأثروا بنوع خاص بالشعر والنقد الرومانسيين اللذين كانا سائدين في مرحلة شبابهم ، ولا أدل على ذلك من ان نرى شكري رائد هذه الجماعة يضع على غلاف الجزء الاول من ديوانه الصادر سنة ١٩٠٩ قوله :

ألا يا شاعر الفردوس . إن الشعر وجدان

وعلى اية حال فان شوقي اذا لم يكن قد تغنى وجدانه الفردي الا قليلا فانه قد حاول دائماً أن يغني وجدان عصره ومجتمعه وفقاً لظروف حياته الخاصة والعامة التي اوضحناها فيما سبق وهي ظروف كنا نرجو في مواقف



كثيرة ان لو استطاع مقاومتها ، ولكن كل ذلك لا يقدر في طاقته الشعرية الفذة وفخامة لغته الشعرية وجهارة موسيقاه وسحر ايقاعها الذي فتن الامة العربية كلها حتى جرى شعره على كل لسان .

وعندما اخذ شوقي يؤلف المسرحيات الشعرية راينا النقاد وفي طليعتهم الاستاذ العقاد يلاحقونه أيضاً وقد جمع الاستاذ العقاد فصوله النقدية عن مسرحية « قهيز » في كتيب نشره باسم « قهيز في الميزان » ولم يتناول الاستاذ العقاد نقد هذه المسرحية من الناحية الدرامية التي يلوح ان الاستاذ العقاد لم يشغل نفسه بدراستها والمناسبة بها ، بل وجه نقده الى ما سماه جهل شوقي بالتاريخ وركاكة شوقي الشعرية ، وهو نقد لم نستطع ان نقره عليه في كتابنا عن « مسرحيات شوقي » حيث رأينا أن ما يستحق النقد في مسرحيات شوقي هو ضعف الناحية الدرامية لا المباحكات التاريخية أو المباحكات الشعرية مع شاعر كأحمد شوقي لا يستطيع أحد ان ينكر اتقانه لصناعته كشاعر بل ونبوغه فيها .

وأما انتاج شوقي النثري سواء كان في القصص الاربعة التي ذكرناها او في مجموعة الفصول التي جمعت له في « اسواق الذهب » فلم تحظ من التقاد والدارسين بعناية كبيرة لأن شعره غطى عليها واحتكر دونها الانظار . ونثره على أية حال محاكاة لأسلوب المقامة القديم دون أن يصل الى مستواه عند الهمداني او الحريري . وهو على أية حال لم يمد يلائم العصر ولا يتمشى مع ذوقه ، وحسب شوقي ان يذكر دائماً كشاعر فحل فضلا عن أمير لشعراء العرب المحدثين .



نماذج من شعره



## مختارات من قصيدة أندلسية

نظمها في منفاه بإسبانيا وفيها يحن للوطن  
العزير ويصف كثيراً من مشاهد ومعامده .

يا نائح ( الطلح<sup>(١)</sup> ) أشباه عوادينا      نشجى لواديك أم نأسى لواديننا ؟  
ماذا تقصُّ علينا غير أن يداً      قصت جناحك جالت في حواشينا !  
رمى بنا البين أيتكاً غير سامرنا      أخوا الغريب : وظلاً غير نادينا  
كل رمته النوى ! ريش<sup>(٢)</sup> الفراق لنا      سهماً ، وسلِّ عليك البين سكيننا  
إذا دعا الشوق لم نبرح بمُنْصَدِرِ      من الجناحين عي لا يلبينا  
فإن يك الجنس يا بن الطلح فرقنا      إن المصائب يجمن المصابينا  
لم تأل ماءك تحناناً ولا ظمأ      ولا ادكاراً ، ولا شجواً أفانينا  
تجرُّ من فنن ساقماً الى فنن      وتسحب الذيل ترداداً المؤاسينا  
أساة<sup>(٣)</sup> جسمك شتى حين تطلبهم      فمن لروحك بالنطس<sup>(٤)</sup> العداوينا

\* \* \*

- 
- (١) الطلح : راد بظاهر اشبيلية كان ابن عباد شديد الولع به .  
(٢) ريش : من ريش السهم ألصق عليه الريش .  
(٣) الاساة : الاطباء .  
(٤) النطس : الاطباء الخذاق .

آهنا لنا انا نازحي أليك<sup>(١)</sup> باندلس  
 رسم وقفنا على رسم الوفاء له  
 لفتية لا تنال الأرض أدمعهم  
 لو لم يسودوا بدين فيه نسبة<sup>(٢)</sup>  
 لم نسر من حرم إلا إلى حرم  
 لما نبأ الخلد نابت عنه نسخته  
 نسقي ناهم ثناء ، كلما نسيت  
 كادت عيون قوافينا تحركه  
 لكن مصر وإن أغضت على مية<sup>(٣)</sup>  
 على جوانبها رفقت قائمتنا  
 ملاعب ممرحت فيها مآربنا  
 ومطلوع لسعود من أواخرنا  
 بننا فلم نحمل من روح<sup>(٤)</sup> براوحنا  
 كأم موسى ، على اسم الله تكفلنا

(١) الأيك : الشجر الكثيف الملتف .

(٢) الرفيف : الخصب .

(٣) يقصد بهم ملوك الأندلس . (٤) منبهة : أي شرف ورفعة .

(٥) بابل ودارينا : مدينتان مشهورتان بجودة الحجر .

(٦) خبريا وفسرينا : نوعان من الزهر .

(٧) اللقة : الهبة .

(٨) الرواقى : واحدها راقية وهي التي ترقى الصبي إذا كان به سحر .

(٩) الجردود : الحظوظ . (١٠) الروح : الرحمة والرزق .

(١١) شبه مصر حين ضاقت به على الرغم منها فركب البحر وخرج الى النفى كأم موسى عليه السلام حين ألقته في اليم صبيا وسألت الله ان يكفله .

ومصرُ كالكرمِ ذي الاحسان : فاكهة<sup>١</sup>

لحاضرينَ وأكواب لباديننا

يا ساريَ البرقِ يرمي عن جوانحنا بعد الهدوء وبهمي عن مآقينا  
لما تفرق في دمع السماء دماً هاج البكا فخصبتنا الأرض باكيننا  
الليل يشهد لم تهتِك دياجيتَه على نيام ولم تهتف بساليننا  
والنجمُ لم يرنا إلا على قدمٍ قيام ليلِ الهوى للعهد راعيننا  
كزفرةٍ في سماء الليل حائرةٍ مما نردد فيه حسين يَضوينا  
بالله إن جُبتَ ظلماء العُباب على نجائب النور محدواً (يجرينا)  
ترد عنك يداه كلُّ عاديةٍ إنساً يعثنَ فساداً أو شياطيننا  
حتى حوتك سماء النيل عاليةٌ على على الغيوث وإن كانت ميامينا  
واحزرتك شفوف<sup>(١)</sup> اللازورد على وشي الزبرجد من أفواف واديننا  
وحازلك الريف أرجاء مؤرجة ربتُ خائل واهزت بساتيننا  
فقف إلى النيل واهتف في خائله وانزل كما نزل الطلُّ الرياحيننا  
وأسر ما بات يندوى من منازلنا بالحادثات ويضوى من مغائيننا

\* \* \*

ويا مُعطرة الوادي سرتُ سحرا فطاب كلُّ طروح من مراميننا  
ذكية الذيل لو خلتنا غلاتها قميص يوسف لم نجس مغاليننا  
جشمت شوك الشرى حتى أتيت لنا بالورد ككتبا وبالريثا عناويننا  
فلو جزيناك بالأرواح غالية عن طيب مسراك لم تنهض جوازيننا  
هل من ذبولك مسكي نحملة غرائب الشوق وشياً من أماليننا  
إلى الذين وجدنا ودَّ غيرهم دنيا وودهمو الصافي هو الديننا

(١) الشفوف واحدها شف : الثوب الرقيق ، واللازورد : حجر شفاف أزرق ، والأفواف يريد بها الخائل .

## نكبة دمشق

قبلت في حفلة أقيمت لإعانة منكوبي سوريا بتياترو حديقة  
الأديكبة في يناير سنة ١٩٢٦ .

سلام من صبا ( بَرْدَى ) (١) أرقُّ  
ومعندرة السراعة والقواني  
وذكرى عن خواطرهما لقلبي  
وبي مما رمتك به الليالي  
دخلتُك والأصيل له انتلاق (٤)  
وتحت جناحك الأنهار تجري  
وحولي فتية غرُّ صباح  
على لهواتهم (٦) شعراء لسن (٧)  
رواة قصائدي فاعجب لشعري  
غمزت إياهم حتى تَلَطَّتْ  
وضج من الشكيمة (١١) كل حرِّ  
ودمع لا يكفكف يا دمشق  
جلال الرزة (٢) عن وصف يدق  
إليك تلفتُ أبدأ وخفتُ (٣)  
جراحات لها في القلب عمق  
ووجهك ضاحك القسام تطلق  
وملء رباك أوراق وورق (٥)  
لهم في الفضل غايات وتسبق  
وفي أعطافهم خطباء شدق (٨)  
بكل علة يرويه خلق  
أنوف الأسد واضطرم (٩) المدق (١٠)  
أبي من أمية فيه عتق (١٢)

\* \* \*

- (١) بردى : نهر دمشق . (٢) الرزة : المصيبة . (٣) خفتق : خفوق .  
(٤) انتلاق : من انتلق لمع وأضاء . (٥) الورق : جمع ورقاء هي الحمامة .  
(٦) لهوات : جمع لهاة وهي اللعنة للشرفسة على المطلق في أقصى سقف الفم .  
(٧) لسن : من لسن الرجل فصح أو تناهى في الفصاحة والبلاغة .  
(٨) شدق : جمع أشدق أي بليغ مفوه كريم .  
(٩) اضطرم : من اضطرمت النار : اشتعلت . (١٠) المدق : قصة الانف .  
(١١) الشكيمة من اللجام : الحديدية المعترضة في فم الفرس .  
(١٢) العتق : الكرم وخلوص الأهل .



لحائها الله أنباء توالت<sup>(١)</sup> على سمع الولي<sup>(٢)</sup> بما يشق  
يُفصلها<sup>(٣)</sup> إلى الدنيا بريد تكاد لروعة الاحداث<sup>(٤)</sup> فيها  
تخال من الخرافة وهي صدق وقيل معالم التاريخ دُكَّت  
ألسنت دمشق للإسلام ظئراً<sup>(٥)</sup> ولم يؤسم بأزين منه فترق  
ها من سرحك<sup>(٦)</sup> العلوي عرق وأرضك من حلى التاريخ رقى<sup>(٧)</sup>  
غبار حضارته لا يشق له بالشام أعلام<sup>(٨)</sup> وعُرس<sup>(٩)</sup>  
بشائره بأندلس تُدق

\* \* \*

رباع الخلد ويحك ما دهاها وهل عُرف الجنان منضدات<sup>(٨)</sup>  
أحق أنها درست أحسق وهل دُمى<sup>(٩)</sup> المقاصير<sup>(١٠)</sup> من حيجال  
ومل لنعيم كأمس نسق ومهتكة وأشبار نسق

(١) الولي : الحب والصديق

(٢) فصل : بين

(٣) يجمل : من أجل الكلام : فصله وبينه

(٤) الاحداث : العصاب

(٥) الظئر : الرضعة

(٦) السرح : الشجر العظام

(٧) الرق : جلد رقيق يكتب فيه

(٨) منضد : منسق

(٩) الدمى : واحدها دمىة وهي الصورة المنقشة

(١٠) المقاصير : واحدها مقصورة وهي الحجر

بَرَزُنْ وَفِي نَوَاحِي الْأَيْكِ نَارٌ  
 إِذَا رَمَى السَّلَامَةَ مِنْ طَرِيقٍ  
 بَلِيلٍ لِلْقَذَائِفِ وَالْمَنَائِيَا  
 إِذَا عَصَفَ الْحَدِيدُ أَحْمَرَ أَفْقٍ  
 سَلِيٍّ مِنْ رَاعٍ غَيْدَكَ بَعْدَ وَهْنٍ<sup>(١)</sup>  
 وَالسُّتَعْمَرِينَ وَإِنَّ الْأَنْوَا  
 رِمَاكَ بِطَيْشِهِ وَرَمَى فَرَنْسَا  
 إِذَا مَا جَاءَهُ 'طَلَابُ' حَقْرٍ  
 دَمَ الثَّوَارِ تَعْرِفَهُ فَرَنْسَا  
 جَرَى فِي أَرْضِهَا ، فِيهِ حَيَاةٌ  
 بِلَادٍ مَاتَتْ فَتَيْهَا لِتَحْيَا  
 وَحُرَّرَتْ الشُّعُوبُ عَلَى قَتَاهَا  
 بِنِي سُورِيَةَ اطَّرَحُوا الْأَمَانِي  
 فَمَنْ خِدَعَ السِّيَاسَةَ أَنْ تُغَرَّوْا  
 وَكَمْ صَيْدٍ<sup>(٥)</sup> بِدَا لِكَ مِنْ ذَلِيلٍ  
 تُفْتَوُكَ الْمَلِكِ تُحَدِّثَ ثُمَّ تَمْتَضِي  
 نَصَحْتُ وَنَحْنُ مُخْتَلِفُونَ دَاراً  
 وَيَجْمَعُنَا إِذَا اخْتَلَفَتْ بِلَادُ

وَخَلْفَ الْأَيْكِ أَفْرَاحٌ تَرَقُّ  
 أَنْتَ مِنْ دُونِهِ لَمَوْتِ طَرَقِ  
 وَرَاءَ سَمَائِهِ خَطْفٌ وَصَعَقٌ  
 عَلَى جَنَابَاتِهِ وَاسْتَوْدَ أَفْقُ  
 أَبْسِينَ فَوَادِهِ وَالصَّخْرَ تَرَقُّ  
 قُلُوبٌ كَالْحِجَارَةِ لَا تَرَقُّ  
 أَخُو حَرْبٍ بِهِ صَلَفٌ وَخُنُقٌ  
 يَقُولُ عَصَابَةَ خَرَجُوا وَشَقُوا  
 وَتَعَلَّمُ أَنَّهُ نُورٌ وَحَقُّ  
 كُنْهَلٍ<sup>(٢)</sup> السَّيِّئِ وَفِيهِ رِزْقٌ  
 وَزَالُوا دُونَ قَوْمِهِمْ لِيَبْقُوا  
 فَكَيْفَ عَلَى قَتَاهَا تُسْتَوَّقُ<sup>(٣)</sup>  
 وَأَلْقُوا عَنْكُمْ الْأَحْلَامَ أَلْقُوا  
 بِالْقَابِ الْإِمَارَةَ وَهِيَ رِقٌّ<sup>(٤)</sup>  
 كَمَا مَالَتْ مِنَ الْمَصْلُوبِ 'عَنْقُ'  
 وَلَا يَنْضِي لِمُخْتَلِفِينَ فَتَسُقُ  
 وَلَكِنْ 'كَلْنَسَا فِي الْهَمِّ تَشْرُقُ  
 بَيَانَ غَيْرِ مُخْتَلَفٍ وَنُطْقُ

(١) الزهن : نصف الليل أو بعده بساعة

(٢) منهل الساء : أي قطره

(٣) تستوق : أي تستعيد

(٤) رقي : عبرة

(٥) الصيد : ميل العنق وهو يضرب للكبر

وَقَفْتُمْ بَيْنَ هَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ  
 وَالْأَوْطَانِ فِي دَمِ كُلِّ حَرٍّ  
 وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بِالْمَنَابِ  
 وَلَا يَبْنِي الْمَالِكَ كَالضَحَايَا  
 فِي الْقَتْلِ لِأَجْسَالِ حَيَاةٍ  
 وَالْحَرِيَّةِ الْمَهْرَاءِ بِسَابِ  
 جَزَائِكُمْ ذُو الْجَلَالِ بَنِي دِمَشْقِ  
 نَصَرْتُمْ يَوْمَ مِجَنَّتِكُمْ أَخَاكُمْ  
 وَمَا كَانَ الدَّرُوزُ قَيْلًا<sup>(٢)</sup> شَرًّا  
 وَلَكِنْ زَادَهُ<sup>(٣)</sup> وَقِرَاءَةُ ضَيْفِ  
 لَهُمْ جَبَلٌ أَشْمٌ لَهُ شَعَافٌ  
 لِكُلِّ لِبْوَةٍ وَلِكُلِّ شَيْلٍ  
 كَانَ مِنَ السَّمَوَالِ<sup>(٤)</sup> فِيهِ شَيْئًا

فَإِنْ رَمْتُمْ نَعِيمَ الدَّهْرِ فَاشْتَوْا  
 يَسَدُ سَلَفَتِ وَدِينِ مُسْتَحِقِّ  
 إِذَا الْأَحْرَارُ لَمْ يُسْقُوا وَيَسْقُوا  
 وَلَا يُسَدِّي الْحَقُوقَ وَلَا يُحِقُّ  
 وَفِي الْأَسْرَى فِدَتِي لِمَوِ وَعَتَقِي<sup>(١)</sup>  
 بِكُلِّ يَدٍ مُضْرَجَةٍ يُسَدِّقُ  
 وَعِزُّ الشَّرْقِ أَوْلَاهُ دِمَشْقِ  
 وَكُلُّ أَخْرَجِ بَنِي أَخِيهِ حَصَقِ  
 وَإِنْ أُخِيدُوا بِمَا لَمْ يَسْتَحِقُّوا  
 كَيْبُوعِ الصَّفْقَا حَشِينُوا وَرَقُوا  
 مَوَارِدِ فِي السَّحَابِ الْجَوْنِ بُلُوقِ  
 نِيضَالِ دُونَ غَايَتِهِ وَدِرَشْقِ  
 فَكُلِّ جِيَهَاتِهِ شَرَفٌ وَخُلُوقِ

(١) العتق : الحرية

(٢) القبيل : جمع قبيلة وهي العشيرة

(٣) الزادة : جمع ذائد وهو الحسام

(٤) السموأل : هو السموأل بن عاديه اليهودي صاحب القصيدة التي مطاعها :  
إذا المرء لم يدينس...

## الرحلة الى الاندلس

اختلاف النهار والليل يُنسي  
وصيفا لي ملاوة<sup>(١)</sup> من شباب  
عصفت كالصبا<sup>(٢)</sup> اللعوب ومرت  
وسلا مصر هل سلا القلب عنها  
كلما مرت الليالي عليه  
مُستطار<sup>(٣)</sup> إذا البواخر رنت<sup>(٤)</sup>  
راهب<sup>(٥)</sup> في الضلوع للسفن فظن<sup>(٦)</sup>  
يا ابنة اليم<sup>(٧)</sup> ما أبوك بخيل  
أحرام على بلابله الدو  
كل دار أحق بالأهل إلا  
تفسي<sup>(٨)</sup> ميرجل<sup>(٩)</sup> وقلبي شراع  
واجملي وجهك ( الفئار ) ومجرا  
وطني لو شغلت بالخلد عنه

اذكرا لي الصبا وايم أنسي  
صورت من تصورات ومسن  
سنة<sup>(١٠)</sup> حلوة ولذة خلتس<sup>(١١)</sup>  
أو أسا<sup>(١٢)</sup> جرحه الزمان المؤسي  
رق والعمد في الليالي تفسي<sup>(١٣)</sup>  
أول الليل أو عوت بعد جرس<sup>(١٤)</sup>  
كلما رن شاعهن بنقس<sup>(١٥)</sup>  
ما له مولعا بمنع وحبس  
ح حلال للطير من كل<sup>(١٦)</sup> جنس  
في خبيث من المذاهب رجس<sup>(١٧)</sup>  
بها في الدموع سيري وأرسي  
ك يد (الشعر) بين (رمل) و(مكس)  
نازعتني إليه في الخلد نفسي

- (١) الملاوة : البرهة من الدهر  
(٢) الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعيش  
(٣) السنة : النعاس  
(٤) خلس الشيء : أخذه في نزهة ومخاطلة  
(٥) أسا الجرح : دواه  
(٦) قساة تقسيه : اي صيره قاسيا  
(٧) مستطار : استطير الشيء : طير وانتشر  
(٨) الجرس : الصوت  
(٩) الراهب : هو من تبتل لله واعتزل عن الناس الى الدير طلبا للعبادة ويشبه به القلب  
(١٠) فظن للشيء : اي حدق به  
(١١) ضرب النواقيس  
(١٢) اليم : البحر  
(١٣) جمع درحة وهي الشجرة العظيمة  
(١٤) المرجل : القدر من الحجارة والنحاس  
(١٥) الماتم

وهنا<sup>(١)</sup> بالفؤاد في سلسبيل  
شهد الله لم يغب عن جفوني  
يصبح الفكرُ و ( المسلة ) ناد  
وكأني أرى الجزيرة أيسكا<sup>(٣)</sup>  
هي ( بلقيس ) في الخائل صرح<sup>(٥)</sup>  
حسبها أن تكون للنيل عرساً  
لبست بالأصيصل حلة وشي  
قدّها النيل فاستحت فتواتر  
واری النيل ( كالعقيق )<sup>(١٠)</sup> بوادي  
ابن ماء السماء ذو الموكب الفخم  
لا ترى في ركابه غير مشن

ظماً للسواد<sup>(٢)</sup> من ( عين شمس )  
شخصه ساعة ولم يخل حسي  
يه و ( بالسرحة الزكية ) يُمسي  
نعمت طيره بأرخم جرس<sup>(٤)</sup>  
من عباب<sup>(٦)</sup> وصاحب غير نكس<sup>(٧)</sup>  
قبلها لم يُجنّ يوماً بعرس  
بين صنعاء<sup>(٨)</sup> في الثياب وقس<sup>(٩)</sup>  
منه بالجر بين عري ولبس  
ه وان كان كوثر المتحسي<sup>(١١)</sup>  
الذي يحسر العيون ويُحسي<sup>(١٢)</sup>  
يجميل وشاكر فضل غرس

- (١) هنا : أي أسرع  
(٢) السواد : ما حول البلدة من قرى  
(٣) الأيك : الشجر الكثير الملتف ، وقبل الفيضة تنبت السدر والأراك ونحوها من ناعم  
الشجر .  
(٤) الجرس : الصوت أو خفيه  
(٥) الصرح : القصر وكل بناء عال  
(٦) العباب : الخوصة ، والعباب معظم السيل ، والعباب ارتفاعه وكثرته  
(٧) النكس : الرجل الضعيف الذي لا خير فيه  
(٨) صنعاء : قصبة بلاد اليمن ، وقرية بباب دمشق  
(٩) ثوب قسي وتكسر قافه ، منسوب إلى قس وهو موضع بين العريش والغمام من أرض  
مصر .  
(١٠) العقيق : كل سيل شقه ماء السيل ، ويعني بالعقيق هنا عقيق المدينة وهو معروف  
(١١) المتحسي : أي الشارب  
(١٢) يحسي : من حسا البصر كل رأعي

وأرى ( الجيزة ) الحزينة ثكل  
أكثرت ضجة السواقي عليه  
وقيام التخيل ضفرون شعراً  
وكان الأهرام ميزان فرعو  
أو قناطره تألق فيها  
روعة في الضحى ملاعب جن  
و ( رهين الرمال ) أفطس إلا  
تجلى حقيقة الناس فيه  
لعب الدهر في ثراه صيبا  
ركبت صيد<sup>(٩)</sup> المقادير عينيه  
فأصابته الممالك ( كسرى )  
يا فؤادي لكل أمرٍ قرار  
عقلت<sup>(١١)</sup> لجة الأمور عقولا

لم تفق بعد من مناحة (رمسي)<sup>(١)</sup>  
وسؤال اليراع<sup>(٢)</sup> عنه بهمس  
وتجردن عبر طوق وسكس<sup>(٣)</sup>  
ن بيوم على الجبابر نحس  
ألف جاب<sup>(٤)</sup> وألف صاحب مكس<sup>(٥)</sup>  
حين يغشى الدجى حماها ويغشي<sup>(٦)</sup>  
أنه صنع جنّة غير فطس<sup>(٧)</sup>  
سبع الخلق في أسارى أنسي  
والليالي كواعبا غير عئس<sup>(٨)</sup>  
لنقيد ونخلية لفرس<sup>(١٠)</sup>  
(وهرقلا) (والعقري الفرنسي)  
فيه يبدو وينجلي بعسد لبس  
كالت الحوت طول سبخ وغس<sup>(١٢)</sup>

- 
- (١) رمسي : أي رمسيس  
(٢) اليراع : القصب  
(٣) سلت النخلة سلساً : ذهب كرهها  
(٤) جاب : الجاني الذي يجمع الخراج  
(٥) المكس : دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق في الجاهلية  
(٦) يغشي : يظلم  
(٧) فطس الرجل : تطامنت فصبه أنفه وانتشرت في وجهه فهو أفطس  
(٨) عئس جمع عانس وهي الجارية التي طال مكثها في أهلها بعد ادراكها ولم تتزوج  
(٩) صيد : واحد صائد  
(١٠) الفرس : الافتراس  
(١١) عقلت : قيدت  
(١٢) غس في البلاد غسا : دخل فيها رمضى قدماً

غرقت حيث لا يصاح بطاف أو غريق ولا يصاح لحس  
فلك يكسيف الشموس نهارا ويسوم البدور ليلة وكس<sup>(١)</sup>  
ومواقيت للأمور اذا ما بلغتها الامور صاحت لعكس  
دول كالرجال مرتهمات بقيام من الجدود وتمس  
وليال من كل ذات سوار لظمت كل رب<sup>(٢)</sup> (روم) (وفرس)  
سددت بالهلل قوسا وسلت خنجرا ينفذان من كل تمس  
حكمت في القرون (خوفو) و (دارا) وعفت<sup>(٣)</sup> (واثلا) والوت (بمبس)  
ابن ( مروان) في المشارق عرش أموي وفي المغرب كرسى<sup>(٤)</sup>  
سقيمت شمسهم فردة عليها نورها كل ثاقب الرأي نطس<sup>(٥)</sup>  
ثم غابت وكل شمس سوى هاتيك تبلى وتنطوي تحت رمس<sup>(٥)</sup>  
وعظ البحاري (إوان) (كسرى) وشفتني<sup>(٦)</sup> القصور من (عبد شمس)  
رب ليل مريت والبرق طرقي وبساط طويت والريح عنسي<sup>(٧)</sup>  
أنظم الشرق في ( الجزيرة) بالغر ب وأطوي البلاد حزننا<sup>(٨)</sup> الدهس<sup>(٩)</sup>  
في ديار من الخلائف<sup>(١٠)</sup> درس ومنسار<sup>(١١)</sup> من الطوائف طمس

(١) ليلة الوكس : أي ليلة دخول القمر في نجم منحوس

(٢) عفت : درست

(٣) كرسى : أي عرش

(٤) نطس : أي عالم

(٥) الرمس : القبر

(٦) شفتني : أي وعظنتني هي ايضاً وعظا شاعبا

(٧) العنس : الناقة

(٨) الحزن : ما غلظ من الارض

(٩) الدهس : المكان السهل ليس يرمل ولا تراب

(١٠) الخلائف: جمع خليفة

(١١) المنارة : العلم يجمل للطريق

وربى كالجنان في كنف الزيتون  
لم يرعني سوى ثرى قرطبي  
يا وقي الله ما أصبح منه  
قرية لا تعد في الارض كانت  
غشيت ساحل المحيط وغطت  
ركب الدهر خاطري في ثراها  
فتجلت لي القصور ومن في  
ماضفت<sup>(٥)</sup> قطفي الملوكة على نذ  
وكاني بلغت للعلم بيتاً  
'قدساً في البلاد شرقاً وغرباً  
وعلى الجمعة الجلالة و ( الننا  
يُنزل التاج عن مفارق (دون)  
سنة من كرى وطيف أمان  
وإذا الدار ما بها من أنيس  
ورقيت من البيوت عتيق

ن خضر وفي ذرا الكرم 'طلس<sup>(١)</sup>  
لمست فيه عبرة الدهر خمسي  
وسقى صفوة الحيا ما أمسي  
تمسك الأرض أن تميد وترسي  
'لجّة الروم من شراع وقلس<sup>(٢)</sup>  
فأتى ذلك الحيمى بعد حدس<sup>(٣)</sup>  
ها من العز في منازل 'قمس<sup>(٤)</sup>  
ل المعالي ولا تردت بنجس  
فيه مال العقول من كل درس  
حججه القوم من فقيه وقس  
(صر) نور الخميس تحت الدرفس<sup>(٦)</sup>  
ويجلي به جبين (البرنس)  
وصحا القلب من ضلال وهجس<sup>(٧)</sup>  
وإذا القوم ما لهم من 'محس<sup>(٨)</sup>  
جاوز الألف غير مذموم حرس<sup>(٩)</sup>

(١) طلّس : واحدها اطلس وهو ما ألونه سود تخالطه غبرة

(٢) قلس : جبل السفينة

(٣) الحدس : السير على غير مداية

(٤) القمس : العز الثابت

(٥) ضفت : من ضفا : سبغ واتسع

(٦) الدرفس : العلم الكبير

(٧) الهجس : كل ما وقع في خلد الانسان

(٨) محس : اي حاس بها

(٩) الحرس : الدهر



أثر من (محمد) 'وتراث' صار (للروح) ذي الولاء الأمس<sup>(١١)</sup> بين (ثهلان<sup>(١٢)</sup>) في الأساس و(قدس)<sup>(١٣)</sup> ويطول المسدى عليها فترسي أليافات الوزير<sup>(١٥)</sup> في عرض طرس ما اكتسى الهندب من فتور ونعس واحد الدهر واستعدت الخمس من ملاء مدونات الديمقس<sup>(١٩)</sup> يتنزلن من معارج<sup>(١٠)</sup> 'قدس' لم يزل يكتسيه أو تحت (قدس) ورده<sup>(١٢)</sup> غائباً. فتدنو للشمس ب وآل له ميامين شمس<sup>(١٤)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) الأمس : الأقرب  
(٢) ثهلان : جبل بالعالية  
(٣) قدس : جبل عظيم بنجد  
(٤) السواري : واحدتها سارية وهي الاسطوانة « العمود »  
(٥) الوزير : يعني به ابن مقلة المشهور بجودة الخط  
(٦) سطرها : صفرها  
(٧) ويحها كم ترينت لعليم : اي لدرس عالم واستعدت لإقامة الصلوات الخمس  
(٨) الرفيف : السقف  
(٩) الديمقس : الحرير  
(١٠) المعارج : واحدها معرج وهو السلم والمصعد  
(١١) منذر : هو قاضي الأندلس منذر المعروف بالعدل والزهد  
(١٢) ردا ورده : اي برائحة ورده  
(١٣) الداخلة : هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام مؤسس الدولة الأموية بالأندلس  
(١٤) الشمس : الأباة

من ( لمرآة ) جللت بفبار الـ  
كسنا البرق لو محا الضوء لحظاً  
حصن ( غرناطة ) ودار بني ( الأحـ )  
جلل الشاج دونها رأس ( شيري )  
سرمد شيبه ولم أر شيئاً  
مشت الحادقات في غرف ( الحمد )  
هنكت عزة الحجاب وفضت  
عرصات تخلت الخيل عنها  
ومغان على الليالي ورضاء  
لا ترى غير وافدين على التسا  
نقلوا الطرف في نضارة آس  
وقباب من لازورد وتبر  
وخطوط تكفلت المعاني  
وترى مجلس السبع خلاء  
لا ( الثريا ) ولا جوارى السريا  
مرمر قامت الأسود عليه  
تثر الماء في الحياض جانبا  
آخر العهد بالجزيرة كانت  
فتراها ، تقول : راية جيش

مدهر كالجرح بين برء ونكس  
لمحتها العيون من طول قبس  
مر ( من غافل ويقظان ندس<sup>(١)</sup> )  
فبدا منه في عصائب برس<sup>(٢)</sup>  
قبله يرجى البقاء ويئسي  
رأه ( مشي النعمي في دار عرس  
سدة الباب من سمير وأنس  
واستراحت من احتراس وعس<sup>(٣)</sup> )  
لم تجد للعشي تكرار مس  
ربح ساعين في خشوع ونكس  
من نقوش وفي عصاره ورس<sup>(٤)</sup>  
كالرشي الشم بين ظل وشمس  
ولألفاظها بسازين لبس  
مقفر القاع من ظباء وخمس  
يتزان فيه أقمار إنس  
كللة الظفر ليسنات المحس  
يتنزي على ترائب ملس  
بعد عرك من الزمان وخرس<sup>(٥)</sup>  
ياد بالأمس بين أسر وحس<sup>(٦)</sup>

(١) الندس : القهم

(٢) عصائب برس : أي بيض كالقطن

(٣) العس : احتراس الليل

(٤) الورس : نبات حجر اللون

(٥) الخرّس : من خرس الزمان القوم ، اشتد عليهم

(٦) الحس : القتل

ومفاتيحها مقاليد ملكٍ  
خرج القومُ في كتائبٍ صمٍ  
ركبوا بالبحار نعشا وكأنت  
ربّ بانٍ لها دمٌ وجُسوع  
إمرة الناسِ همسةٌ لا تأتي  
وإذا ما أصاب بنيان قومٍ  
يا دياراً نزلتُ كالخلدِ ظلاً  
محسِناتِ الفصول لا ناجر<sup>(٢)</sup> في  
لا تحسِ العيونُ فوق ربّاهما  
كسيتِ افرُخي بظلكِ ريشاً  
هم بنو مصر لا الجميل لديهم  
من لسانٍ على ثنائلكِ وقفِ  
حسبهم هذه الطولُ عظامِ  
وإذا فاتكِ التفاتِ إلى الما

باعها الوارث المضيع ببخس  
عن حيفاظٍ كموكبِ الدفن خُرس  
تحت آبائهم هي العرش أمس  
لمشيتي ومحسنٍ لمُخسٍ<sup>(١)</sup>  
لجبانٍ ولا تمنى لبس<sup>(١)</sup>  
وهي خُلُوقُ فإنه وهي أنس  
وجنى دانياً وسلسال أنس  
ها يقبظ ولا جمادى بقرس<sup>(٣)</sup>  
غير حورٍ حو<sup>(٤)</sup> المراشف<sup>(٥)</sup> لعمس<sup>(٦)</sup>  
ورباً في رباك واشتد غرسي  
بمُضاعٍ ولا الصنيع بمنسي  
وحنّانٍ على ولانكِ كحنس  
من جديد على الدهور ودُرس  
ضي فقد غاب عنك وجه التأمي

(١) الجبس : الجبان .

(٢) شهر رجب أو صفر أو كل شهر من شهور الصيف .

(٣) بقرس : ببارد .

(٤) حو المراشف : أي سمر الشفاء وهو مستلمح من النساء .

(٥) المراشف الشفاء .

(٦) اللعس : سواد مستحسن في الشفة .

صقر قريش ( عبد الرحمن الداخل )

### موشح أندلسي

من لِنِضْوٍ يَتَنَزَّى<sup>(١)</sup> أَلْمَا بِرَحِ الشُّوقِ بِهِ فِي الْفَلَسِ  
حَنِّ لَلْبَانِ وَنَاجِي الْعَلَمَا أَيْنَ شَرَقِ الْأَرْضِ مِنْ أُنْدَلَسِ

\* \* \*

بَلْبِلٌ عَلَّمَهُ الْبَيْنُ الْبِيَانِ بَاتَ فِي حَبْلِ الشُّجُونِ ارْتَبَا  
فِي سَمَاءِ اللَّيْلِ مَخْلُوعُ الْعِينَانِ ضَاقَتْ الْأَرْضُ عَلَيْهِ شَبَا  
كَلَّمَا اسْتَوْحَشَ فِي ظِلِّ الْجِنَانِ جُنٌّ فَاسْتَضْحَكَ مِنْ حَيْثُ بَكَى  
ارْتَدَى بِرُؤْسِهِ وَالتَّتَمَا وَخَطَا خُطْوَةَ شَيْخِ مُرْعَسِ<sup>(٢)</sup>  
وَيُرَى ذَا حَدَبٍ إِنْ جَمَّا فَإِنْ ارْتَدَ بَدَا ذَا قَعَسِ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

قَمَهُ الْقَانِي عَلَى لَبْتِهِ كَبْقَايَا الدَّمِّ فِي نِصْلِ دَقِيقِ  
مَدَهُ فَالْتَقَى مَسْنُ مِنْبَتِهِ مِنْ رَأْيِ شِقْتِي مَقْصُصٍ مِنْ عَقِيقِ  
وَبَكَى شَجْوًا عَلَى شُعْبَتِهِ شَجْوُ ذَاتِ الشُّكْلِ فِي السُّتْرِ الرَقِيقِ

(١) يتنزي : يتوثب .

(٢) المرعس : من رعس الرجل إذا مشى مشياً ضعيفاً من الإعياء .

(٣) القعس : ضد الحدب وهو نتوء الصدر .

سَلَّ مِنْ فِيهِ لِسَانًا عَعْنًا<sup>(١)</sup> ماضياً في البَثِّ لم يَحْتَبِسْ  
وَتَرُّ مِنْ غَيْرِ ضَرْبٍ رَتْنَا فِي الدَّجَى أَوْ شَرُّرٌ مِنْ قَبَسِ

\* \* \*

نَفَرْتُ لَوَعْتَهُ بَعْدَ الْهُدُوءِ وَالِدَجَى بَيْتَ الْجَوَى وَالْبِرَّحَا  
يَتَعَايَا يَجْنَحُ وَيَنْوُو يَجْنَحُ مَذُ وَهَى مَا صَلَحَا  
سَاءَهُ الدَّهْرُ وَمَا زَالَ يَسُوءُ مَا عَلَيْهِ لَوْ أَسَا مَا جَرَحَا  
كَلِمًا أَدْمَى يَدْيِهِ نَدَمًا سَالْنَا مِنْ طَوْقِهِ وَالْبُرْنِسِ  
كَفَنَيْتُ أَهْدَابَهُ إِلَّا دَمَمَا قَامَ كَالْيَاقُوتِ لَمْ يَنْبَجِسِ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

مَدَّ فِي اللَّيْلِ أَنْيُنَا وَخَفَقَ خَفَقَانَ الْقُرْطِ فِي جَنَحِ الشُّعْرِ  
كَفَرَعَتْ مِنْهُ النَّوَى غَيْرَ رَمَقٍ فَضْلَةَ الْجُرْحِ إِذَا الْجُرْحُ نَغَرَ<sup>(٣)</sup>  
يَتَبَلَّشِي نَزَوَاتٍ فِي حُرْقٍ كَذِبَالٍ آخِرَ اللَّيْلِ اسْتَعْمَرَ  
لَمْ يَكُنْ طَوْقًا وَلَكِنْ صَرَمًا مَا عَلَى لَيْثِهِ مَنْ قَبَسِ  
رَحْمَةُ اللَّهِ لَهُ هَلْ عَلِمَا أَنْ تَلُكَ النَّفْسُ مِنْ ذَا النَّفْسِ

\* \* \*

قَلْتُ لِلَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَوَادٍ مِنْ أَخَوِ الْبَثِّ فَقَالَ : ابْنُ فَيْرَاقِ  
قَلْتُ مَا وَادِيهِ قَالَ الشُّجُو وَادٍ لَيْسَ فِيهِ مِنْ حِجَازٍ أَوْ عِيرَاقِ  
قَلْتُ لَكِنْ جَفَنَهُ غَيْرَ جَوَادٍ قَالَ شَرَّ الدَّمْعِ مَا لَيْسَ يَرِاقِ

(١) العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه به البنان المخبوب .

(٢) لم ينجس : لم يتفجر .

(٣) يقال جرح نفاذ أي جياش بالدم .

تَغْبِطُ الطَّيْرَ وَمَا نَعْلَمُ مَا هِيَ فِيهِ مِنْ عَذَابٍ بِشِ  
فَدَعِ الطَّيْرَ وَحِظًا قَسَمًا صَيَّرَ الْأَيْكَ كَدُورَ الْأَنْسِ

\* \* \*

نَاحٍ إِذْ جَفَنَايَ فِي أَسْرِ النُّجُومِ رَسْفًا<sup>(١)</sup> فِي الشَّهْدِ وَالذَّمْعِ طَلِيقِ  
أَيْهَا الصَّارِخِ مِنْ بَجْرِ الِهْمُومِ مَا عَسَى يُغْنِي غَرِيقَ عَن غَرِيقِ  
إِنْ هَذَا السَّهْمُ لِي مِنْهُ كَلُومٌ كَلَلْنَا نَازِحَ أَيْكَ وَفَرِيقِ  
قَلْبِ الدُّنْيَا تَجِدُهَا قَيْسَمًا صُرِّفَتْ مِنْ أَنْعَمٍ أَوْ أَبْؤُسِ  
وَانظُرِ النَّاسَ تَجِدُ مِنْ سَلِيهَا مِنْ سَهَامِ الدَّهْرِ شَجَّتَهُ الْقَيْسِي

\* \* \*

يَا شَبَابَ الشَّرْقِ عَنَوَانَ الشَّبَابِ ثَمَرَاتِ الْحَسَبِ الزَّاكِي التَّمِيمِ  
حَسْبُكُمْ فِي الْكُرْمِ الْمُحَضِّ الثُّيَابِ سِيرَةٌ تَبْقَى بَقَاءَ ابْنِي سَمِيرِ<sup>(٢)</sup>  
فِي كِتَابِ الْفَخْرِ (لِلدَّاخِلِ<sup>(٣)</sup>) بَابٌ لَمْ يَلْجِهْ مِنْ بَنِي الْمَلِكِ أَمِيرِ  
فِي الشَّمُوسِ الزُّهْرِ بِالشَّامِ انْتَمَى وَنَمَى الْأَقْمَارَ بِالْأَنْدَلُسِ  
قَعْدَ الشَّرْقِ عَلَيْهِمْ مَا نَمَا وَافْتَنَى الْغَرْبُ بِهِمْ فِي عُرْسِ

\* \* \*

هَلْ لَكُمْ فِي نِسَاءٍ خَيْرَ نِسَاءٍ حَلِيَّةِ التَّارِيخِ مَا ثَوَّرَ عَظِيمِ  
حَلٍ فِي الْأَنْبَاءِ مَا حَلَّتْ سَبَا مَنُوزِ الْوَبْطِيِّ مِنَ الْعَقْدِ النَّظِيمِ  
مِثْلَهُ الْمَقْدَارِ يَوْمَ مَا خَبَا لَسْلِيْبِ التَّاجِ وَالْعَرْشِ كَعَظِيمِ

(١) رسفا : تقيدا .

(٢) ابني سمير : الليل والنهار .

(٣) الداخِل : هو عبد الرحمن الداخِل أول ملوك بني أمية في الأندلس .

يُعجزُ القُصَّاصَ إلاّ قلما في سوادٍ من هوى لم يُغمَس  
يؤثر الصدق ويحزى علماً قلب العالم لو لم يُطمَس

\* \* \*

عن عصامي نبيلٍ مُعْرِقٍ في بُناةِ المجدِ أبناءِ الفخارِ  
نهضت دولتهم بالشرق نهضة الشمس بأطراف النهار  
ثم خانت التاجُ وُدَّ المُعْرِقِ وَنَبَتَ بالأهجم الزُهر الديار  
غفلوا عن ساهرٍ حول الحِمى باسط من ساعدَيّ مُفترس  
حام حول الملك ثم اقتنحا ومشى في الدم مشى الضرس

\*\*\*

ثارُ عثمان مروان مجاز ودَمُ السَّبَطِ<sup>(١)</sup> آثارُ الأقربون  
حسبوا للشام تاراً والحجاز فتغالى الناس فيما يطلبون  
مكر سُوَّاسٍ على الدِّماءِ جاز ورُعاةُ بالرعايسا يلعبون  
جمعوا الحق لبغي سلماً فهو كالستر لهم والشرس  
وقديما باسمه قد ظلمنا كل ذي ميذقةٍ أو جرس

\*\*\*

جُرَيْتِ مروان<sup>(٢)</sup> عن آباءها ما أراقوا من دماء ودموع  
ومن النفس ومن أهوائها ما يؤدّيه عن الاصل الفروع  
خلت الأعواد من أسمائها وتقطت بالمصالب الجنوع

(١) يعني بالسبط : الحسين بن علي صلوات الله عليه .

(٢) يعني بمروان : بني مروان .

ظَلَمَتِ حَتَّى أَصَابَتْ أَظُنُّلَمًا<sup>(١)</sup> حاصد السيف وبيءَ الحُبَسِ  
فَطِينًا فِي دَعْوَةِ الْآلِ لَمَّا هَمَسَ الشَّانِي وَمَا لَمْ يَهْمَسْ

\*\*\*

لَبِست بُرْدَ النَّبِيِّ النَّسِيرَاتِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ نَوْرًا فَوْقَ نَوْرٍ  
وَقَدِيمًا عِنْدَ مِرْوَانَ تِرَاثِ لَزَكِيَّاتٍ مِنَ الْأَنْفُسِ نَوْرٍ  
فَنَجَا الدَّخْلَ سَبَحًا بِالْقُسْرَاتِ تَارِكًا الْفِتْنَةَ تَطْفِي وَتَنْوُرًا<sup>(٢)</sup>  
غَسَّ<sup>(٣)</sup> كَالْحَوْتِ بِهِ وَاقْتَحَمَا بَيْنَ عِبْرِيهِ عَيْسُونَ الْحَرَسِ  
وَلَقَدْ يَجْدِي الْفَقِي أَنْ يَعْلَمَا نَصْوَةَ الْمَاءِ وَمَسْتَنَ الْفَرَسِ

\*\*\*

صَحِبَ الدَّاخِلَ مِنْ إِخْوَتِهِ حَدِثَ خَاصِ الْعَمَارِ ابْنَ كَثْمَانَ  
غَلَبَ الْمَوْجَ عَلَى قَسْوَتِهِ فَكَانَ الْمَوْجُ مِنْ جُنْدِ الزَّمَانِ  
وَإِذَا بِالشُّطِّ مِنْ شَقْوَتِهِ صَائِحٌ صَاحٌ بِهِ : نَلْتَ الْأَمَانَ  
فَانْتَهَى مُنْخَدِعًا مُسْتَسَلِمًا شَاةٌ اغْتَرَّتْ بِعَهْدِ الْإِطْلَسِ<sup>(٤)</sup>  
خَضَبَ الْجَنْدُ بِنَ الْأَرْضِ دَمَا وَقَالُوبِ الْجَنْدِ كَالصَّخْرِ الْقَسِيِّ

\*\*\*

أَيُّهَا الْبَائِسُ مِتَّ قَبْلَ الْمَاتِ أَوْ إِذَا شِئْتَ حَيَاةَ فَالرَّجَا

---

(١) الأظلم هنا هو أبو سلم الخراساني صاحب دعوة بني العباس وقد سلب بني أمية ملكهم .  
(٢) تارت الفتنة : وقعت وانتشرت .  
(٣) غس : دخل ومضى .  
(٤) الاطلس : الذئب .



لا يَضِيقُ ذرعُكَ عندَ الأزماتِ إنْ هي اشتدَّت وأملُ فَرَجِها  
ذلكَ أداخِلُ لاقى مُظلماتِ لم يَسْكُنْ يَأمَلُ منها مخرِجِها  
قد تولى عزُّهُ وانصرمَما فحضى من غسده لم ييأس  
رامَ بالمغربِ مُلكاً فرمى أبعدَ القَمَرِ وأقصى اليَأسِ

★ ★ ★

ذاكِ واللهُ الغنى كلَّ الغنى أي صعب في المعالي ما سَلَّكَ  
ليس بالسائلِ إنْ همَّ موقِ لا ولا الناظرِ ما يُوحى الفلكِ  
زایلُ المُلكِ ذوبهُ فأتى مُلكِ قومٍ ضيعوه فملكِ  
عَمَّراتِ عارضتِ مقتحمِ عالي النفسِ أشمُ المَعطَسِ<sup>(١)</sup>  
كلَّ أرضٍ حلَّ فيها أو حى منزلِ البدرِ وغابُ اليَأسِ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

نَزَلَ الناجي على حُكْمِ النوى وتواری بالشُرى من طالبيهِ  
غيرِ ذِي رَحْلٍ ولا زادِ سوى جومرِ وافاه من بيتِ أبيهِ  
قَرَّ لاقى خُسوفاً فازوى ليس من آباءهِ إلا نبيهِ  
لم يجدِ أعوانه والخدمِما جانبوه غيرِ (بدرِ) الكيسِ  
من موالِيهِ الثقاتِ القدما لم يخنه في الزمانِ الموثِرِ

\* \* \*

حينَ في افريقيا المحلِ الوثامِ واضمحلتِ آيةُ الفتحِ الجليلِ

(١) المعطس : الأنف .

(٢) اليأس : الأسد .

ماتت الأمة في غير التثام وكثير ليس يلنأم قليل  
يَمَنَّ سَلَّتْ ظباها والشَّام شامها<sup>(١)</sup> هندية ذات صليل  
فرَّق الجند الغنى فانقسما وغدا بينهم الحسق نسي  
أوحش السؤدد فيهم وسحا للمعالي من به لم تأنس

\* \* \*

رُحِمُوا بالعِسرِي النَّابِسه البعيد الهيمَة الصعب القيساد  
مدَّ في الفتح وفي أطنا به لم يقف عند بناء ابن زياد<sup>(٢)</sup>  
هجر الصيد فما يُعنى به وهو بالملك رفيق ذو اصطياد  
سَل بِه أندلسا هل سَلِما من أخي صيد رفيق تمرس<sup>(٣)</sup>  
جرَّد السيف وهزَّ القلسا ورمى بالرأي أم الخلس<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

بسلام يا شراعاً ما درى ما عليه من حياء وسخاء  
في جناح الملك الروح<sup>(٥)</sup> تجرى ويريح جفها اللطف رُخاء  
غسل اليمُّ جراحات الشرى وبها الشدة من يحو الرخاء  
هل درى أندلس من قدما داره من نحو بيت المقدس  
بسليح الأمويين سما فتوح موسى مستقر الأس

\* \* \*

أموي<sup>٥</sup> للصل رحلتُه والمعالي بمطبي وطُسرُق

(١) شام : سل -

(٢) هو طارق بن زياد مولى بن نصير فاتح الأندلس في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي .

(٣) التمرس : الشديد الجرب في الجروب يقال : انه لمرس حذر .

(٤) الخلس : جمع خلسة وهي الفرصة .

(٥) الملك الروح : جبريل .

كالهلال انفردت 'فقلته' لا يجاربه ركاب في الأفق  
بُنيت من خُلِق دولته قد يشيد الدول الشمم الخلق  
وإذا الأخلاق كانت سلتها نالت النجم يد الملتمس  
فارتق فيها ترتق أسباب السما وعلى ناصية الشمس اجلس

\* \* \*

أي ملك من بنايات الهمم أسس الداخل في الغرب وشاد  
ذلك الناشء في خير الأمم ساد في الأرض ولم يخلق يساد  
حكمت فيه الليالي وحكم في عواذها قياداً بقياد  
سلب العز بشرق فرمى جانب الغرب لعز أقمس  
وإذا الخير لبعث قسيها منح السعد له في النحس

\* \* \*

أيها القلب أحق أنت جبار للذي كان على الدهر يجير  
هنا حل به الركب وسار وهنا ثا إلى البعث الأسير  
فلك بالسعد والنحس مدار صرع الجام (١) وألوى بالمدير  
ها هنا كنت ترى حوؤ الدمي فاتنات بالشفاه اللثمي (٢)  
ناقلات في العبير القدما واطنات في حبير السندس

\* \* \*

خذ عن الدنيا بليغ العظة قد تجلت في بليغ الكلم  
طرفاها جمعاً في لفظية فتأمل طرفها تعلم  
الأماني حلوم في يقظة والمنايا يقظة من حلوم

(١) الجام : الكائن .

(٢) اللثمي : سواد مستحسن في الشفة .

كُلَّ ذِي سِقَطِينَ<sup>(١)</sup> فِي الْجَوْسِمَا      واقع يوماً وإنت لم يُغرس  
وسيلقى حينه نسر السما      يوم تطوى كالكتاب الدرس

\* \* \*

أين يا واحد مروان عَلِمَ      من دعاك الصقر سمّاه العُقَاب<sup>(٢)</sup>  
رايةً صرّفها الفرد العَلَمَ      عن وجوه النَّصْر تصريف النّقاب  
كنت إن حرّدت سيفاً أو قلم      أبنت بالألباب أودنت الرّقاب  
ما رأى الناس سواء عَلِمَا      لم يُرم في لجةٍ أو يَبَسَ  
أعلى رُكُن السّمَاك ادّعها      وتغطى يجنّاح القُدُس

\* \* \*

فصرّك ( المنية ) من قُرْطِبة      فيه داروك والله المصير  
صدف خُطّ على جوهرة      بيد أن الدهر نباش بصير  
لم يدع ظلاً لقصر ( المنية )      وكذا عمر الأماني قصير  
كنت صقراً قرشياً علّما      ما على الصقر إذا لم يُرْمس  
إن تسلك أين قبور العُظما      فعلى الأفواه أو في الأنفُس

\* \* \*

كم قبور زينت جيد الثرى      تحتها أنجس من ميت الجوس  
كان من فيها وإن حازوا الثرى      قبل موت الجسم أموات النفوس  
وعظام تتزكى عنبراً      من ثناء صرن أفعال الرموس  
فاتخذ قبرك من ذكر فما      تبين من محسوده لا يُطمس  
هَبَّكَ من حرص سكنت الهرما      أين بانيه التبيح المتس

\* \* \*

(١) السقط : جناح الطائر .

(٢) العقاب : اسم راية الداخل .

## وقال في الغزل :

تأتي الدلال سجية وتصنعا  
به كيف شئت فما الجمال بماكم  
لك أن يروّعك الوشاة من الهوى  
قالوا لقد سمع الغزال لمن وشى  
أنا من يجيبك في نفاارك مؤنسا  
قدّمتُ بين يدي أيام الهوى  
وصدقتُ في حبتي فلست مباليا  
يا من جرى من مُقلتيه لي الهوى  
الله في كبدٍ سقيت بأربع

وأراك في حالي دلالك مُبدعا  
حتى يطاع على الدلال ويُسما  
وعليّ أن أهوى الغزال مُروّعا  
وأقول ما سمع الغزال ولا وعى  
ويجب تيهك في نفاارك مُطمعا  
وجعلتها أملا عليك مُضغعا  
أن أمنح الدنيا به أو أمنعا  
صرفا ودار بوجنتيه مشعشا<sup>(١)</sup>  
لوصبحوا (رضوى<sup>(٢)</sup>) بهالتصدعا

## وقال في الغزل :

رُدّت الرُوح على المُضنى مَعَكَ  
مرّ من بُعديك ما روعني  
كم شكوتُ البين بالليل إلى  
ربعت الشوق في ريح الصبا  
يا نعيمي وعذابي في الهوى  
أنت روعي ظلّم الوائهي الذي  
موقعي عنده لا أعلمه  
أرجفوا أنك شاكٍ مُوجع  
نامت الأعين إلا مقلّة

أحسن الأيام يومٌ أُرجمك  
أتري يا حلو بُعدي روعك  
مطلع الفجر عسى أن يُطليحك  
فشكا الحسرة بما استودعك  
بعذولي في الهوى ما جمّعك  
زعم القلب سلا أو ضيمك  
آه لو تعلم عندي موقعك  
ليت لي فوق الضنا ما أوجعك  
تسكب الدمع وترعى مضجعك

(١) مشعشا : الشراب يمزج بالمد .

(٢) رضوى : اسم جبل .

## وقال في الغزل

صحا القلب الا من خمار أماني  
حنانك قلبي هل أعيد لك الصبا  
تحنُّ الى ذلك الزمان وطيبه  
إذا لم تصن عهدا ولم ترع ذممة  
أتذكر إذ نعطي الصبابة حقها  
وأنت خفوق والحبيب مباعد  
وأيام لا آلو رهانا مع الهوى  
لقد كنت أشكو من خفوقك دائما  
سقاك التصابي بعدما علتك الصبا  
وما زلت في ربيع الشباب وإنما  
ولا أكذبُ الباري بنى الله هيكله  
أدين إذا اقتصاد الجمالُ أزمته

يحاذبني في الغيد رث عناني  
وهل للفتى بالمستحيل يدان  
وهل أنت الا من دمٍ وحنان  
ولم تدكر الفأ فليست جناني  
ونشرب من صرف الهوى بيدان  
وأنت خفوق والحبيب مدان  
وانت فؤادي عند كل رهان  
فولسى فيما لهفي على الخفقان  
فكيف ترى الكأسين تختلفان  
يشيب الفتى في مصر قبل أوان  
صنيعه احسان ورق حسان  
وأعنو اذا اقتصاد الجميل عناني

## أنس الوجود

أبها المنتحى (بأسوان) داراً  
 اخلع النعل واخفض الطرف واخشع  
 قف بثلك (القصور) في الميم غرق  
 كمدارى أخفين في الماء بضاً<sup>(١)</sup>  
 مشرفات على الزوال وكانت  
 شاب من حولها الزمان وشابت  
 رب «نقش» كأنما نفض الصا  
 و «دهان» كلامع الزيت مرّت  
 و (خطوط) كأنها هذب ريم<sup>(٢)</sup>  
 و «ضحايا» تكاد تمشي وترعى  
 و «بحاريب» كالبروج يبتسها  
 شيدت بعضها الفراعين زلقى<sup>(٣)</sup>  
 و «مقاصير» أبدلت بفتات الـ

كالثريا تُريد أن تنقضتسا  
 لا تحاول من آية الدهر غصناً  
 ممسكاً بعضها من الذعر بعضاً  
 ساجحات به وأبدن بضاً  
 مشرفات على الكواكب نهضاً  
 وشباب الفنون ما زال غصناً  
 نع منه اليدين بالأمس نفضاً  
 أعصر بالسراج والزيت وضاً<sup>(٤)</sup>  
 حسنت صنعة وطولاً وعرضاً  
 لو أصابت من قدرة الله لبضاً  
 عزّامات من عزمة الجن أمضى<sup>(٥)</sup>  
 وبنى البعض أجنب يترضى<sup>(٦)</sup>  
 مسك ترباً وبالواقيت قضا<sup>(٧)</sup>

- 
- (١) بضاء البض : الرخص الجسد  
 (٢) وضاء : وضاء  
 (٣) ريم : غزال  
 (٤) أمضى : أجد  
 (٥) زلقى : تقرباً  
 (٦) يترضى : يطلب الرضا  
 (٧) قضا : حمى

حَظَّهَا الْيَوْمَ هَدَّةٌ وَقَدِيمًا      صرفت في الحظوظ رَفَمَا وَخَفَضَا  
سَقَتِ الْعَالَمِينَ بِالسَّعْدِ وَالنَّجْدِ      س إلى أن تَعَاطَتِ النِّحْسَ مَحْضًا<sup>(١)</sup>  
صَنَعَةٌ تُدْهَشُ الْعَقُولَ وَفَنٌ      كان اتقانه على القوم فرضا

\* \* \*

يا قصورا نظرتها وهي تقضي<sup>(٢)</sup>      فسكبت الدموع والحق يقضى  
أنت سطرٌ ومجد مصر كتابٌ      كيف سام البيلى كتابك فضًا  
وأنا المحدثي بتاريخ مصر      من يَصْنُ مَجْدَ قَوْمِهِ صَانُ عِرْضَا  
رُبَّ سِرٍّ يَجَانِبُكَ مَزَالٍ      كان حَقِّي عَلَى « الْفِرَاعِينَ » عَمَضَا  
قُلْ لَهَا فِي الدَّعَاءِ لَوْ كَانَ يُجِدِّي      يَا سَمَاءَ الْجَلالِ لَا صرْتَ اَرْضَا  
حَارَةً « فَيْكِ » الْمُهَنْدِسُونَ عَقُولًا      وَقَوْلْتِ عَزَائِمَ الْعِيسِ مَرْضَى  
أين ملكٌ حياها وفريد      من نِظَامِ النِّعَمِ أَصْبَحَ فِضًّا<sup>(٣)</sup>  
أين « فرعون » في المواكب تدرى      يركضُ المالكين كالحيل ركضَا  
ساق للفتح في الممالك عرضًا      وَجَلَّالًا لِلْفَخَارِ فِي السِّلْمِ عَرْضَا  
أين « إيزيس » تحتها النيل يجري      حَكَتِ فِيهِ شَاطِئِينَ وَعَرْضَا  
أسدل الطرف كاهنٌ ومليكٌ      فِي ثَرَاهَا وَأرسل الرأْسَ خَفَضَا  
يُعْرَضُ المالكون أسرى عليها      فِي قِيُودِ الْهُوَانِ عَانِينَ جَرَضَى<sup>(٤)</sup>  
مالها أصبحت بغير مُجِيرٍ      تَشْتَكِي مِنْ نَوَائِبِ الدَّمْرِ عَضَا

(١) محضا : خالصا

(٢) تلقضي : تنفى

(٣) فضا : مفضروص

(٤) جرضى : ممنورين .



هي في الأسر بين صخر وبحر  
 أين هوروس بين سيف ونطع  
 لبت شعري قضى شهيد غرام  
 أم رماه الوشاة حقدأ وبغضا  
 رب أضرب من سوط فرعون مض<sup>(٢)</sup>  
 دون فعل الفراق بالنفس مضاً  
 وهلاك بسيفه وهو قان  
 دون سيف من اللوا حظي مضى<sup>(٣)</sup>  
 قتلوه فهل لذلك حديث  
 أين راوي الحديث نثرا وقرضا

\* \* \*

يا إمام الشعوب بالأمس واليو  
 (مصر) بالنازلين من ساح (معن)<sup>(٤)</sup>  
 كُن ظهيراً<sup>(٥)</sup> لأهلها ونصيراً  
 قل لقوم على (الولايات) أيقنا  
 شيمة (النيل) أن يفي وعجيب  
 حاشه<sup>(٦)</sup> الماء فهو صيد كريم  
 شيد والمال والعلوم قليب  
 م ستعطى من التشاء فترضى  
 وحى الجود (حاتم) الجود أفضى  
 وابنل النصح بعد ذلك تحضاً  
 ظي إذا ذاقت البرية غمضاً  
 أخرجوه فضيع العهد نقضاً  
 لبت بالنيل يوم يسقط غيضاً<sup>(٧)</sup>  
 أنقذوه بالمال والعلم نقضاً<sup>(٨)</sup>

(١) حضوضى : جبل في البحر .

(٢) مض : مرجع .

(٣) ينضى : يسل .

(٤) معن : هو معن بن زائدة أحد كرماء العرب .

(٥) ظهيراً : نصيراً .

(٦) حاشه : من حاش الصيد أخرجوه في كل مكان .

(٧) غيضاً : من غاض الماء غيضاً : نقص أر غار فذهب في الأرض .

(٨) نقضاً : النقص ما انتقض من البناء : أي انكث .

من قصيدة زحلة

شيعت أحلامي بقلب باك  
ورجعت أدراج الشباب وورده  
ويجاني واهٍ كأن خفوقه  
شاكي السلاح إذا خلا بضلوعه  
قد راعه أني طويت حباتي  
ويح ابن جنبي كل غابسة لذة  
لم تبقى مني يا فؤاد بقية  
كنا إذا صفقت نستبق الهوى  
واليوم تبعث في حين تهزني

ولمت من طرق المسلح شباكي  
أمشي مكانهما على الأشواك  
لما تلفت جهشة التباكي  
فإذا أهيب به فليس بشاك  
من بعد طول تناول وفكاك  
بعد الشباب عزيزة الإدراك  
لفتوة أو فضلة لعراك  
ونشد شدّ العصبه الفتاك  
ما يبعث الناقوس في النساك

\* \* \*

يا جارة الوادي طربت وعادني  
مثلث في الذكرى هو الكوفي الكرم  
ولقد مررت على الرياض بربوة  
ضحكت إلي وجوها وعيونها  
فذهبت في الأيام أذكر رفرفا  
أذكرت هرولة الصبابة والهوى  
لم أدر ما طيب العناق على الهوى  
وقاودت أعطاف بانك في يدي

ما يشبه الأحلام من ذكراك  
والذكريات صدى السنين الحماكي  
غناء كنت حيالها القفاك  
ووجدت في أنفاسها ربّك  
بين الجداول والعيون حواك  
لما خطررت يقبلان خطاك  
حتى ترفق ساعدي فطواك  
واحر من خفريها خسدك

ودخلتُ في ليلين فرعيك، والدجى  
ووجدت في كنه الجوانح نشوةً  
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت  
ومحوت كل لبانة من خاطري  
لا أمس من عمر الزمان ولا غدً  
جُمع الزمان فكان يوم رضاك  
ولثمتُ كالصبح المنور فاك  
من طيب فيك ومن سلاف كمالك  
عيني في لغة الهوى عيناك  
ونسيت كل تعائب وتشاكي  
ونسيت كل تعائب وتشاكي

\* \* \*

لُبنان ردتني إليك من النوى  
جمعت نزيلتي ظهرها من فرقة  
تمشي عليها فوق ككل فجاءة  
ولو أن بالشوق المزار وجدتي  
أقذار سيرٍ للحياة ذراك  
كرة وراء صوالج الأفلاك  
كالطير فوق مكان الأشرار  
ملقى الرجال على ثراك الذاك

\* \* \*

## حافظ ابراهيم<sup>(١)</sup>

قد كنت أومر أن تقول رثائي  
لكن سبقت ، وكل طول سلامة  
الحق نادى فاستجيت ولم تزل  
وأتييت صحراء الإمام تذوب من  
فلقيت في الدار الإمام محمداً  
أثر النعم على كريم جبينه  
فشكوتما الشوق القديم وذقتما  
ان كانت الأولى منازل 'فرقة'  
ووددت لو أني فيداك من الردي  
الناطقون عن الضعينة والهوى  
من كل هدام ويبي مجده

يا منصف الموتى من الأحياء  
تقدر وكل منية بقضاء  
بالحق تحقيل عند كل نداء  
طول الحنين لساكن الصحراء<sup>(٢)</sup>  
في زمرة الأبرار والخلفاء<sup>(٣)</sup>  
ومراشد التفسير والافتاء  
طيب التذاني بعد طول تنائي  
فالسمة الأخرى ديار لقاء<sup>(٤)</sup>  
والكاذبون المرجفون فدائي  
الموغرو الموتى على الأحياء  
بكرائم الانقراض والأشلاء

(١) هو المرحوم محمد حافظ ابراهيم ، شاعر سباني معدود في الطليعة وكان يلقب بشاعر النيل توفي سنة ١٩٣٢ ، فرثاه أمير الشعراء شوقي بهذه القصيدة التي ينسبها مطلعها على مبلغ تقديرة لصاحبه ووفائه له .

(٢) صحراء الامام : المقبرة التي دفن بها ، وهذه الصحراء تنسب للامام الشافعي لوقوع ضريحه رضي الله عنه في نطاقها .

(٣) الامام : هو المرحوم الشيخ محمد عبده العالم الديني الكبيرة وقد اشتهر المرحوم حافظ في حياته باكتساب عطفه ورضاه .

(٤) الاولى : الحياة الدنيا .

ما حطموك وإنما بك حُطِّموا      من ذا يحطم رفرف الجوزاء<sup>(١)</sup>  
 انظر فأنت كأمس شأنك باذخ      في الشرق ، واسمك ارفع الاسماء  
 بالأمس قد حليتني بقصيدة      غراء تحفظ كاليد البيضاء<sup>(٢)</sup>  
 غيظ الحسود لها وقت بشكرها      وكما علمت مودتي ووفائي  
 في محفلٍ نشرت آمالي به      لما رفعت إلى السماء لوائي  
 يا مانع السودان شرح شبابه      ووليته في السلم والهيجاء  
 لما نزلت على خائله ثوى      نبع البيان وراء نبع الماء  
 قلدتته السيف الحسام وزدته      قلما كصدر الصعدة السمراء<sup>(٣)</sup>  
 قلمٌ جرى الحيقب الطوال فما جرى      يوما بفاحشة ولا بهجاء<sup>(٤)</sup>  
 يكسو بمدحته الكيرام جلاله      ويشيع الموتى بحسن ثناء

\* \* \*

اسكندرية يا عروس الماء      وخميلة الحكاء والشعراء<sup>(٥)</sup>  
 نشأت بشاطئك الفنون جميلة      وترعرعت بسائك الزهراء  
 جاءك كالطير الكريم غرائبها      فجمعتها كالروبة الغناء

(١) الرفرف : ما يجعل عليه طرائف البيت . والجوزاء : نجم معروف في السماء فالتمثيل برفرف الجوزاء كناية عن اسمي مواضع الشرف والسمو .

(٢) يريد القصيدة التي انشأها المرحوم حافظواً عندما في المهرجان العظيم الذي أقيم في القاهرة . وقد حضرت اليه وفود الأقطار العربية وظل سبعة أيام تكريماً لمبايعة أمير الشعراء شوقي بإمارة الشعر العربي عامة وهي التي يقول فيها :

أمير القوافي قد أتيت مبايعاً      وهندي وفود الشرق قد أبعت معي

(٣) الصعدة : قناة الزمخ يذبت عودها مستويا .

(٤) الحقب : جمع حقة بكسر الحاء وهي المدة من الزمن أو السنة .

(٥) نظم المرحوم شوقي هذه القصيدة وهو في الاسكندرية فكان لا بد لشاعريته المستوعبة من رصف هذه المدينة وفاء لاقامته فيها وقتئذ .

قد جملوك فصرت زينة الثرى  
 غرسوا رباك على خمائل يابس  
 واستحدثوا طرُقاً منورة الهدى  
 فخذني كأمسٍ من الثقافة زينة  
 وتقلدي لغة الكتاب فإنها  
 بنيت الحضارة مرتين ومهدت  
 وسمت بقرطبة ومصر فحلتنا  
 ماذا حشدت من الدموع «لحافظ»  
 ووجدت من وقع البلاء بفقدته  
 الله يشهد قد وفيت سخيّة  
 وأخذت قسطاً من مناسحة ماجد  
 هتف الرؤاة الحاضرون بشعره  
 لبنان يتكبه وتبكي الضاد من  
 عرب الوفاء وفوا بئذمة شاعر  
 يا حافظ الفصحى وحارس مجدها  
 ما زلت تهتف بالقديم وفضله  
 للوافدين ودرة الدماء  
 وبنوا قُصورك في سنا الحمراء (١)  
 كسبيل عيسى في فجاج الماء (٢)  
 وتجملي بشبابك النجباء  
 حجر البنساء وعدة الانشاء  
 للملك في بغداد والفيحاء  
 بين الممالك ذروة العليساء (٣)  
 وذخرت من حزن له وبكاء ؟  
 ان البلاء تمصارع العظماء  
 بالدمع غير بخيلة الخطباء  
 جمّ المآثر طيب الأنبياء  
 وحدا به البادون في البيداء (٤)  
 حلب الى الفيحاء الى صنعاء  
 باني الصفوف مؤلف الأجزاء  
 وإمام من تجلت من البلغاء (٥)  
 حتى حيت أمانة القدماء

(١) بابل : موضع مدينة بالعراق ينسب اليها السحر والحجر . والحراء : قصر مشهور في الأندلس .

(٢) الفجاج : بكسر الفاء جمع فج بفتحها ، الطريق الواسع بين الجبلين .

(٣) قرطبة : إحدى عواصم الأندلس الكبرى وكانت في المغرب مشتل بغداد في المشرق ، كلتاهما منبع للعلوم والفنون في أزهر عصور الاسلام .

(٤) البادون : السائرون في البادية .

(٥) تجلت : أي ولدت .

جددت أسلوب (الوليد) ولفظه  
وجريت في طلب الجديد الى المدى  
ماذا وراء الموت من سكوى ومن  
اشرح حقائق ما رأيت ولم تزل  
رتب الشجاعة في الرجال جلائل  
كم ضقت ذرعا بالحياة وكيدها  
فهلسم فارق بأس نفسك ساعة  
واشير الى الدنيا بوجه ضاحك  
يا طالما ملأ الندي بشاشة  
اليوم هادنت الحوادث فاطرح  
خلقت في الدنيا بياناً خالداً  
وغداً سيدك الزمان ولم يزل

وأنت للدينا بسحر (الطائي) (١)  
حتى اقتنيت بصاحب البؤساء (٢)  
دعة ومن كرم ومن إخضاء ؟  
أهلا لشرح حقائق الأشياء  
وأجلت شجاعة الآراء  
وهتفت بالشكوى من الضراء  
واطلمع على الوادي شعاع رجاء  
خلقت أسرتك من السواء  
وهدي اليك حوائج الفقراء  
عبء السنين وأثق عبء الداء  
وتركت أجيالا من الأبناء  
لدهر إنصاف وحسن جزاء

\* \* \*

---

(١) الوليد : هو امر عبادة البحتري الشاعر العباسي الشهير . والطائي : هو حبيب الطائي الشهير بأبي تمام .  
(٢) البؤساء : كتاب لفكتور هيجو ، عربي حافظ ابراهيم .

## مصطفى كامل باشا<sup>(١)</sup>

المَشْرِقَانِ عَلَيْكَ يَنْتَحِيَانِ  
يا خادم الإسلام أجز مجاهد  
لما نُعِيْتِ إِلَى الْحِجَازِ مَشَى الْأَسَى  
السُّكَّةُ الْكُبْرَى حِيَالَ رَبَّاهُمَا  
لَمْ تَأْلُهَا عِنْدَ الشَّدَائِدِ خِدْمَةٌ  
يا ليت فمكة والمدينة فازتا  
ليرى الأواخر يوم ذاك ويسمعوا  
جار التراب وانت أكرم راحل  
أبكي صباحك ولا أعاقب من جنى  
يتساءلون أب «السلال» قضيت أم  
الله يشهد أن موتك بالحجبا  
إن كان للأخلاق ركن قبائم  
بالله فتش عن فؤادك في الثرى  
قاصبها في مآتم والداني  
في الله من خلد ومن رضوان  
في الزائر ورؤع الحرمان<sup>(٢)</sup>  
منكوسة الأعلام والقضبان<sup>(٣)</sup>  
في الله والمختار والسلطان  
في المحفلين بصوتك الرنان  
ماغاب من قس ومن سحبان<sup>(٤)</sup>  
ماذا لقيت من الوجود الفاني  
هذا عليه كرامة للجاني  
بالقلب أم هل مت بالسرطان  
ولجد والاقدام والعرفان  
في هذه الدنيا فأنت الباني  
هل فيه آمال وفيه أماني ؟

- (١) هو الزعيم مصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطني « في مصر » وقد توفي سنة ١٩٠٨ .  
(٢) الحرمان : حرم مكة والمدينة .  
(٣) السكة الكبرى : يريد سكة حديد الحجاز وقد كان الفقيه أعظم الدعوة الجماعدين في  
سبيل إنشائها .  
(٤) قس وسحبان : خطيبان عربيان يضرب بهما المثل في الطلاقة الخطابية والفصاحة والحكمة .



وجدانك الحي<sup>١</sup> المقيم<sup>٢</sup> على المدى  
الناس جاري في الحياة لغاية  
والخلد في الدنيا وليس يهين  
فلو ان<sup>١</sup> رسل الله قد جهنوا لما  
المجد والشرف الرفيع صحيفة<sup>٢</sup>  
وأحب<sup>٣</sup> من طول الحياة بذلك<sup>٤</sup>  
دقات قلب المرء قاتلة له  
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها  
للمرء في الدنيا وجم<sup>٥</sup> شؤونها  
فهي القضاء لرأب<sup>٦</sup> متطلع  
الناس غادر في الشقاء ورائح  
ومنعم لم يلسق إلا لذة  
فاصبر على<sup>٧</sup> نعم الحياة وبؤسها  
يا طاهر الغدوات والروحانيات  
هل قام قبلك في المدائن فاتح  
يدعو الى العلم الشريف وعنده  
لفؤك في علم البلاد منكسما  
ما احمر من خجل ولا من ريبة  
يزجون نعلك في السناء وفي السنا  
وكانه نعل الحسين « بكر بلا »

ولرب<sup>٨</sup> حي ميت الوجدان  
ومضلل<sup>٩</sup> يجري بغير عينان  
علما<sup>١٠</sup> المراتب لم تتح لجيسان  
على دين من الأديان  
جعلت لها الأخلاق كالعنوان  
قصر<sup>١١</sup> يريك تقاصر الأقران  
ان الحياة دقائق وثوان  
فالذكر للانسان عمر ثاني  
ما شاء من ربح ومن خسران  
وهي المضيقة لمسؤثر السلوان  
يشقى له الرحاء وهو الهاني  
في طيها شجن من الاشجان  
نعم الحياة وبؤسها سيان<sup>١٢</sup>  
والخطرات والاسرار والإعلان  
غساز بغير مهند وسان ؟  
ان العلوم دعائم العمران  
جزع الهلال على فتي الفتيان  
لكننا يبكي بدمع قاني<sup>١٣</sup>  
فكأننا في نعلك القمران  
يختال بين بكى وبين حسان

(١) سيان : مثلان ، الواحد سي .

(٢) قاني : أحمر .

في ذمة الله الكريم وبرّه  
 ومشى جلال الموت وهو حقيقة<sup>(١)</sup>  
 شقت لمنظرك الجيوب عقائل  
 والحلق حولك خاشعون كعهدهم  
 يتساءلون بسأي قلب ترتقى  
 لو أن أوطانا تصور هيكلا  
 أو كان يحمل في الجوارح ميت<sup>(٢)</sup>  
 أو صيغ من غر الفضائل والعلل  
 أو كان للذكر الحكيم بقية  
 ولقد نظرتك والردى بك محدد  
 يبني ويطفي والطبيب مضلل  
 ونواظر العواد عنك أمالها  
 تملئ وتكتب والمشاكل جثة<sup>(٣)</sup>  
 فهشت لي حق كأنك عاندي  
 ورأيت كيف تموت آساد الشرى  
 ووجدت في ذاك الخيال عزائما  
 وجعلت تسألني الرثاء فهاكه  
 لولا مغالبة الشجون لحاطري  
 وأنا الذي أرثي الشموس إذا هوت

ما ضم من عرف ومن احسان  
 وجلالك المصدوق يلتقيان  
 ويكنك بالدع الهتون غواني<sup>(١)</sup>  
 إذ ينصتون لخطبة ويسان  
 بعد التساير ام بأي لسان  
 دفنوك بين جوانح الأوطان  
 حملوك في الأسراع والأجفان  
 كفن لبست أحاسن الاكفان  
 لم تأت بعد ؛ رثيت في القرآن  
 والداء ملء ممال الجمان  
 قنط وساعات الرحيل دواني  
 دمع تعالج كتبه وتعاني  
 ويداك في القرطاس ترتجفان  
 وأنا الذي هدد السقام كياني  
 وعرفت كيف مصارع الشجعان<sup>(٢)</sup>  
 ما للنون بدكهن يسدان  
 من أدمعي وسرائري وجناني  
 لنظمت فيك يتيمة الأزمان  
 فتعود سيرتها الى الدوران

(١) عقائل : جمع عقيلة وهي من كل شيء صكرويته . والهتون : من هتن الدمع إذا قطر .  
 والغواني جمع غانية وهي الفتاة التي تغنى بها عن الحلي .  
 (٢) آساد : جمع أسد . والشرى : طريق في جبل سلس كثيرة الأسد .

قد كنت تهتفي في الوري بقصائدي      وتجلس فوق النيرات مكاني  
 ماذا دهاني يوم بنت فعقتني      فيك القريض وخانني إمكاني  
 هوّن عليك فلا شحات بيّنت      إن المنية غايبة' الانسان  
 من للحدود بيّنة بلتفتها      عزت علي (كسرى) أنوشروان  
 عوفيت من حرّب الحياة وحرّبها      فهل استرحت ام استراح الشاني  
 يا صبة مصر ويا شهيد غرامها      هذا ثرى مصر فتم بأمان  
 اخلع على مصر شبابك عاليسا      والبس شباب الحور والولدان  
 فلعل مصرأ من شبابك ترتدي      مجداً قتيه به على البلدان  
 فلو أن بالهرمين من عزماته      بعض المضاء تحرك الهرمان  
 علّمت شبان المدائن والقرى      كيف الحياة تكون في الشبان  
 ميصر' الأسيفة' ريفها وصعيدها      قبر ابر' على عظامك حساني  
 أقسمت أنك في التراب طهارة      ملك' بهاب سؤاله الملكان

\* \* \*

## توت عنخ آمون

- قفي يا أخت ( يوشع ) خبرينا احاديث القرون الغابرينا (١)  
وقسُصي من مصارعهم علينا ومن دولاتهم ما تعلمينا (٢)  
فمثلك من روى الأخبار طراً ومن نسب القبائل اجمعينا (٣)  
نرى لك في السماء خضيب قرن ولا نُحصي على الارض الطعينا (٤)  
مشيت على الشباب شوّظ نارٍ ودرت على المشيب رحى طحونا (٥)  
تُعنين الموالد والمنايا وتبين الحياة وتهدينا (٦)  
فيا لك هيرةً أكلت بنيتها وما ولدوا وتنتظر الجنينا (٧)

(١) الخطاب للشمس وقد أشار إلى قصة يوشع بن نون فحق موسى عليها السلام راستيفافه الشمس ، فقد روي أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه. فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى قرغ من قتالهم. وقد لمح ابن مطروح إلى هذه القصة بقوله :

وما انس لا أنس المبيحة إذ بدت دجى فأضاء الأفق من كل موضع  
فحدثت نفسي أنها الشمس أشرقت وأني قد أوتيت آية يوشع

والقرون الغابرين : الأجيال الماضية .

- (٢) قصي : حدثي ومنه ( نحن نقص عليك أحسن القصص ) . ومصارعهم : مهالكهم .  
دولاتهم : جمع دولة ، بضم ففتح وهي الداهية يقال : جاء الدهر بدولته أي بدواهيه .  
(٣) طرا : جميعاً من دون أن تترك منهم شيئاً ونسب القبائل : ذكر أسلافهم .  
(٤) الخضيب : اللون بالخطاب . والقرون : حاجب الشمس . والطعين : المطعون .  
(٥) الشواظ : ( بالضم والكسر ) دخان النار .  
(٦) المنايا : جمع منية وهي الموت .  
(٧) الهرة وهي القطة ويقال في المثل « أعق من الهرة » لأنها تأكل أولادها .

أم المالكين بني (أمون)      ليهنك أنهم نزعوا (أمونا) (١)  
 ولدت له (المأمين) الدواهي      ولم تلدي له قط (الأمينا) (٢)  
 فكانوا الشهب حين الأرض ليل      وحين الناس جدد مفضلينا  
 مشت بثمارهم في الأرض (روما)      ومن أنوارهم قبست (أثينا) (٣)  
 ملوك الدهر بالوادي أقاموا      على (وادي الملوك) 'محببينا' (٤)  
 قرب مصفد منهم وكانت      تساق له الملوك مصفديننا (٥)  
 تقيتد في التراب بغير قيد      وحل على جوانبه رهينا  
 تعالى الله كان السحر فيهم      أليسوا للحجارة منطقتنا ؟ (٦)

(١) نزع أباه : أشبهه . وفيه إشارة إلى أم (أمون) . واختلف المؤرخون هل كانت أمه زوجة شرعية لأبيه . إلا أن (توت عنخ آمون) تولى الملك بواسطة زواجه بإبنة الملك خون آتون .  
 (٢) إشارة للتخليفتين : الأمين والمأمون . وقد اختار المأمون لأنه كان أفضل بني العباس حزمًا وعزماً وحلمًا وعلماً ورأياً ودهاء وهيبة وشجاعة . أي ولدت له أبناء صاروا ملوكاً ، وكانت صفاتهم في الملك كالصفات التي عرفناها في المأمون .  
 (٣) روما : عاصمة ايطالية . وقبست : أخذت . وأثينا : عاصمة اليونان . وفيه إشارة إلى ما أخذته الأمم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة .  
 (٤) وادي الملوك : هو إلى الشاطئ الغربي للنيل بالاقصر على مسير نصف ساعة تقريباً ، وهو مضاف صلباً بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها ، وقد كانوا يبذلون في العناية بها واتقانها إلى حد يفوق الوصف .  
 (٥) مصفدين : مقيدين يصف فراعنة مصر في مقرهم الأخير . وهو مقام يتسارى فيه الملوك والسوقه .

(٦) منطقتين : أي اليسوا هم الذين أنطقوا بالحجارة . ويريد أنهم أنشأوا من الإبلية ما يدل على عظمة شأنهم دلالة النطق على معنياه ، وأشهر هذه الأبنية الهرمان القائمات بجانب البحيرة وهما من أعجب ما بنى البناة . وفيها دليل على أن المصريين القدماء كانوا أعلم الأمم قاطبة بفن العمارة وهندستها ، وقد توالى الدهر عندها فلم ينل منها من الحوادث وعصف الرياح وهطس السحاب . وقد قال أحد الحكماء : « كل شيء يخشى عليه من الدهر إلا الأهرام فسإن الدهر يخشى عليه منها .

غَدَّوَا يَبْنُونَ مَا يَبْقَى وَرَاحُوا      وراءَ الأبدانِ مُخَلَّدِينَا  
 إِذَا عَمِدُوا لِمَا تُرَى أَعْدَوْا      لها الاتقانَ والخلقَ المتينَا  
 وَلَيْسَ الخلدُ مَرْتَبَةً تُتَلَقَى      وتؤخذُ من شفاءِ الجاهليِنَا  
 وَلَكِنْ مَنتهى هَمِّ كِبَارِ      إذا ذهبَ مصادرها بَقِينَا  
 وَسِرُّ العبقريَّةِ حينَ يسري      فينتظمُ الصنائعَ والفنونَا  
 وَأَثَارُ الرِجالِ إذا تَنَاهَتْ      إلى التَّاريخِ خَيْرَ الحَاكِمِينَا  
 وَأَخَذَكَ مِنْ قَمِّ الدُّنْيَا ثَنَاءً      وتركَكَ في مَسامعِها طِينَا (١)

فَعَالِي فِي بَنِيكَ الصَّيْدِ غَالِي      فقد حُبَّ الغلوَ إلى بَنِينَا (٢)  
 شَبَابٌ قَنَعٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ      وبوركَ في الشَّبَابِ الطَّامِحِينَا (٣)  
 فَسَاجِدِهِمْ بَعْرَشِ كَانَ صَنُوءًا      لعرشِكَ في شَبِيئِهِ سَنِينَا (٤)  
 وَكَانَ العزَّ حَلِيئِهِ وَكَانَتْ      قوائمه الكُتَّابِ والسَّفِينَا (٥)  
 وَتُؤَجُّ مِنْ فَرَائِدِهِ (ابن سِيقِ)      ومن خِرَزَاتِهِ (خوفو) و«مِينَا» (٦)

- (١) الطنين : صوت الذباب والطنست والناقوس ونحو ذلك .
- (٢) الصيد : جمع أصيد ، وهو الرجل يرفع رأسه كبراً وعجباً ولا يلتفت من زهوه بيناً وشمالاً .
- (٣) شباب قنع : أي قانعون لا يطمعون شيئاً وراء ما بلغوا . والطامحون : المتفانون في طلب العالي .
- (٤) الصنوع : الأخ الشقيق والإبن ، والستين - بفتح السين : من يكون في سنك .
- (٥) الكتائب : جمع كتيبة وهي الجيش .
- (٦) ابن سِيقِ : هو رمسيس الثاني المعروف بسوز سقرس وبلقب بالأكبر لأنه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية وتزايدت المهارات حتى لا يكاد يوجد برادي النيل أثر من الآثار القدية والمعائر المشهورة إلا وعليه اسمه ورسمه ، ولي الملك صغيراً في حياة والده وقد تربى على الشجاعة والحماسة وأراد أبوه أن يعلمه اقتحام الأهوال فأرسله في جيش إلى بلاد الشام وكان عمره عشر سنين فغزاهما حتى أدخلها تحت الطاعة وه حروب عظيمة ثم حارب في جلة فتوح وبخاصة في آسيا الشمالية وكان في أيامه بتنامور الشاعر المصري وله فيه عدة مدائح يصف بها شجاعته واقدامه .
- و « خوفو » و « مينا » من الملوك الفراعنة الذين بلغت مصر في عهدهم شوطاً كبيراً في المدنية ومن آثارها الخالدة الأهرامات .

علا خدأ به صَعَرَ وأنفا      ترفّع في الحوادث أن يدينا (١)  
ولست بقائسل ظلموا وجاروا      على الأجراء أو جلدوا اللطينا (٢)  
فإننا لم نُوقِ النقص حتى      نطالب بالكال الأولينا (٣)  
وما (البستيل) إلا بنت أمس      وكم أكل الحديد بها سجيننا (٤)  
وُرْبَة رُبْعَة عزّت وطالت      بناها الناس أمس مسخرينا (٥)  
مُشَيِّدَة لشافي العُمي ( عيسى )      وكم سَمَلَ القسوس بها عيوننا (٦)

\* \* \*

( أخا اللوردات ) مثلك من تجلى بحليلة آله المتطولينا (٧)

- (١) علا خدأ : أي ذلك التاج والضمير : أن يميل الرجل نحوه عن النظر إلى الناس تهاوناً وكبراً .
- (٢) القطين : الخدم أي أنه لا يجاري بعض المؤرخين الذين يزعمون أن الملوك الفراعنة كانوا يظلمون الأجراء ويجلدون الخدم ليخزروهم في انشاء تلك الأبنية .
- (٣) لم نُوقِ : أي لم نحفظ منه .
- (٤) البستيل : سجن يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ ، وفي هذا السجن ذاق رجال العلم والفضل أشد أنواع العذاب أيام الاستبداد فكُم ملك فيه فيلسوف عظيم وفي بين جدرانها المظلمة مصلح كبير . وكم من سياسي جنى عليه عمله الخير ببلاده قد دخل حياً وفارق ميتاً . وقد كره الفرنسيون ( البستيل ) واسم ( البستيل ) وعنده مستقر الظلم ومعهد الأسف والقسوة فلم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان أول غرضهم ( البستيل ) فهدموا وافتنحوا أبوابه وأخذت فتات أحجاره فجعلها النسوة عقوداً بتحلين بها في أمكنة اللآلئ إشارة لغلبة الأمة على الظلم وانتقامها من الظالمين وكان أخذه في ١٤ أيار ١٧٨٩ وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحرية ولا يزال الفرنسيون يحتفلون بذكره إلى الآن .
- (٥) البيعة ( بكسر الباء ) : معبد النصرى ومسخرين أي كلفوا بالعمل بلا أجره .
- (٦) سمل العين : فقأها بحديدة حجارة وقلمها .
- (٧) المخاطب اللورد كارنار فون الذي اهتدى إلى الكونوز وكانت وفاته بالقاهرة سحر ليلة الخميس ٥ أبريل سنة ١٩٢٣ بفندق الكورثيمنتال وكانت قد عضته بعوضة فطُيب خمسة عشر يوماً حتى أخذت تزول اعراض التسمم الذي أصابه من هذه العضة لكنه لم يفكر على احتمال ذات الرئة التي أصيب بها فأردت به . المتطولين : اصحاب الفنى والسمة .

لك الأصل الذي نبتت عليه فروع المجد من ( كرفارفونا )<sup>(١)</sup>  
ومالك لا يُعد وكل مال سيفني أو سيفني المالكينا<sup>(٢)</sup>  
وجدت مذاق كل تلميذ مجد فكيف وجدت مجد الكامينا<sup>(٣)</sup>  
نشرت صفاتها فجزتك مصر صحائف سؤدد لا ينطوينسا  
فإن تك قد فتحت لها كنوزا فقد فتحت لك الفتح المينا<sup>(٤)</sup>  
فلا ( قارون ) فوق الأرض إلا تمنى لو رضيت به قرينا<sup>(٥)</sup>  
سبيل الخلد كان عليك سهلا وعادته يكد السالكينا  
وأيت تنكرا وسمعت عتبا فعذراً للغضاب المنقينا<sup>(٦)</sup>  
أبوتنا وأعظمهم تراث محاذر أن يؤول لأخرينا<sup>(٧)</sup>

(١) لك الأصل : ... الخ ، وذلك انه من بيوتات المخلقا القديمة في المجد .

(٢) ومالك لا يعد : ... الخ ، فهو يملك في بلاد الانجليز الف فدان .

(٣) وجدت مذاق : ... الخ ، اشارة الى استمراره في اعمال الحفر والتنقيب في وادي الملوك  
قد بدأها منذ ست عشرة سنة ولم يزل حتى انتهى الى اعظم أثر بين الآثار التي عثر عليها العلماء  
منذ قرن من الزمان . وقد صبر ' هذا العمل الجليل لعاود اسمه ورقة ذكره وكان اهتداؤه الى هذا  
الكنز الثمين في اواخر نوفمبر سنة ١٩٢٢ في مدافن ملوك طيبة تحت مدفن رحسيس السادس ،  
والصفائح : حجارة القبور .

(٤) اشارة الى ما حواه هذا الكنز العظيم من التحف الثمينة النادرة المثال والآله الغالية  
القليلة الوجود .

(٥) قارون : رجل كان صاحبا كنوز عظيمة يضرب به المثل في الغنى .

(٦) التنكر : تغير الرجل عن حال تسره الى حال يكرهها وفي الاساس تنكر بي فلات  
لقيني لقاء بشعا . المنقون : الذين ملامهم الفيظ .

(٧) أبوتنا : اي آباؤنا والتراث : للبراث وفيه اشارة الى ما قيل يومئذ ونشرته الصحف من  
أن اللورد كارفارفون أخذ حفية اعلى ما في الكنز من تحف بينها تاج الملكة وعقدها .



- ونأبى أن يحلّ عليه ضم ويذهب نهباً لناهيننا (١)  
سكت فحام حولك كل ظن ولو صرحت لم تثر الظنوننا (٢)  
يقول الناس في سر وجهر وما لك حيلة في المرجفيننا (٣)  
أمن سرق الخليفة وهو حي يعقب عن الملوك مكفنيننا (٤)

\* \* \*

- خليلي اهبط الوادي وميلا الى 'غرف الشموس' الفاربيننا (٥)  
وسيرا في محاجرهم رويدا وطوفا بالمضاجع خاشعيننا (٦)  
وخذصتا بالعسار وبالتحسايا رفات المجد من (توتنخميننا) (٧)

- (١) الضم : الظلم أي نأبى أن يظلم ذلك التراث بنهبه نهباً كما روت الأنباء البرقيسة في ذلك الحين .  
(٢) سكت فحام حولك : ... الخ، أي ان الذي قيل وشاع لاقى منك سكوتنا عن نفيه فلحقتك الشبهات بسبب سكوتك.  
(٣) المرجفون : من يخوضون في الأخبار السيئة.  
(٤) أمن سرق الخليفة : ... الخ، هذا ما يقوله الناس. وذلك أن إنجلترا هي التي نقلت الخليفة وحيد الدين من قصره في الاستانة وأجأته الى المدرعة البريطانية «مالايا» هرباً من الكماليين فذهبت به الى مالطة في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢١ فإذا كانت هذه الدولة تفعل ذلك بالملوك الأحياء فلا يبعد على رجالها أن يفعلوه بالملوك الأموات وبما في قبورهم من جواهر ودرر وقد ذكرت الأنباء في اثبات ذلك أن اللورد كرمار فون اهدى الى ابنة ملك الانجليز عقداً مصرياً قديماً له قيمة عظيمة وانها لما علمت بوقاته وأن بموضة من القبر عضته تزعت من عنقها ذلك العقد خروفاً من انتقام قوت عنخ آمون الذي نسبت اليه يومئذ وفاة اللورد.  
(٥) يردد بالشموس الفاربيننا : ملوك الفراعنة وغرفهم : مدافنهم .  
(٦) المحاجر : ما يحجمه الملوك حول منازلهم ومنها محاجر أقيسال اليمن وهي أحماض أي مكان يحجمه كل واحد منهم .  
(٧) العمار : التحية : وهو ايضاً الزيجان يزين مجلس الشراب واستعماله هنا على الاطلاق إذ لا يليق أن يكون مقيداً بتزيين هذا المجلس . التحايا : جمع تحية والرفات كل ما تكسر دبلتي .

وقبراً كاد من حسن وطيب      يُضيءُ حجارة ويضوع طينا<sup>(١)</sup>  
 يُخال لروعة التاريخ قدّدت      جنادكُ العلام (طورسينا)<sup>(٢)</sup>  
 وكان نزيلك بالملك يدعى      فصار يلقب الكنز الثمين<sup>(٣)</sup>  
 وقوما هاتفين به ولكن      كما كان الأوائل يهتفونا<sup>(٤)</sup>  
 فثم جلالة قرّت ورامت      على مر القرون الأربعينا<sup>(٥)</sup>  
 جلال الملك أيام وتمضي      ولا يمضي جلال الخالدين<sup>(٦)</sup>  
 وقولا للنزير قدوم سعد      وحيا الله مقدمك اليمين<sup>(٧)</sup>  
 سلام يوم وأرتك المنايا      بوادها ويوم ظهرت فينسا<sup>(٨)</sup>  
 خرجت من القبور خروج عيسى      عليك جلالة في العالمينا<sup>(٩)</sup>  
 يجوب البرق باسمك كل سهل      ويخترق البخار به الحزونا<sup>(١٠)</sup>

- (١) يذوع : يتحرك وينتشر أي كادت حجارتُه تضيءُ حسناً وكادت تنقشر رائحته الطيبة الذكية .
- (٢) الروعة : المسحة من الجمال ، والجنادل جمع جنادل وهو الحجارة وطورسينا هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى .
- (٣) النزير : الضيف .
- (٤) هاتفين به : أي بالملك الذي هو نزير القبر وليكن هتافكما كما كانوا يهتفون له أيام حياته .
- (٥) فثم : فهناك . والجلالة : عظم القسدر ورامت ، أقامت والقرون الأربعون : هي التي مضت منذ عهد قوت عنخ آمون .
- (٦) أي إن الجلال الصحيح ما خلد به صاحبه في التاريخ أما جلال الملك فلا بقاء له .
- (٧) اليمين : المبارك وهو من اليمن .
- (٨) وأرتك : اخفتك .
- (٩) خروج عيسى : أي كما خرج عيسى من القبر على رأي النصارى وصاحب الديوان لا يمتنع ذلك وإنما ينظر فيه إلى رأيهم .
- (١٠) يجوب : يقطع والبرق اسم منقول من معناه الأصلي للتلفراف ، والبخار : اسم منقول كذلك للزبور أو هو من باب تسمية الشيء باسم المؤثر فيه . والحزون : جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض .

وأقسمُ كنتَ في (لوزان) شُعلاً      وكنتَ عجيبةَ المتفاوضينا (١)  
 أتعلم أنهم صلفوا وتساهوا      وصدوا الباب عنا موصدينا؟ (٢)  
 ولو كنسا نجر هناك سيفاً      وجدنا عندهم عطفاً ولينا (٣)  
 سيقضي (كرزن) بالأمر عنا      وساجات (الكنانة) ما قضينا (٤)

\* \* \*

تعال اليوم خبرنا أكاكات      فوالك سناتِ نوم أم سدينا؟ (٥)  
 وماذا جيتَ من ظلمات ليسل      بعيدِ الصبح يُنضي المدلجينا؟ (٦)  
 وهل تبقى النفوس إذا أقامت      هياكلها وتبلى إبت بلينا؟  
 وما تلك القباب وأين كانت      وكيف أضل حافرما القرونا؟ (٧)  
 مردة البناء تحمال برجا      ببطن الأرض محطوطا دينا (٨)

(١) لوزان : إحدى مدن سويسرة وقد عرفت بمؤتمر الدول الذي اجتمع بها للنظر فيما بين من الخلاف وبتقرير الصلح بين الترك واليونان وقد رافق اجتماع ظهور قبر الملك توت عنخ آمون ومعرفة ما فيه .

(٢) صلفوا : تمدحوا بما ليس فيهم وادعوا فوق ذلك إعجاباً وتكبراً . وصدوا الباب عنا ، منعه عنا أي لم يفتحوه لنا وموصدين من أوصد الباب ، أغلقه .

(٣) أي لو كانت لنا قوة من السلاح لعاملوا بالدين والمودة لأنهم يدارون الأتواء ويمالئونهم .

(٤) كرزن : وزير الإنجليزي مشهور كان هو مندوب إنجلترا في مؤتمر لوزان ، والكنانة ، مصر .

(٥) تعال اليوم ... الخ ، الخطاب لتوت عنخ آمون . فوالك ، بمدك ، والسنات ، جمع سنة بكسر السين وهي النعاس .

(٦) ينضي : يزل والمدلجون الذين يسرون من أول الليل .

(٧) وما تلك القباب ... الخ ، أي وخبرنا ما تلك القباب جمع قبة وهي ما ظهر من أبلية المقبرة الفضة . والقرون : جمع قرن وهو مائة عام .

(٨) مردة البناء : مملسته .

تغطي بالاثاث فكان قصرا  
حملت العرش فيه فهل ترجى  
وهل تلقى المهيمن فوق عرش  
وما بال الطعام يكاد يقدي  
ولم تك أمس تصبر عنه يوماً  
لقد كان الذي حذر الأوالي  
يحب المرء نبش أخيه حيا  
سُلت من الحفائير قبل يوم  
فإن تك عند بعث فيه شك  
ولو لم يعصوك لكان خيراً  
وبالصور العتاق فكان زونا (١)  
وتأمل دولة في الغابرينا ؟ (٢)  
ويلقاه الملا مترجلينا ؟ (٣)  
كما تركته أيدي الصانعينا (٤)  
فكيف صبرت أحقايأ مئينا (٥)  
وخاف بنو زمانك أن يكونا (٦)  
وينبشه ولو في الهالكينا  
يسل من التراب الهامسدينا (٧)  
فإن وراعه البعث اليقيننا (٨)  
كفى بالموت معتصبا حصينا (٩)

(١) تغطي ، أي إن هذا البناء تغطي ... الخ والاثاث ، متاع البيت ، والصور جمع صورة يريد بها الرسوم التي تحاكي صور الأشياء. والعتاق ، جمع عتيق وهو القديم من النجيب من الخيل والجراح من الطير. والزون ، موضع تجمع فيه الأصنام .  
(٢) في الغابرين ، في الباقين وفي القرآن الكريم « فأنجبناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين » ويكون أيضاً بمعنى الماضين قهر من الكلمات التي تستعمل للأضداد .  
(٣) المهيمن ، من أسماء الله تعالى. والمترجلون ، الذين يتزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم.  
(٤) ما بال الطعام ، ما حاله. ويقدي من قدى الطعام أي طاب طعمه ورائحته .  
(٥) الاخقاب ، جمع حقب بضم الحاء وهو الدهر. والمئين جمع مائة .  
(٦) لقد كان ، أي لقد حصل الذي حذر الأوالي. والأوالي جمع أول ، والمعنى انه ما كنتم تخافونه وتحذرون وقوعه من نبش قبوركم قد حصل ولم تمنعه مبالغتكم في الوقاية منه .  
(٧) سلت ، اخرجت منها برفق . الحفائير ، جمع حفيرة واليوم الذي يسلم فيه الهامدين من التراب هو يوم القيامة .  
(٨) فإن تك عند بعث ... الخ ؛ أي فإن تكن الآن تشك في هذا البعث الذي خرجت به من قبرك فلا محالة سيأتي البعث الذي لا تشك فيه وهو يوم القيامة .  
(٩) يعصوك ، ينصرك من المكره ؛ أي لو انهم تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة لسا اصابك مكره ، لان الموت يتبع الاذى ان يصل اليك .

يُضَرُّ أَخُو الْحَيَاةِ وَلَيْسَ شَيْءٌ بِضَائِرِهِ إِذَا صَحِبَ الْمُتَوَنَّا

\* \* \*

زمان الفرد يا ( فرعون ) ولى ووالث دوله المتجبرينا .<sup>(١)</sup>  
وأصبحت الرعاة بكل أرض على حكم الرعيصة نازلينا  
( فؤاد ) أجل بالدستور دنيا وأشرف منك بالاسلام ديننا<sup>(٢)</sup>  
وأهدى في بناء الملك جداً وأجود والداً في المحسنينا  
بنى ( الدار ) التي لا عز إلا على جنباتها للمالكينا<sup>(٣)</sup>  
ولا استغلال إلا في ذراها لم تبوع ولا للتابعينا<sup>(٤)</sup>  
ترى الأحزاب ما لم يدخلوها على جد الحوادث لاعيننا  
وإن فقيدت فأمر القوم فوضى وان وليته أيدي (الراشدينا)<sup>(٥)</sup>  
إذا سارت به أيدي شمالاً أقت أيسد فسون به يميننا  
فعبجل يا ( ابن اسماعيل ) عجل وهسات النور واهد الحائرينا  
هو المصباح فأت به وأخرج من الكهف السواد الغافلينا<sup>(٦)</sup>

(١) زمان الفرد . أي زمان حكم الفرد . ودالت انتقلت من حال الى حال . والمتجبروت .  
التكبروت .

(٢) فؤاد ، هو ملك مصر احمد فؤاد الاول .

(٣) بنى الدار ، هي دار النيابة التي يجتمع بها فواب الامة . والجنيات ، النواحي .

(٤) الذرا ، اللجأ .

(٥) الراشدون ، هم الخلفاء الاربعه بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) الكهف ، ما ينقر في الجبل كالبيت . والسواد ، عامة الناس .

- ملايين تجر الجهل قيـداً وتسحب بالقليل المطلقينا (١)  
(فداو) به البصائر فهو (عيسى) وفك براحتيه المقعدينا (٢)  
ومن ير دونه حقسا فإني أراه وحده الحق المبينا (٣)

\* \* \*

- 
- (١) وتسحب ... الخ ؛ بضم التاء أي ويسحبها أشخاص قليلون هم الذين اطلقوا من ذلك القيـد .  
(٢) فداو به : أي بالدستور. والبصائر: المقول، جمع بصيرة. فهو عيسى أي فهو كعيسى في مداراة اصحاب العثل التي لا تبرأ .  
(٣) الحق المبين ، الواضح .

### الثعلب والديك

برز الثعلب يوما في شعار الواعظينا  
فحش في الأرض يهدي ويسب الماكرينا  
ويقول الحمد لله إله العالمينا  
يا عباد الله توبوا فهو كهف التائبينا  
وازهروا في الطير إن العيش عيش الزاهدينا  
واطلبوا الديك يؤذن لصلاة الصبح فينا  
فاتى الديك رسول من إمام الناسكينا  
عرض الأمر عليه وهو يرجو أن يلينا  
فأجاب الديك عذرا يا أفضل المهتديننا  
بلغ الثعلب عني عن جدودي الصالحينا  
عن ذوي التيجان من دخل البطن اللعينا  
أنهم قالوا وخير القو ل قول العارفيننا  
«مخطيء من ظن يوما أن للثعلب ديننا»

## سليان والهدمد

وقف الهدمد في با	ب سليان بذلك
قال يا مولاي كن لي	عيشتي صارت ممله
مت من حبه بر	أحدثت في الصدر غله
لا مياه النيل ترويه	ولا أمواه دجه
وإذا دامت قليلا	قتلتني شر قتله

\* \* \*

فأشار السيد العا	لي إلى من كان حوله
قد جنى الهدمد ذنباً	وأتى في اللؤم آفعله
تلك نار الأثم في الصد	ر وذو الشكوى تعله
ما أرى الحية إلا	سُرقت من بيت نملة
إن للظالم صدراً	يشتكي من غير عله



# أحمد زكي أبو شادي

حياته  
مختار من آثاره

بقلم  
عبد العزيز السوقي



## تمهيد

المعاني الانسانية الكبيرة تنمو كلما مرت الايام ، وتزكو كلما احتشدت التجارب ، وتزداد تألقا وبريقا كلما وقفت البشرية 'تستروح' نسيات من تجاربها الانسانية العميقة ...

ولا شك ان « احمد زكي ابو شادي » شخصية انسانية كبيرة .. وقد يختلف الناس في شعره وأدبه ودراساته المتعددة، ولكن الجميع — فيما اظن — يجمعون على انسانيته الكبيرة ..

وهذا في رأيي هو الذي ضمن لأدبه وشعره البقاء ، فمن معين انسانيته كان يمنح هذا الشعر وذلك الأدب ، وبدافع من حبه الغزير للإنسانية كان يكافح ويكتب ويشقى .

وذلك ما اسمعني ان اتناول بالدراسة شعر هذا الرائد ؛ على الرغم من شعوري بمشقة هذه المهمة .. فالرجل متعدد الجوانب خصب النفس والعقل والانتاج .

فهو شاعر له تجارب كثيرة في الشعر، ومحاولات متعددة للتجديد وتطوير

مفاهيمنا الشعرية وله شعر تمثيلي الى جانب شعره الغنائي ، وأوبراته الأربع كانت تجربة بكرة في حفل شعرنا العربي الحديث وهو مع هذا طبيب متخصص صقلته دراساته الطبية وأمدته بكثير من الدقة وقوة الملاحظة وعمق التحليل ولذلك اتجه الى دراسات متعددة من النحالة والدجاجة والأبحاث الزراعية . وهو ناقد غزير الثقافة ، مرهف الحس مصقول العبارة ، ذكي اللحمة له الملم واسع بمذاهب الأدب عند الغربيين ، ولذلك يمتاز نقده بالدقة والانصاف ، وهذا جانب يحتاج الى دراسة متأنية فهو خير جوانب ابي شادي .

والرجل جولات كثيرة في الترجمة والتصوف والدراسات العلمية والدينية ..

ولذلك فمن العسير ان نتكشّف كل هذه الجوانب في شخصية ابي شادي المركبة .

وشعره صدى لكل هذه المعاني والانطباعات ، وهو تسجيل بسارع لاحداث حياته القلقة المضطربة وظروف نفسه ، ونبضات وجدانه .

ولذلك سأحاول جهد طاقتي اطلاق الانوار على شخصيته وظروف حياته وبيئته السياسية والاجتماعية وسأقف عند كل شيء أسهم في تكوين مزاجه الثقافي والفني ، حتى نتمكن من تفسير شعره على ضوء هذه الاشياء ، لنرى تطوره وتجديده .

وسنحاول في هذه الدراسة تتبّع الخطّ البياني لشعره ، مع الوقوف عند صورته الشعرية والخيوط الفنية التي 'تكوّن' هذه الصور ، وستعرض بالنقد والتحليل - ما استطعنا - لتجديده في الشكل والمضمون والتجارب الجديدة التي حاول ان يبشر بها ، ويمارسها في فنه ، وسنختار بعد هذه الدراسة قصائد من شعره تبين شاعريته ومكانته من شعرنا العربي الحديث . وأرجو ان

أكون قد وفقت في إبراز بعض الجوانب المضيئة حياة هذا الشاعر ، ومن تسجيل بعض انغامه العذبة ، لتكون تحية للشاعر المجاهد الذي عاش حياة شقية شريفة مكافحة ، وظل يحمل بين جوانحه شوقاً طاغياً للمعرفة ، ويرسل في كل الظروف اشعاعات من فكره وفنه مهما ادلمت حياته ولفتها سحب الظلام .. وقد فارق دنيانا من غير ان يحظى بأي تقدير يذكر ، وكأنه كان يرثي نفسه عندما قال :

ء كما أتيت بنبع فني  
م سوى المهازل والتجني

أسفا أعود الى السما  
لم ألق في دنيا الأنا

رحمه الله رحمة واسعة .

## سيرته

( ١٨٩٢ - ١٩٥٥ )

( ١٨٩٢ - ١٩١٢ ) • ولد الشاعر في اليوم التاسع من فبراير ١٨٩٢ بحبي الحنفي أحد أحياء مدينة القاهرة ، والتحق وهو في الرابعة من عمره بمدرسة الهياتم بالحنفي . وعندما ناهز العام السابع دخل مدرسة عابدين الابتدائية .

• انتقل بعد ذلك الى المدرسة التوفيقية بشبرا حيث أتم تعليمه الثانوي ثم انتقل الى كلية الطب ومكث بها عاما واحداً وتركها بعد ان وقع له اضخم حادث في حياته وهو فشله في حبه الاول .

• ويحدثنا ابو شادي انه اخرج في هذه الفترة ديوانه الاول « انداء الفجر » في عام ١٩١٠<sup>(١)</sup> وساهم في تحرير جريدة (الظاهر) اليومية ( والامام ) الاسبوعية ، وكان يصدرها والده المحامي الجبير محمد ابو شادي - كما أشرف على اخراج مجلة « حدائق الظاهر » وهي مجلة قصصية مدرسية .

\*\*\*

---

(١) لنا رأي خاص في هذه المسألة يمكن الرجوع اليه في كتابنا - جماعة ابولوواترما في الشعر الحديث ص ١٧٦ وما بعدها .

( ١٩١٣ - ١٩٢٢ ) أصيب في اول عام ١٩١٢ بأزمة عاطفية حسادة عندما تزوجت فتاة احلامه من رجل آخر وكانت ربيبة والده تعيش معه ، ولقد اصابه هذا الحادث باضطراب نفسي عميق ترك على أثره كلية الطب وأرسله والده الى اليونان ليعالج . ثم عاد وارسله الى إنجلترا ليتعلم هناك بعيداً عن مسرح المأساة ، فسافر سنة ١٩١٢ الى لندن ودرس الطب حتى عام ١٩١٥ ، وتخصص في علمي الامراض الباطنية والجراثيم ، ونال شهادة الشرف في علم البكتريولوجيا من مستشفى « سانت جورج » إحدى مدارس جامعة لندن .

● عمل فترة من الوقت مساعدا بالمعمل البكتريولوجي بلندن .

● اهتم بدراسة النحالة واسهم في تأسيس معهد النحل الدولي سنة ١٩١٩ ومجلة عالم النحل بإنجلترا .

● اهتم في هذه المرحلة - الى جانب دراساته العلمية - بالادب والشعر فوقف على التيارات الادبية التي كانت تضطرم في هذه الايام وتذوق كثيراً من الشعر الانجليزي ، وفي هذه المرحلة ايضاً تكون مزاجه الثقافي والفني واكتسب من دراسته العلمية نظرة نافذة عميقة ساعدته على تفهيم كثير من اسرار الحياة .

● ( ١٩٢٢ - ١٩٤٦ ) عاد من إنجلترا الى القاهرة في عام ١٩٢٢ مع زوجته الانجليزية التي كان قد تزوجها في اثناء مقامه بإنجلترا ، وقد عين طبيباً بكتريولوجياً سنة ١٩٢٣ وظل فترة طويلة في الوظيفة يتنقل بين القاهرة والسويس وبورسعيد والاسكندرية وعمل في هذه الفترة مديراً لمعمل الحكومة البكتريولوجي في السويس والاسكندرية . ثم عين وكيلاً لكلية الطب بالاسكندرية .

● عمل على انشاء جمعية ابولو الشعرية في القاهرة سنة ١٩٣٢ وقد اصدر

لها مجلة شعرية باسم « ابولو » في سبتمبر سنة ١٩٣٢ ، وقد احدثت هذه  
المجلة نهضة شعرية ، ودفعت الى عالم النور شعراء كثيرين صاروا فيما بعد من  
أئمة شعرنا الحديث .

● ولعل هذه المرحلة من اخصب مراحل الشاعر ففيها أصدر معظم  
دواوينه الشعرية : - زينب (سنة ١٩٢٤) ومصريات ( سنة ١٩٢٤ ) وأنين  
(مايو سنة ١٩٢٥ ) وشعر الوجدان (سنة ١٩٢٥) وموسوعته الشعرية  
الضخمة الشفق الباكي ( سنة ١٩٢٥ ) ومختارات من وحي العام ( ديسمبر  
١٩٢٨ ) واشعة وظلال ( سنة ١٩٣١ ) والشعلة (ديسمبر سنة ١٩٣٢) واغاني  
ابي شادي (سنة ١٩٣٣) وأطياف الربيع (سنة ١٩٣٣) والينبوع (يناير سنة ١٩٣٤)  
والكائن الثاني ( سنة ١٩٣٥ ) . وقد شعر في هذه الفترة بقسوة الحياة  
واضطهاد الناس وجحودهم ، فصمت فترة عن قول الشعر حتى عام ١٩٤٢  
حيث اصدر في يناير من هذا العام ديوانه « عودة الراعي » وهو آخر ديوان  
اصدره في الوطن .

\* \* \*

( ١٩٤٦ - ١٩٥٥ ) هذه مرحلة جديدة من مراحل الشاعر فقد قرر  
الهجرة من وطنه الى امريكا وأعد كل شيء للهجرة ؛ وفي هذه الاثناء ماتت  
قرينته وام أولاده ، ومع ذلك هاجر حزينا ملتاعا في ١٤ ابريل سنة ١٩٤٦  
الى نيويورك وقد مارس في هذه الفترة الوانا مختلفة من النشاط فاشتغل استادا  
للادب العربي بمعهد آسيا في نيويورك وانشأ رابطة ادبية في المهجر سماها رابطة  
« منيرفا » وعمل سكرتيراً لها وحرر في كثير من الصحف والمجلات التي  
تصدر في المهجر ومنها : السائح والهدى واصلاح ونهضة العرب ، كما عمل في  
الاذاعة الامريكية « صوت امريكا » .

واصدر في المهجر ديوانه الشعري « من السماء » عام ١٩٤٩ .



● قال شعراً كثيراً في المهجر وقد جمع اربعة دواوين مخطوطة توجد عند الاستاذ رضوان ابراهيم ، وهي : « من اناشيد الحياة » « والانسان الجديد » « وايزيس » « والنيروز الحر » وقد نظم الشعر بالانجليزية وله ثلاثة دواوين طبع منها اثنين هما « اغاني العدم » « واغاني السرور والحزن » . وقد نشر في نيويورك ، والديوان الثالث لا يزال مخطوطاً هو « اغاني الحب » .

\* \* \*

● كتب الرجل في حياته طائفة من القصص الشعرية منها « قصة عبده بك » وقصة « مها » : وله اربع اوربات شعرية كتبها جميعاً في عام ١٩٢٧ وهي بالترتيب : « احسان » « اردشير وحياة النفوس » « الزباء زقوبيسا ملكة تدمر » « الآلهة » .

● كتب قصائد قومية مطولة منها « ملهخرة رشيد » « وطن الفراغنة » « نكبة نفارين » « سعد » .

● ترجم رواية العاصفة لشكسبير فترا في سنة ١٩٢٩ .

● كتب في فنون شتى فله في النقد « مسرح الادب » جزءان و « قضايا الشعر المعاصر » « وشعراء العرب المعاصرون » نشر رضوان ابراهيم وله كتب في الاسلام مثل « عظمة الاسلام » وله انتاج مخطوط في مختلف الفنون في الشعر والدراسات الادبية والاسلامية .

● استمنا في هذه الالمامة بسيرته بكتابتنا « جماعة ابولو واثرها في الشعر الحديث طبع القاهرة سنة ١٩٦٠ » وكتاب « نظرات نقدية في شعر ابي شادي - المطبعة السلفية سنة ١٩٢٥ - وكتاب شعر الوجدان لجامعة محمد صبحي سنة ١٩٢٥ - ومقدمة كتاب « شعراء العرب المعاصرين » نشر رضوان ابراهيم وكتاب رائد الشعر الجديد - محمد عبد النعم خفاجي ، واستمنا بكثير من الرسائل التي بعث بها الشاعر الى اصدقائه ومقالاته في المجلات الادبية مثل البعثة الكويتية وغيرها .

## بيئة أبي شادي الخاصة :

ولد أحمد زكي أبو شادي في بيئة أدبية وطنية ، فوالده محمد « بك » أبو شادي كان مرموقاً في المجتمع المصري ، في الحمامة كان نجماً لامعاً وكان نقيباً للمحاميين ، وفي الصحافة شق طريقه بجريدته اليومية ( الظاهر ) ومجلته الأسبوعية « الامام » حتى صار ملء السمع والبصر ، وكان خطيباً بارعاً نافذ العبارة ، مؤثر البيان ، حتى لقد كان سعد زغلول يقول في خطبه : « هذه على مذهب استاذنا أبي شادي » .

وفي منزله بسراي القبة بالقاهرة كان له صالون أدبي يجتمع فيه القادة والوطنيون والأدباء والشعراء وقد خلص محمد أبو شادي الأساليب الأدبية من الصنعة وأشاع في الصحافة الادبية أسلوباً متشعباً بسذوق العصر مشوق الديباجة سلس العبارة ، وكان الرجل شاعراً أيضاً وله ديوان لم يطبع بعد ووالدة الشاعر هي السيدة أمينة نجيب وهي شاعرة رقيقة مرهفة ، وخاله مصطفى نجيب شاعر مرموق وكان زميلاً لمصطفى كامل في الكفاح .

في هذه البيئة الادبية الوطنية شبّ أبو شادي وترعرع وتلقى الوراثة الاولى في حياته واخترت في هذه المرحلة كثيراً من التجارب والانطباعات التي أفاد منها فيما بعد .

وسنقف - ونحن بصدد بيئة الشاعر الخاصة - عند حادثين هاميين كان لهما أثر بعيد في حياته ، وظل هذا الأثر يلزمه ويطبغ تصرفاته مدى الحياة .

١ - أما الحادث الاول فهو انفصال والده عن والدته .

وقد أثر هذا الحادث في نفس الشاعر تأثيراً عميقاً وأصابه منذ غضارة الصبا بحزن كثيف وقلق لازمه طويلاً وأفقده في كثير من الاحيان الامان

والتكليف مع المجتمع ، وهذا هو الاسى الذي كان يشير إليه دائماً دون أن يفصح عنه ، فعندما حاول أن يكتب حياته لمجلة « الحرية » بالعراق سنة ١٩٢٥ قال<sup>(١)</sup> : « وقد كان والدي - رحمه الله عليها - على جانب عظيم من العناية بي والمحبة لي ، ومع ذلك فقد شابت نشأتي أحزانٌ عائلية كثيرة لا تزال تساورني كآبتها ، وان كنت بطبعي من يقدّر نعمة الحياة غالباً » ولعل أول هذه الأحزان التي يشير إليها أبو شادي ، هو الانفصال العائلي الذي أفقده الهناء وبذر في نفسه بذور القلق والاضطراب النفسي .

٢ - وقد ترتب على الحادث الأول حادث آخر أفدح وأعمق ، فعندما غادرت والدته المنزل حلّت محلها زوجة أخرى لوالده وفي هذا الجو الجديد افتقد الشاعر الهناء العائلي والحنان ، فهبت نفسه إلى حنان جديد يعمّوه عن أحزان نفسه وظماً روحه ، وقد التمس هذا الحنان عند ربيبة والده وهي فتاة صغيرة قريبة زوجة أبيه فأحبّها الحبّ كله ، ومألت عليه أقطار نفسه وأفعمت قلبه حناناً وحبّاً وسلاماً ؛ ونسى في هذا الطور مأساة حياته ، وأزهرت أغصان آماله اليابسة ، وغرد أعذب الألحان لهذا الحبّ الوليد .

ولكن الأقدار تريّشت به مرّة ثانية فأفقدته حبّه الأول ، وعملت زوجة أبيه على أن يتم زواج الفتاة التي ارتبط بحبها ، رجل آخر ، وتم فعلاً عرسها في منزل قريب من منزل الشاعر .

وقد حدثني أحد أقاربه أنه كان يشهد في منزله مصرع حبه وغروب آماله . وانهار أحلامه ، وكانت موسيقى العرس تتسلل إليه في وحدته فتثير في نفسه شجناً ( أي شجن ) ، وقد صورّ الشاعر هذا الجو بقصيدته

(١) نظرات نقدية في شعر أبي شادي - الطبعة السلفية سنة ١٩٢٥ ص ٧-٥

« عرس الماتم » المنشورة في ديوانه « زينب » ص ١٣ ، وفيها بصدر عن  
نفس حزينه ملتاعة فتدحّتها الكارثة ؛ واشاعت فيها الحراب والدمار ،  
وهي وثيقة نفسية هامة يشرح فيها هذا الحب الأول ؛ يقول منها .

عذبة أنت في الخفاء وفي الجمر ر وفي المهجر يا أغاني الظلام<sup>(١)</sup>  
ومسئها :

يا حياي ويا منارة لي كيف أنسيت أشواق الأحلام  
ومسئها :

ألم النور في دعاب إذا ما أقبل الفجر من رسول الغرام  
ومسئها :

كيف أنسيت يا ربيبة عمري وكيف أنسيت في غرور- هيامي  
ومسئها :

إيه يا « زين » آفل من شبابي إيه يا نجم قاتسل من ظلامي  
ويختمها بقوله :

إفرحي العمر واسعدي دون قربي واذكري في الغداة معنى أوامي  
وأنا المذنب الغفور وحي دمة منك سوف تروى عظامي

ولا شك ان هذه المقطوعة تصور مرحلة من مراحل الشاعر النفسية  
والشعرية ، فهي من بواكير مقطوعاته وأوائل محاولاته وهي من الناحية  
الفنية دون مستوى شعره ، ولكنها مع ذلك تنقل بصدق لوحة من حياة  
الشاعر ، وتعطينا تفاصيل غرامه العاثر فهي من هذه الناحية وثيقة هامة .

وهكذا تحطمت آماله ، وتمزق حبه الاول ، وقد تمزقت نفسه بعد هذه  
الصدمة الفادحة وأصيب باضطراب نفسي أثار على صحته وأوشك ان يودي

(١) زينب : نفعات من شعر الغناء ص ١٣ المطبعة السلطانية بالقاهرة سنة ١٩٢٤ .

بحياته ، وقد حاول والده ان يخفف عنه أثر هذه الكارثة فأرسله في رحلة الى تركيا واليونان ليعالج ويسلو .

ثم قرر نهائيا - بعد ثورة الاصدقاء - ان يبعده بصورة حاسمة عن مسرح الكارثة فأرسله في سنة ١٩١٢ الى إنجلترا ليتعلم الطب هناك ؛ وهو قرار حكيم لأنه ابعده فعلا عن مشيرات احزانه والأسف كان بيت والده من تلك المثيرات ، ففبه زوجة غير أمه أفقدته أمنته وهناءه العائلي ، وأفقدته حبه الاول .. ولم يحاول أحد من اصدقاء ابي شادي أو تلاميذه أن يفسر لنا هذه الوقائع في حياته او يرد إليها ظروف قلقة واضطرابه فيما بعد ولكن الشاعر ظل يشير الى هذه الاصوات في نثره ، ويصورها في شعره في انفصال حاد يدل على مدى اثرها عليه ومدى ما تركت في نفسه من مرارة وألم ... فعندما استقر في إنجلترا عقب المأساة صور غروب آماله بقصيدته « لغتات الغريب<sup>(١)</sup> » ومنها يقول :

ألا في سبيل الحب والأمل الغالي      عذابي عذابَ النفي في الجبل الخالي  
شريداً وحيداً للطبيعة موئلي      أكفكف دمعي في أشعة آصالي  
وأندب عمري قد تولى أعزّه      ولم يبق غيرُ الذكر والمثل العالي  
كأنني لما لاقيت من فرط شقوتي      خلقت لأعطي الدهر حكمة أجيال  
فبينتُ صيباً في رجولة ناغمٍ      على الدين والدنيا على الشرف البالي

ونحن نعتقد ان الشاعر لم ينغم على الدين ولا على الشرف ؛ وإنما دفعه الى هذا القول إحساسه بفداحة الكارثة التي اطاحت بصوابه ودفعته الى الثورة في الحاح . ولكن الذي لا شك فيه انه تقم على الدنيا وظل ناقما عليها مدى حياته ، وإن أخفى هذه النقمة في بعض الاحيان خلف إطار من الثقافة

(١) المصدر السابق ص ١٥

والتفاؤل وهو يتمرد بعنف على من كانوا سبباً في تدمير حبه وهنائه العائلي  
ويسميهم العصبة الدساسة يقول :

.. أأحرم من شمس واحب هاننا  
فيا عصبه شئت فنائي واسرفت  
ويذكرني قومي ويعرفني الهوى  
وحولي ضباب العيش لا الأمل الحالي  
ستحيا على رغم الدسائس افضالي  
فتنقم لي العليساء والزمن التالي

وهو لا ينسى ان يوجه عتسباً حزيناً الى أهله فيقول :

جُزيتُ على طهري بتغريب مهجتي وأوذيت من أجل الوفاء ومن آلي  
وقد قطع على نفسه عهداً ان يظل وفياً لهذا الحب في حياته وفي مماته .  
سأحيا وأفنى فيك أصدق عاشق أصاب به الزلزالُ قدوة أبطال  
ونحن نشهد انه لم يحدث بالعهد فقد ظل يقدر هذا الحب طوال عمره ،  
وظل أثرُ إخفاقه في هذا الحب يؤرق حياته ، بل لقد اصابه باضطراب عميق  
ووسمٍ معظم تصرفاته ، وصادر أمنه وحرمة من نعمة التكيف مع نفسه  
ومع المجتمع وهذه هي مأساة حياته التي يمكن ان نفسر على ضوءها كثيراً من  
شعره بل ومن تصرفاته واحداث عمره .

### منابع ثقافته :

من العسير أن نحدد في وضوح منابع أبي شادي الثقافية ، فيقد عياش في  
جو أدبي تختلط فيه التيارات الأدبية ، وتلاطم النظرات الفنية ، ويستخدم  
النقاش بين جيلين من المفكرين والأدباء ، جيل محافظ يدعو إلى المحافظة على  
القديم والتراث العربي ، وجيل تأثر يسخر من المحافظين ويدعو في عنف إلى  
الحضارة الغربية ، واحتذاء تراثها الثقافي .

وكان بين هذين الجيلين أدباء ومفكرين تهفو نفوسهم إلى الجديد ،  
ويتطلعون في شوق إلى الحياة المتطورة الفنية بالثقافة المتفتحة على كل المذاهب  
الأدبية ، ولكن دون أن تقطع صلتنا بترائنا العربي العريق ، وكان والد أبي  
شادي من هذا الطراز ، وكانت تحتمل في صالونه الأدبي المناقشات المختلفة  
بين أدباء وشعراء من مختلف الاتجاهات .

ومن هذا النبع استقى أحمد زكي أبو شادي لهذا يمكن أن نقول ان أبا  
شادي تأثر بوالده تأثراً كبيراً وتأثر بخاله مصطفى نجيب وأمه أمينة نجيب  
وتأثر بجو صالون والده الأدبي ، وعن تعرف فيه من الشعراء والأدباء ، ولكنه  
كان في أوائل حياته متردداً بين القديم والجديد لم يستقر على حال ، ولكن  
أحداث حياته أثارت فيه تطلعاً حاداً إلى الثورة على كل شيء وفت فيه هذه  
البذرة ونهبت تطلعه إلى التوسع في الدراسة الأدبية ولذلك تبدلت نظرتة في  
الشعر عندما عثر بالصدفة على كراسة صغيرة بالانجليزية تضمنت محاضرة  
للاستاذ « برادلي » استاذ الشعر بجامعة اكسفورد كان قد ألقاها في الجامعة في  
عام ١٩٠١ وعنوانها « الشعر لاجل الشعر » فاطلع عليها وكان ذلك في سنة  
١٩٠٩ وقد أغرته هذه المحاضرة - كما يحدثنا<sup>(١)</sup> - بالتدرج « في الاطلاع  
على الأدب الانجليزي وشعر الانجليز خاصة لاسيما وأن قصة « هملت »  
لشكسبير كانت من موضوعات تعليمه بالمدرسة وقتئذ ، فكنت أحياناً  
أقارن بين تقننهم موضوعاً وصياغة وتصويراً وبين جمود معظم شعرائنا  
وعبادتهم للألفاظ الرنانة وحبهم للتقليد الأعمى فكان يتولاني اليأس أحياناً  
من قابلية بيتنا لتطور الشعر العربي نحو الأصلح والأكمل .

ويبدو أن نشأته المحافظة هي التي كانت تدفعه إلى اليأس من قابلية البيئة

---

(١) نظرات نقدية في شعر أبي شادي ص ٨ .

عمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني ، وكان هؤلاء الشبان من الطبقة الوسطى التي بدأت - بعد ثورة عام ١٩١٩ - تحسّ بذاتها إحساساً حاداً ، فأحدثوا في حياتنا الأدبية بحكم ظروفهم النفسية وثقافتهم مجرى وسيعاً في أدبنا المعاصر ، وأثاروا كثيراً من الغبار وأشعلوا عدّة معارك أدبية حامية الوطيس كان أبو شادي يتابعها في شغف وإعجاب وهو نكّاه عن وطنه وبعد ان عاد إليه ، فتأثر بهم بلا ريب. وقد اعترف لنا في شعره بأثر هذا الثالوث في الحياة الأدبية بقوله تعليقاً على شعر شكري (١) :

أبدأ يرافقُ شعرك الإنشادُ وتشوق فنتتته النهى فيُعَادُ  
أسّئت مملكة بصون ذمارها ( المازني ) اخوك ( والعقاد )  
ولسوف يحترم الزمان مآلها وتسير خلف لوائها الأحفاد  
دينٌ بعثت له ولو علمت به من قبل لاحتفلت به الأجداد

والتجاوب بين ظروف أبي شادي النفسية والاجتماعية وبين جماعة التجديد هذه، هي التي جعلته يتأثر بهم ويسير في تيارهم وفي المجرى الأدبي الذي خطوه في حياتنا المعاصرة .

وإن كان هذا لا ينفي أنه تأثر بغيرهم من الشعراء والأدباء فقد تأثر بخليل مطران وأحمد محرم وشوقي وحافظ ، بل كان يتأثر ويتجاوب مع زملائه وتلاميذه من أمثال ناجي وأبي القاسم الشابي والصيرفي .

ولذلك فنحن لا نميل إلى ان « خليل مطران » هو استاذ أبي شادي الوحيد وهو الذي قاده إلى منابع التجديد كما يعترف هو بذلك ، ونعد ذلك من قبيل الجاملات التي كانت تدفعه إليها ظروفه وظروف المجتمع القاسية ،

---

(١) احمد زكي ابو شادي - اثن ورثين ( المطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٢٥ ) ص ٢٣ .



العربية لتطور الشعر ولكن ظروف حياته القاسية هي التي كانت تدفعه إلى التمرّد وتذبّبه فيه شوقه الحاد إلى التغيير ولذلك عندما ذهب إلى إنجلترا سنة ١٩١٢ يدرس الطب راح يعبّئ في شوق ونهم من الثقافة الإنجليزية والأدب الإنجليزي وشعر الإنجليز بوجه خاص ، ودفعته وراثته الأدبية إلى دراسة الأدبيات وان كنا نرجح أن عاملاً آخر دفعه إلى هذه الدراسة هو إحساسه بالفراغ النفسي ، فكان ينشد السوى والرياضة في الأدب والشعر ويحدثنا هو عن ميله الأدبي رغم دراسته العلمية بقوله<sup>(١)</sup> : « إن ميلي إلى الأدبيات يرجع إلى عوامل وراثية وإلى استماعي بالأدبيات كرياضة ذهنية نفسية بين شواغلي ومتاعي الكثيرة وإني أقدر أن عليّ واجبات ككأديب بظير ما عليّ من الواجبات كرجل علم وأحسب أني أفهم شيئاً عن وحسدة الحياة وأشعر أن الفارق بين الأدبيات والعمليات فارق وهمي » .

تلك هي النظرة التي اكتسبها أبو شادي من دراساته العلمية الطويلة فدفعته إلى الملاءمة بين مزاجه العلمي ومزاجه الأدبي في نسق فني بديع ، ففي الوقت الذي كان يصاحب آثار « ولز » و « ارنولد بنيت » من الأدباء ، كان الجو العاطفي والروح الوجداني اللذين يسيطران على حياته يدفعانه إلى أن يعيش في شعر الشعراء الإنجليز من أمثال « وردز ورت » و « شيلي » و « كيتس » فكانت يجد في أنغامهم الحزينة الرومانسية صدى روحه الطامئة اللهيبة .

وبذلك تأثر تأثراً كبيراً بالثقافة الإنجليزية والشعراء الإنجليز بصفة خاصة ، على أن هذه الفترة التي كان فيها غارقاً في الشعر الإنجليزي كان وطنه « مصر » يشهد حركة تجديد واسعة متأثرة هي الأخرى بالثقافة الإنجليزية ؛ وكان يحمل لواء « جماعة التجديد » هذه ، الشاعر عبد الرحمن شكوي وعباس

---

(١) راجع كتابنا : جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

ولقد اعترف هو نفسه بأثر بعض الشعراء والأدباء من أدبه وشعره بقوله<sup>(١)</sup> :  
« ادين في الروح الأدبية العامة إلى مدرسة الظاهر الصحفية منذ ١٩٠٥  
وقد شملت من أعلام الأدب: أحمد شوقي ومحمد كرد علي وعبد القادر المغربي  
وخليل مطران ومحمد لطفي جمعة وعبد الفتاح بيهم وتوفيق رفعت وكثيرين  
غيرهم » .

فكل هذه الاعترافات كانت تدعو إليها ملائمت خاصة وليست من  
قبيل الدراسة الأدبية الدقيقة ، ولنا نقصد أن ننفي أثر مطران في ابي  
شادي فلا شك ان أثر فيه هو الآخر أثراً كبيراً ولكننا ننفي ان يكون أبا  
شادي رجع الصدى لادب مطران<sup>(٢)</sup> ، فقد كان الرجل موسوعة شعرية تلح  
فيه آثار كل من اتصلوا به أو قرأ لهم ولكن الظروف السياسية والاجتماعية  
والنفسية هي التي حددت له فيما بعد اتجاهه الذي سار فيه هو وزملاؤه من  
جماعة أبولو، وسنقف عند هذه الظروف .

---

(١) جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث ص ١٥٣ .  
(٢) راجع تفاصيل ذلك في كتابي : جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث .

## عصره

نحن بحاجة ماسة إلى دراسة العصر الذي نشأ في ظلاله شاعرنا « احمد زكي ابو شادي » وتحديد التيارات السياسية والاجتماعية والفكرية التي كانت تصطبغ آنذاك والوقوف على معالم النزعات التجديدية في الأدب بعامة ، وفي الشعر بوجه خاص ... لأن هذه الدراسة تحدد لنا ملامح « البيئة العامة » التي تكون الشاعر فيها ، وأثرت في قيمة الشعرية ، واثرت - أيضاً - في نظراته الفنية والفكرية ، بل ومن هذه البيئة استمد كثيراً من صورته الشعرية .

### الناحية السياسية والاجتماعية

عندما بدأ أبو شادي يدرك الحياة بدأت تطرق أذنيه صيحات عالية تهز الجمود وتدعو إلى التحرر السياسي والاجتماعي والفكري .

كان الزعيم الوطني الشاب ( مصطفى كامل ) يتروم بالتحرر والاستقلال ، ويخطب ويكتب مندداً بالاستعمار الإنجليزي في حدة وعنف وكان مصطفى نجيب خال الشاعر يسهم في هذا الكفاح .

وكان قاسم أمين يدعو الى تحرير مجتمعا من الاوهام ويطلب بتحرير المرأة وتعليمها .

ومحمد عبده كان هو الآخر يدعو الى تخليص مجتمعا من الخرافة والشعوذة وينادي بأن ننظر في ديننا بروح متحررة صافية .

وشبت في هذه الظروف تيارات مختلفة تدعو كلها الى التطور والتقدم .

وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت طبقة جديدة في المجتمع المصري تتطلع إلى قمة الحياة طبقة الملاحين وابناء البلد الحقيقيين ، وقاد هؤلاء سعد زغول ونشبت ثورة سنة ١٩١٩ الثورة المصرية المعروفة التي هزت الضمير واشعلت النفوس ، وبدأنا على اثرها ندخل في دور جديد .

فبعد الثورة تمت الطبقة الوسطى وطالبت بحقوقها واخذت قسطاً من هذه الحقوق .

وتمتعت البلاد بمجلس نيابي افتتح في ١٥ مارس ( آذار ) سنة ١٩٢٤ ، وفاز سعد زغول وصحبه في هذا المجلس بأغلبية ساحقة ، وقد كان محمد ابو شادي — والد شاعرنا احمد زكي ابو شادي — من بين اعضاء هذا المجلس .

ولكن البلاد لم تنعم طويلاً بهذا الجو الذي اشاعته ثورة سنة ١٩١٩ ، فقد دب اليأس الى نفوس قادة الثورة وشغلتهم المناورات السياسية والخلافات عن قيم الثورة واهدافها ، ورفعت في غضون ذلك اصوات أخرى ساهمت في خلق جو كئيب معتم ، من هذه الظروف مقتل السردار الانجليزي — في مصر — «السير لي ستالك»<sup>(١)</sup> في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، فقد طاش صواب

---

(١) راجع في هذا كتابنا جماعة ابولو واترها في الشعر الحديث ص ٢٥٨ وما بعدها ؛ وراجع ؛ عبد الرحمن الرافعي ؛ في اعقاب الثورة ج ١ ط ١ ص ١١٥ ، ١١٦ .

الانجليز وقاموا بأعمال ارهابية عاتية طعمت استقلال مصر في الصميم .  
ووقعت انقلابات دستورية كثيرة في الوطن ففسد جاءت وزارة زيور  
ونفذت سياسة الانجليز وحكمت البلاد حكماً دكتاتورياً قاسياً ، واهدرت كل  
القيم والفتت الدستور .

ومات في هذه الاثناء الزعيم سعد زغلول في عام ١٩٢٧ .

وتفرق انصاره وانشغلوا بالناورات السياسية والحزبية عن الكفاح الوطني  
السليم ، وكان القصر يستفيد من هذه الخلافات فائدة كبيرة في تنفيذ مآربه  
واغراضه ، وظهرت على مسرح الحياة السياسية أقلية من السياسيين اجتمعت  
ان ترضي رغبات القصر في سبيل مآرب شخصية. وعلى طول الطريق ، طريق  
الكفاح ، كانت تتكاثف سحب الظلام وتعطل الحياة النيابية .

عطلها محمد محمود مرات عديدة واطلقت على سياسته «سياسة اليد الحديدية» .  
وحكم اسماعيل صدقي الشعب فترات عديدة كان يسوم فيها الشعب الحسف  
والهوان ويعطل الحياة النيابية ويقضي بسياسته الباطشة الطاغية على ائمن مسا  
وصلنا اليه من قيم رفيعة وظلت الحياة السياسية في الاقليم المصري تحتدم  
بهذه التيارات السياسية حتى قامت الحرب العالمية الثانية ...

هذه هي الظروف السياسية والاجتماعية التي نشأ في ظلها ابو شادي  
وجيله من الشعراء فأصابتهم بخيبة امسل كبيرة ، ولم يستطيعوا ان يحققوا  
احلامهم وما يحتدم في نفوسهم من امال جائشة ... كانت الحياة السياسية  
تخفق بدخانها الكثيف احلامهم ، وتثد آمالهم ، وتحز في نفوسهم ، وهنا  
شعروا بالقرية والحنين الى الطبيعة والهروب من واقع الحياة الى داخل نفوسهم  
المرهفة الحزينة يتأملونها في حزن والم ، حتى اطلقوا في حياتنا الادبية تياراً  
رومانسياً ازدهر على يد ابي شادي وصحبه من امثال ابراهيم ناجي وحسن

كامل الصيرفي وعلي محمود طه ومحمود حسن اسماعيل ومحمد عبد المعطي الهمشري  
ومحمود ابو الوفا وغيرهم من الشعراء .

### التيارات الفكرية والادبية

ولم تكن التيارات الفكرية والادبية بنأى - هي الاخرى - عن هذا  
الصراع فقد كانت تتأثر به وتؤثر فيه ، وكانت تختلط هذه النزعات الأدبية  
والتيارات الفنية ، بالسياسة والدين والمجتمع . ولا شك ان هذه الفترة شهدت  
نهضة ادبية كبيرة ، وتآلق فيها مفكرون احرار ارسوا كثيراً من تقاليدنا  
الادبية والفكرية ، ولكن الظروف السياسية والاجتماعية كانت عميقة اثرت  
في كل هذه الاشياء تأثيراً كبيراً . . . . في هذه الفترة ظهر الدكتور طه حسين  
بأفكاره المتقدمة في تحرير مناهج الدراسة الأدبية من التقاليد والأصول الثابتة ،  
ودخل من اجل هذا في معارك طاحنة مع المحافظين ، ونحسب ان نشير بوجه  
خاص الى المرحوم مصطفى صادق الرافعي الذي وقف لهؤلاء جميعاً بالمرصاد  
ودخل المعركة « تحت راية القرآن » .

ونحن لا يهمنا من كل هذه الوثبة الفكرية والتيارات الادبية إلا ما كان  
خاصاً بالشعر ففي هذه الاثناء ظهرت « جماعة التجديد في شعرنا المعاصر »  
وكان على رأس هذه الجماعة عبد الرحمن شكري وعباس محمود العقاد وابراهيم  
عبد القادر المازني .

وكان التيار السائد قبلهم هو التيار الشعري - الذي يمكن ان نسميه -  
تيار البعث الذي اثر في الثورة العربية وتأثر بها وانطلق بعدها في قوة على  
يد الشاعر الفارس « محمود سامي البارودي » وواصل هذا التيار مسراه في  
حياتنا الادبية وتآلقت اسما كثيرة حملت لواءه منهم الشاعر الجليل « احمد  
شوقي » « وحافظ ابراهيم » « ومحمد عبد المطلب » « واحمد محرم » وغيرهم .

كان هذا التيار متغلغلا في حياتنا الأدبية وكان ابناؤه اصحاب الطاقات الشعرية الضخمة التي كانت تشجى بموسيقاها الشعرية النفوس والألباب .

أحسن شعراء التجديد نفوسهم - بعد ثورة سنة ١٩١٩ احساساً حاداً فبدأوا يثورون على هذا التيار ثورة عارمة ، وواصلوا ثورتهم - في اصرار عابس متجهم - بكل الأساليب ، وكانوا متأثرين بالأدب الإنجليزي مستفيدين من قراءاتهم الشعرية والنقدية ، فعرفوا الناقد « وليم هازليت » وهو كما يقول الاستاذ عباس محمود العقاد « امام هذه المدرسة كلها في النقد لأنه هو الذي هداها الى معاني الشعر والفنون واغراض الكتابة<sup>(١)</sup> » كما عرفوا الشعراء والكتاب « كارليل » « وجون ستيوارت ميل » « رشيبي » « وبيرون » « ووردز روث » « وبروننج » « وتنيسون » « وامرسون » « ولونجفلو » « وبو » « وويتا » « وهاردي » وغيرهم من الأدباء والشعراء الذين غلبوا على الفكر الإنجليزي والأمريكي في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر .

وقد سددت نقداً لهم ، هذه الدراسات المختلفة في الادب الأوروبي والادب العربي وساعدتهم على احداث تيار قوي عارم هز عرش شعراء التقليد هذا عنيفاً ولقت انظار الجيل الذي يليهم الى تجديداتهم ... وكان من حصيلة هذا الضراع مجموعة دراسات نقدية تناولتها كتب المازني والعقاد ومقدمات داوينهم . على ان اهم هذه الاشياء كتاب نقدي اصدره العقاد والماسازني في عام ١٩٢١ هاجم فيه كثيراً من أعلام الشعر والادب في مصر بل وهاجم فيه المازني زميله « عبد الرحمن شكري » وقد رجع فيما بعد عن هذا الهجوم وندم عليه ندماً كبيراً ، ردهه في الصحف والمجلات في مقالات متعاقبة من الزمان .

لم تستطع هذه الحركة الجديدة ان تخفف انعام حركة البيعت بل ضلت

---

(١) العقاد : شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ص ١٩١ .

هذه تستأثر بالاعجاب والنفوذ، لاسباب كثيرة لا مجال هنا لتفصيلها<sup>(١)</sup>. وقد اشتغل اعلام حركة التجديد بالسياسة وساهموا في تياراتها المصطنخة والنزوى عبد الرحمن شكوي بعيداً عن المجتمع ينتج في صمت دون ان يثير حوله الغبار.

ولكن نحب ان نقرر ان هذا الصراع الناشب بين جماعتي البعث والتجديد أثمر تياراً جديداً يمكن ان نسميه « تيار أبولو » وكان على رأس هذا التيار شاعرنا الطبيب « أحمد زكي أبو شادي » .

ولا بد ان نذكر في هذا المجال شاعراً كبيراً كان يمشي على الحياض الى جانب كل هذه التيارات المتصارعة المتطاحنة ، هو الشاعر المجدد « خليل مطران » فقد لاذ به الجيل الجديد من أبناء « أبولو » ووجدوا في كنفه أمناً لنفوسهم وتشجيعاً وحنواً، وان كنا نعتقد ان هذا الشاعر الكبير لم يستطع - في هذه الظروف - قيادة تيار التجديد في شعرنا المعاصر<sup>(٢)</sup> ، ولكنه على كل حال اثر في شعراء أبولو ، ومنهم أبو شادي.

---

(١) راجع ذلك في كتابنا جماعة أبولو واثرها في الشعر الحديث .



## خصائصه الفنية

في هذه البيئة الخاصة والعامة نشأ الشاعر « احمد زكي ابو شادي » وقد تأثر لكل هذه الاحداث وتلك الظروف تأثراً قوياً عميقاً ، وتكونت خيوط شاعريته من كل هذه المعاني المتشابكة .

وقد كان كزملائه الشعراء الذين نشأوا في هذه الفترة ، من حياتنا السياسية المضطربة المقلقة ، كان يشعر بالفارق بين احلامه وطموحه ، وبين واقع الحياة ، ولهذا أصيب بداء العصر كما كانوا يسمونه في الآداب الأوروبية ، وغتت هذا الاتجاه عنده ظروفه الخاصة ، فقد نشأ في بيئة خاصة منفصلة ، وقد اصيب بصدمة قاسية وهو على اعتاب الحياة طري العود ، فأخفق في حبه الأول ، لهذا اتجه في شعره هذا الاتجاه الوجداني الذاتي ، وقد طبع هذا الاتجاه معظم شعره وان كان قد حاول في حياته عدة محاولات جديدة في الشعر سنقف عندها بعد ذلك .

وقد جاءت معظم محاولاته الاولى من هذا الشعر الغنائي الحزين الذي يبثه شكاته ، ويحاول ان ينفذ عن نفسه - من خلاله - محتته الخاصة والعامة .

وقد عاد الى الوطن في عام ١٩٢٢ وغاص في الدراماة القاسية موظفا في الحكومة ينتقل بين القاهرة والاسكندرية وبور سعيد والسويس .. وكان ينطلق الى لوحة المستقبل فيراها غائمة يحللها ضباب كثيف وكان يشهد بنفسه سهام الممارك الأدبية تزحم الأفق الأدبي وتدمي وتصمي ، فعاد الى داخل نفسه يتأملها ويصدر عنها ؛ والمتأمل بواكيره الاولى في « انداء الفجر (١) » « وزينب » « وأنين ورنين » يجدها كلها غالبا لوحات ذاتية وجدانية تفيض بالشجن وتصور احزان نفس منهارة خيم عليها الفناء ، فكل صوره توحى بالحزن والالم ، فالقطة التي يراها قطة يتيمة يتأملها ويربط بسين يتما ويتم روحه في حرقة لاذعة تلفح النفوس ، ويحدثها عن مأساة حياته وكيف فقد حبه الاول وفقد الحنان في بيته :

ومنها (٢) :

جلست قربي كأن قربي عزاء احساسك اليتيم  
فقدت أمًا وما فقدنا لكن في عزلي افتقاد  
كأنني أكل شباي وسائد الصمت من حداد

ويبدو ان ابا شادي كان يصدر عن عقله الكامن ، فانفصال والدته عن والده كان بمثابة فقدتها في احساسه ، ولهذا يربط بين نفسه وبين القطة اليتيمة التي فقدت امها ، وان كان عقله الواقعي يبرر ذلك بقوله انني لم افقد امي ولكنني في عزلة تشبه فقدتها ... وشبابه الشاكل يوحى له بمعاني الحساد الصامت .

---

(١) نحن نشك في ان الطبعة الاولى من هذا الديوان كانت سنة ١٩١٠ . فلم اعثر على هذه الطبعة وقد فصلت هذه القضية في كتابي « جماعة ابولو واثرها في الشعر الحديث » ص ١٧٦ وما بعدها .

(٢) انداء الفجر الطبعة الثانية سنة ١٩٣٤ ص ٧١ .

وقد ظهرت في شعره ملامح الشعر الرومانسي من حنين الى الطبيعة وهروب  
الى احضانها وخلع احساسه عليها والغناء فيها وفي قصيدته «وحي المطر»<sup>(١)</sup>  
يقول :

انا ظاميء والكل حولي ظاميء      فتقطري يا سحب كيف حننت  
هذي الغصون تناوات ما خصها      ولبثت في ظمئي لوحيك انت

ومنها :

وانا الوحيد فأين اين حبيبي      حتى ترد جوى وتطفئ ناراً

وكل انغامه في ديوانه « زينب » ذاتية تصور عثار جوده ، وبؤسه في حبه  
وديوانه « انين وردين » الذي صدر هو الآخر في عام ١٩٢٥ كان أنات  
شجية ملتاعة . لا تفارق ذكريات غرامه الاول خياله :

من غرامي تعلم الشعراء      فهوام صدى وشعري الغناء  
كل بيت أنشدته كان من قلبي      بي جمالاً نوده الحناء  
يخطر الفن والصبابة فيه      خطوة التثيه لم يفته الوفاء  
لفتة منك ثم يتبعها الوح      بي فتأني القصيدة العصماء

ومن الحق ان نذكر ان ابا شادي لم يقتصر على هذه المعاني الوجدانية ،  
بل اختلط في نفسه الوجدان الجماعي بالوجدان الفردي فتغنى آلام قومه  
واخوانهم ، وحفل شعره مع هذا بكثير من القيم الوطنية والقومية ، وعندما  
هدأت نوازع نفسه اخذت روحه العلمية تموه بالكثير من الآراء والافكار  
فأخذ يتجه اتجاهات متعددة في المعاني والافكار والأخيلة ، وحفل شعره  
بالنور والظلال ، واللفتات العلمية الذكية ، والتأملات الصوفية ، ولعل اصدق

---

(١) المصدر نفسه ص ٧١ .

مثال لهذا كله موسوعته الضخمة « الشفق الباكي » وقد صدر كما كتب على الديوان سنة ١٩٢٧ ، وهو اول ديوان في اللغة العربية - على ما أظن - تبلى صفحاته ألفاً وثلاثمائة وستة وثلاثين ( ١٣٣٦ صفحة ) وهو يجمع بين دفتيه كل المستويات الشعرية لأبي شادي ويعكس كثيراً من آرائه ونظراته في الحياة والحب والوطنية والقومية والسلام ، ويمكن ان نقرأ في هذا الديوان روح العصر الذي عاش فيه ابو شادي وجيله من الشعراء ، بل لقد سجل بين دفتيه الخلاف بينه وبين شعراء التقليد كما يفصلها الاستاذ حسن الجداوي ناشر الكتاب .

### آراؤه في التجديد ومهمة الشاعر ...

تكوّنت للشاعر عبر حياته مجموعة من الآراء في الشعر والتجديد لا بد أن نشير إليها فهو يرى « أن الشعر تعبير الحنان بين الحواس والطبيعة هو لغة الجاذبية وان تنوع بلسانها هو أوحدي الأصل في المنشأ والغاية وصفاً وغزلاً ومداعبة ورتاء ووعظاً وقصصاً وتمثيلاً وفلسفة وتصويراً فسيحاً ميمّته التفاعل بين الحواس ومؤثرات الطبيعة وغايته العزاء والاحتفاء بهذه الطبيعة (١) » .

وهو يرى ان الشاعر رسول قومه فلا بد أن ينزل إلى مستواهم وأن يكون بيانه من بيانهم ومهما تأنتق في تعبيره وجمع في خياله فيجب ألا يرتفع صوته فوق مستوى آذانهم ومداركهم (٢) . وقد لخص عقيدته في نهاية ديوان الشفق الباكي ويمكن ان نستخلص منها المبادئ التالية :

١ - بث فكرة التعاون الأدبي واحتضان المواهب الناشئة والأخذ بيدها

(١) الشفق الباكي ص ٤١ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ .

٢ - الشاعر عنده موسيقي\* حساس بعيد النظر قوي التعبير مطبوع يتأثر مزاجه بثقافته وبيئته وعالمه تأثيراً عظيماً فيلهمه كل ذلك ما يلهمه من إسماع لنوعه في أوصافه وأخيلته وأحلامه وحينئذ يكون الشعر محاولة لانسجام الحياة .

٣ - الفن عنده هو البلاغة الرمزية الجميلة التي تفسح أمامك مجال التأمل وتنقلك إلى جو النفوس العبقرية حيث ترى في الدقائق العظائم ، وفي الحرية الألوهة ، وفي أبسط الإشارات أكبر الذكريات .

٤ - وقد نادى ببث الروح الخلقية المتفائلة ، واستيعاب العلم وإخضاع الشعر له ومحدثنا ان شعر العلم صار جزءاً من عاطفته وإيمانه ، وانه أول من بشر به ونظمه وهو في رأيه يتفق مع ثقافة الجيل .

٥ - دعا إلى الشعر الجديد بكل أنواعه : الشعر الحر والشعر المرسل ونادى بتنويع الأوزان والابتداع فيها ، والتصرف في القافية ، ودعا إلى الشعر المنثور (١) .

\*\*\*

وهذه النظرات والآراء تسبح في مجالات متعددة وتختلط فيها مجموعة من المذاهب والاتجاهات ولعلنا نذكر أن ظروف حياته القلقة المضطربة جعلته غير قادر على التركيز الفني وتحديد اتجاه واحد يسير عليه ، ففردا بهذه الصورة القلقة المترددة بين مختلف الآراء والاتجاهات وان كان يغلب عليه بصفة عامة الميل إلى التجديد والابتكار .

---

(١) راجع الشفق الباكي صفحات ١١٨٥ - ١٢٠٧ - ١٢٤٠ .

## تجديده من الناحية التطبيقية

ساهمت ثقافة ابي شادي العلمية ودراساته المذاهب الادبية ابان إقامته في  
المجلترا في تكوين آرائه في الشعر والادب والحياة بالاضافة الى تأثير التيارات  
الأدبية في البيئة العربية التي عاش في ظلها ، واحداث حيواته وظروفه  
النفسية . .

ولكن هل تأثر شعره بهذه الافكار . وهل انفك فعلا من قيد الجمود  
والتقليد ؟

والجواب : نعم بطبيعة الحال . فقد حاول الشاعر جاهدا في شعره القيام  
بتجارب كثيرة في التجديد ولا يمكن ان نستوعبها في عمق مثل هذه الدراسة  
المختصرة ، ولكن حسبنا الاشارة إليها والامام بأطرافها .

## القصة وفن الأوبرا

من هذه التجارب التي حاول ان يرقدها ابو شادي الشعر العربي ، الشعر  
القصصي ، وقد كتب قصتين هما : - قصة «عنده بك» وهي قصة اجتماعية شعرية  
تعرض مهازل الزواج في مصر ونشرت في سنة ١٩٢٦ .

والقصة الثانية « مها » وقد نشرت في هذا العام ايضاً .

وحاول ان يقيم فن الاوبرا في شعرنا العربي الحديث ، وقد كتب في عام  
١٩٢٧ عدة اوبرات تلحينية منها : ١ - « احسان مأساة مصرية تلحينية »  
٢ - « أردشير وحياة النفوس » قصة غرامية تلحينية « ٣ - « الالهة »  
أوبرا رمزية ذات ثلاثة فصول « ٤ - « الزباء أو زنوبيا ملكة تدمر »  
أوبرا تاريخية كبرى ذات أربعة فصول .

وقد عشت في هذه الأوبرات والقصص وخرجت برأي فيها وهي أنها لا تمثل طاقة ابي شادي الشعرية فالرجس بطبيعته شاعر غنائي يتحدث عن اشواق روحه وظماً قلبه ولهذا لم يكتب لهذه المحاولات البقاء وقوبلت في حينها بعاصفة من النقد الهادم العنيف ولكنها على كل حال محاولة لاكتشاف وزيادة فن جديد، فله فضل الرواد منها تكن قيمة تلك المحاولات ، وقد درس هذه الأوبرات صديقنا الاديب الاستاذ ابراهيم حمادة في رسالته لدبلوم المعهد العالي للفنون المسرحية بالقاهرة سنة ١٩٥٦ ونرجو ان يتساح لهذه الدراسة الظهور الى عالم النور ، كما أشار اليها بصورة عامة استاذنا الدكتور محمدمندور في كتابه الشعر المصري بعد شوقي الحلقة الثانية .

### محاولات أخرى

وابو شادي متطلع دائماً الى التجديد فقد حاول في شعره الغنائي ان يوجد .

فدوع في القافية فتارة هي مزدوجة وتارة مثلثة وتارة مربعة وهكذا .  
وكتب الشعر الحر والشعر المرسل ، وملاً اشعاره بالرموز الاسطورية والاشارات التاريخية واستلهم التراث اليوناني والتراث الديني والصوفي .  
وأشاع شعر العلم والتأمل وكتب كثيراً من القصائد في هذا الباب ودوانه الكائن الثاني ، ساقط بهذه الصور العلمية والتأملية .

كما حاول مزج البحور في القصيدة الواحدة ، وتنويع الأوزان .  
وقد نسج على نظام الموشحات شعراً كثيراً نذكر منه قصيدة « نغمة من الشعر<sup>(١)</sup> » كتبها على هذا النسق :

---

\* (١) احمد زكي ابو شادي - انين ورثين ص ٥٢

١ - دلال الغواني لقلبي أسرّ ووجدني وذلي دفين الأثر  
فكيف الرجاء  
وفيم الشفاء  
ومالي دواء  
واين المفرّ

٢ - عيون سبتني ولحظ سحرّ وحسن دعائي لقتلي ومّرّ  
فهذا الكمي  
وذاك القوي  
ودمعسي السخي  
ولا من شكر

٣ - أخاف الجمال وأخشى الحفر وأهوى ضعيفا قسا ما ائتمر  
عزيز المنال  
جسيم الملل  
ربيب الجمال  
كثير الخطر

الى آخر هذه المقطوعة التي تتكون - على طريقة الموشحات - من ثمانية  
اقفال وثمانية أبيات والقفل مكون من جزء واحد وتلتزم كل الاقفال بحرا  
واحد هو المتقارب ورويا واحدا هو الراء الساكنة .

اما البيت فهو مكون من اربعة اجزاء كما نرى ولم يلتزم الشاعر في الابيات  
قافية واحدة - وان التزم نصف وزن التدارك - كما التزم في الجزء الاخير  
من الابيات الراء الساكنة .

\* \* \*



ونحن لانستطيع - لضيق المجال - ان نستشهد لكل التجديدات التي ادخلها  
ابو شادي ، فحسبنا هذه الاشارات .

ولكننا بعد هذا نقرر ان كل هذه التجديدات هي الاخرى لم يكتب لها  
البقاء ، وانما الذي يمكن ان نعتبره جديدا في شعر ابي شادي كله هو تلك  
اللزعة الوجدانية المتدفقة وما استلعبها من تعبيرات رمزية عن وجدانه  
الفردى واشواق روحه ، وهذه الجولة التطبيقية تقودنا الى تخطيط لشعر ابي  
شادي كله سواء اكان في الوطن ام في المهجر لنقرر في النهاية القيمة الحقيقية  
لشعره .

## أغراض شعره

لا بد لنا - ونحن فندرس الشاعر الطيب « احمد زكي ابو شادي » - أن نتناول شعره كله كوحدة ونضع له حدوداً تبين معاله وتبرز قسماته ، فهو موسوعة شعرية خصبة ، وحياته موسوعة من التجارب الانسانية الكبيرة ، والنضال والكفاح . وعندني ان حياته وتجاربه ونضاله في سبيل الانسانية اعتمق واغزر من كل انتاجه الفني بل حياته كما يصفها هو ، هي قصيدته العصماء التي ستظل خالدة تطاول الزمان ، وتهزم الفناء :

فقصيدتي الكبرى حياتي ملؤها نغمي وملء دموعها أبياتي<sup>(١)</sup>

ولذلك يجب على من يتناول شعره ان يعيش في جوه ويتعاطف معه ويصادقه ويحاول ان يتفهم نظراته في نقد شعره ، وهو يرى ان الناقد ملزم بالنظرة الكاملة حتى يؤمن بما سماه ابو شادي « التبادل » وهو تعويض الكل للجزء وكذلك تعويض الجزء للكل<sup>(٢)</sup> « بمعنى انه يجب نقد الاثر الفني

(١) احمد زكي ابو شادي : اطراف الربيع ص ٤٠

(٢) الشفق الباكي ص ١١٩٩ وما بعدها

( القصيدة مثلاً ) كوحدة لا تتجزأ بحيث يوجه النقد الى جوهرها ولبها، فتارة يكون هذا الجوهر صغيراً شبيهاً بالصورة الدقيقة وتكون بقية القصيدة كإطار وحاشية لهذا الجوهر وقد يكون ذلك إطاراً ضخماً ولكنه متناسب من وجهة التأثير مع الصورة فبدل ان يفسد جمال الصورة تراه يوجه الالتفات اليها ، ومرة أخرى ترى الصورة ذاتها كبيرة والاطار صغيراً فتشغلك روح هذه الصورة وتكونها عن الالتفات لحواشيتها ففي الحالة الأولى يعوض الجزء عن الكل ، وفي الحالة الثانية يعوض الكل عن الجزء .

هذه هي نظرية التبادل التي آمن بها ابي شادي وقد وضعتها في اعتباري وأنا اتناول شعره بالتحليل والعرض ، بل لقد آمنت اننا يجب ان نضيف حياته وتجاربه الكثيرة الى شعره ولننظر الى الجميع كوحدة فنية لا تتجزأ حتى يحىء حكمنا عليه في النهاية عادلاً .

لهذا سأحاول ان اقسّم شعره الى تيارات اربعة :

١ - التيار الوصفي ٢ - التيار الوطني والقومي ٣ - التيار العلمي والفلسفي ٤ - التيار الوجداني... وهذا التقسيم بطبيعة الحال ليس حدوداً فاصلة حاسمة في شعره ، ولكنها معالم عامة تعيننا على الدراسة ، فقد تتداخل هذه التيارات في الأثر الواحد .. ولكنها على كل تيارات بارزة يجمعها البحر الكبير .. شعره ..

التيار الوصفي :

وهذا التيار بارز في شعر ابي شادي ، فوصفه يتسم بروح جديد ، فهو وصف تصويري يدق ويعمق ولا يكتفي بمظاهر المرئيات بل يحل فيها ويفوص الى أعماقها... وأحياناً يخضع أحاسيسه عن الطبيعة، ومشاهد الحياة، ويمتزج بالمظاهر الكونية، وقد كثرت في اصافه الألفاظ الجديدة الخلاب، والتعابير الرشيقة

الموحية ، كالأشعة ، والظلال ، والخريف الحزين ، والعشب الوسنان ، والظلل  
الباكي ، والطرير الحزين .. وهو في كل اوصافه يحاول ان يمزج بين احزانه الخاصة  
واحزان الطبيعة : - قفي قصيدته « اوراق الخريف » يقول لها : -

هل كان نثرِك غير إيدان بعمر قد تقضى  
هل كنتِ إلا رمزَ أحلامٍ تُقضنَ اليومَ نفضاً  
مصفرة شأن الممات بحمرة تحكي النجيعُ

التيار الوطني والقومي :

وهذا التيار في شعر أبي شادي قليل ولكنه مع ذلك سجل كثيراً من  
احداثنا القومية والوطنية بل كان يحس في وقت مبكر احساساً محمداً بالامة  
العربية وتضامنها والروابط العميقة التي توحد مشاعرها واهدافها .

التيار العلمي والفلسفي :

وهذا التيار يمكن ان نطلق عليه تيار التأمل .. التأمل بالمعنى العام ..  
حتى نستطيع ان ندخل تحت هذا التيار ، الشعر العلمي والفلسفي والصوفي .  
ولا شك ان دراسات ابي شادي العلمية والطبية ادهت نفسه وأمدته  
بكثير من المعاني المبتكرة والتأملات العميقة ، وقد امتاز شعره العلمي بنضارة  
وخصوبة كان يفتقدها عادة امثال هذا الشعر ، وكانت تقوده تأملاته الى  
الحيرة والتساؤل فكان يصيح احياناً :

ما الخلقُ ما هذه الدنيا ومنشؤها ما الفكر ما الجوهر الباقي وما العدم ؟  
مسائل هي للأحقاب باقية كما سيبقي الردى والشك والألمُ

وقد ادخل في شعرنا المعاصر كثيراً من التعميرات العلمية والمعادني الفلسفية والتأملات الصوفية واطلقها في رشاقة ورهافة حس وتستطيع ان تقف على ذلك من قصائده « ضمير الخالق » و « الايمان » « واشعة الظلام » « والسعادة » « والمجهر » « والدنيا » « والرؤيا » « والشكوك » وهي جميعاً في موسوعته الشعرية « الشفق الباكي » وديوانه « الكائن الثاني » ذرة شعره العلمي .

#### التيار الوجداني:

وقد أبدع أبو شادي في هذا التيار ابداعاً كبيراً ، بل يكاد شعره يتسم بهذا المنسم الوجداني فظروف حياته واحداث وجدانه قضت عليه ان يتدرج مع الشعراء الرومانسيين في ادبنا العربي المعاصر يتغنون الالمهم ويصورون تجاربهم الذاتية تصويراً منفصلاً حزيناً .

وقد صدر ابو شادي عن نفسه القلقة ووجدانه الحزين ، وصور تجاربه في الحب والفشل والحنان، وقد جمع محمد صبحي من شعر ابي شادي مجموعة خاصة سماها « شعر الوجدان » وهي تمثل شعره الوجداني اصدق تمثيل ، وظل الرجل يكتب هذا النوع من الشعر حتى في مهجره في امريكا وقد تنوعت تجاربه الوجدانية تنوعاً كبيراً ، وكان أحياناً يمزج بين الحب وبين مجموعة من الخواطر العلمية ، وأحياناً أخرى يستعرض صورة عارية لامرأة كما في قصيدته « الشلال » .

ولكي تكتمل الصورة الواضحة لشعر ابي شادي ، يجب ان نشير هنا مرة ثانية الى شعره الموضوعي، ويشتمل على شعره القصصي وشعره المسرحي ومطولاته الشعرية او ملاحه ان جاز لنا ان نسميها ملاحم ، لقد ساهم الرجل في هذه المجالات مساهمة تدرجه في صفوف الرواد لهذه الانواع من التعبير مهما كانت قيمة هذه الاعمال من الناحية الفنية .

## القيمة الحقيقية لشعر أبي شادي

لكي ندرك في سهولة ويسر قيمة أبي شادي الشعرية لا بد ان نبرز تجديده بصورة واضحة محددة ، ثم نذكر بعد ذلك العيوب التي أصابت شعره حتى يتكشف القارئ مكان الشاعر من شعرنا الحديث .

اما تجديده فيمكن ابرازها في هذه النقاط :

أولاً : مزجه بين لغة الشعر ولغة العلم في انفعال وجداني وخصوصية .

ثانياً : محاولاته الكثيرة للتجديد، فقد نظم الشعر المرسل والشعر الحر الذي يلتزم بحراً واحداً ويتحرر من العروض التقليدي ( راجع قصيدة الفنسان ) ص ٥١٥ و « منون الفيلسوف » ص ٦٢٠ ، من الشفق الباكي .

ثالثاً : حاول تنويع البحور في القصيدة الواحدة وكذلك نوع في القوافي و اضاف بعض الأوزان الجديدة ( راجع قصيدة يا أمل ص ٨١٩ من الشفق الباكي ) واستخدم مجازي، البحور بصورة جميلة ، واعتمد على تفعيلات لا تخضع لقواعد العروض .

رابعاً : ادخل على شعرنا المعاصر كثيراً من المترجمات الشعرية ، وامتلأ قاموسه الشعري بالفاظ:النور،والظلال،والأضواء،والاشعة – وقد سمّاه خليل مطران شاعر النور والظلال – وحفلت دواوينه بالاساطير الاغريقية والاسماء الاعجمية التي استخدمها في غسير تهييب ، وطوع اللغة العربية لأغراض العلم واهداف الانسانية والاساليب الجديدة. وفي قصائده «المجهر» « والهيكل » «والطبيب ومتاعبه » فلمح هذه الوثبات الذهنية المتفوقة .

خامساً: يمكن ان نقرر ان ابا شادي تميز بالطلاقة الفنية وحرية التناول ،  
وهذه الميزة التي قادتة الى السهولة واليسر وعدم التهيب ، يكتب  
كثيراً ولذلك يعد من الشعراء المكثرين .

أما عيوبه فتقودنا اليها هذه الميزة الاخيرة وهي الإكثار وعدم التهيب .

وأول هذه العيوب ، في رأيي ، هي عدم احتضان تجاربه ، وهذا عيب عام  
يحتاج الى دراسة مستأنية في عملية الخلق الشعري نفسها ، وكيف كان يبدع  
ابو شادي قصائده . ولكنني من مصاحبي الطويلة لشعر ابي شادي احسست  
خلو معظم شعره من التركيز الفني ، ويخيل لي ان الرجل بسبب ظروفه النفسية  
غير العادية واضطراب اعصابه فقد القدرة على التركيز ، ولهذا كان يطلق  
لخواتمه العنان ويعبر عن تجاربه بسرعة ولا يعود اليها بالثقيف والتهذيب ،  
ويبدو لي ان الرجل فقد في رحلة الحياة المضنية ، الاحساس المرهف الذي  
يدرك النسب الدقيقة والعلاقات الخفية بين الالفاظ والمعاني ، وهذا العيب  
هو الذي اصاب بعض تراكيبه الشعرية بالقلق ، وجعل بعض الفاظه تفسد  
مستوفزة او ذابية . وافقد بعض قصائده روح الشعر .. هذا الروح الخفي  
العميق الذي يسرى في القصيد ويكسبه التأثير في النفوس والقلوب ..

ولكن مع ذلك نجد في شعر ابي شادي كثيراً من التجارب الناضجة  
الجميلة الموحية التي تضمن لشعره الخلود .

احمد زكي ابو شادي رائد تيار ابولو

وبعد.. فقد آن لنا ان نقرر ان القيمة الحقيقية لابي شادي في أنه قائد تيار  
جديد في شعرنا العربي المعاصر .

لقد قاد البارودي تيار البعث .. وقاد شكري والعقاد والمازني تيار  
التجديد . وقاد احمد زكي أبو شادي تيار أبولو .

فالرجل بحكم ثقافته الواسعة وظروف حياته وانتاجه الطويل يمثل طوراً من  
اطوار تيار ابولو وهو الذي بلور التيار في عام ١٩٣٢ وانشأ جمعية ابولو  
الشعرية واصر لها مجلة شعرية ( سبتمبر سنة ١٩٣٢ - ديسمبر سنة ١٩٣٤ )  
غنى على صفحاتها كثيراً من الشعراء في مصر وفي كل اجزاء الامة العربية في  
المهجر .. لقد انفق من ماله ووقته وجهده الكثير على النهضة الشعرية ،  
واشاع كثيراً من قيمته النقدية وسدد خطوات كثير من الشعراء واتاح لهم ان  
يأخذوا حظهم من الشهرة والمجد . ويكفي ان نذكر ان من هذا التيار شعراء  
امثال علي محمود طه و ابراهيم ناجي وحسن كامل الصيرفي وصالح جودت و ابو  
القاسم الشابي ومحمود حسن اسماعيل ومحمد عبد المعطي الهمشري وجميلة الملايلي  
وغيرهم من الشعراء الذين تألقوا في سماء شعرنا العربي الحديث .

ومن الجحود ان ينكر أحد أن أباشادي ساهم بقسط كبير في ريادة هذا التيار  
وأسدى لهؤلاء الشعراء الكثير .

ملامح تيار أبولو :

وما دمنا قد وصلنا الى تيار أبولو فلا بد ان نقف عنده بعض الشيء  
حتى نتبين ملامحه ، لقد كانت الحياة الادبية تحتدم بتيارين كبيرين : تيار  
البعث ، الذي يمثل البارودي ، والذي امتد في شوقي وحافظ وعبد المطلب ..  
وتيار التجديد الذي يصارع التيسار الاول في عنف وضراوة ويبشر بقيم  
جديدة تتلاءم مع ثقافته واتجاهاته . وكان على رأس هذا التيار العقاد والمازني  
وعبد الرحمن شكري .. وكان هذان التياران يستأثران بالمجد الادبي ونباهة  
الذكر .



وكانت ظروف المجتمع المصري مضطربة قاسية يلفها رداء اسود وتمتعقد في سماءها سحب كثيفة معتمة. في هذه الظروف كان يتفتح جيل ثالث من الشبان ، هو جيل أبولو .. رأوا أنفسهم ظلالة حائرة ضالة ، وأحسوا الضياع والهزيمة والأسى فانعزلوا وتشاءموا وحنوا إلى الموت وراحوا يتأملون الحياة ويتساءلون عن المصير ، وهربوا إلى احضان الطبيعة ، ولاذوا بأحضان المرأة ، وراحوا يصفون كل هذه المعاني في شعرهم ، وقد ملأوا الحياة الأدبية عطرا منعشاً عميقاً ، وحدثوا تياراً جديداً ، وظهرت دعوتهم الجديدة واضحة قوية .

فهم يدعون إلى الوحدة العضوية ويدعون إلى التحرر البياني والطلاقة والفنية واستقلال الشخصية الأدبية والابتداع والابتكار، والبعد عن الاغراض والمناسبات التي استنفذت معظم الشعر العربي. دعوا إلى كل هذا وحققوه في نتاجهم الشعري ، فخرج إلى الحياة يحمل هذه الطلاقة الفنية والتحرر البياني ويمتزج بالوجدان العميق ، ويتسم بالجرأة في طرق الموضوعات الغربية ، ويتناول الأشياء البسيطة المألوفة بروح إنساني وقلب مفعم بالفن فيحيلها إلى تجارب شعرية غزيرة الرؤى عميقة الاحلام ، لها قيمة الظواهر العلوية ، والروائع الكونية ، وامتلاً شعرهم بالاطياف والظلال والاشعة والالوان والانغام والحان المزاهر ، وهمس الاودية السحرية ، واتسعت مضامينهم لشعر الوجدان وشعر الطبيعة والشعر الصوفي وشعر العلم ، وتحررت قلوبهم من الجود .

ويعيننا هنا ان نشير إلى وضوح النزعة العاطفية في شعرهم ، والحنين الدائم إلى مواطن الذكريات والمبالغة في تصوير التجربة الذاتية ، ووصف الهواجس الداخلية ونبضات الوجدان في اسلوب حار ينبض بالحياة ؛ ويبدو ان هذا الطابع الرومانسي لم يستنفد كل ما في نفوسهم من حزن والم وحنين وطموح مضطهد ، فلجأوا إلى التعبير الرمزي يشعلون به ما في نفوسهم من

مناطق مظلمة ويسبرون غورها ليوحوا للقارىء بما يعتمل فيها عن طريق الرمز ونقل العدوى .

وظلام الحياة السياسية وقسوتها ورقابة الآلام هي التي اصابتهم بهذا الملل فراحوا يلتمسون في الابهام الرمزي شيئاً ينفضون به عن انفسهم غبار هذا الداء الويل ، وتحولت الألفاظ عندهم الى شيء جديد له لون ومذاق. ويمكن ان نشير الى قصيدة « بحر السياء » لابي شادي « والاشواق التائهة » للشابي ، الذي يستخدم في هذه القصيدة كثيراً من التعبيرات الرمزية ، فهو فؤاد ضائع ظامىء الى رحيق الوجود، وهو عطريرف في الفجر الموشج بالاحلام، يشرب الضوء ، وهو اوراق ذابطة وضباب من الشذا ، وسحاب من الرؤى ، ودو في النهاية تراب ينحدر الى صميم الوادي ، وجميع الفاظه في هذه القصيدة رقاغة موحية وكأنها مغسولة في نهر أثيري شفاف ، فالاماني تفرق في الدمع والانشيد يأكل اللهب مسراتها، والورود نموت في قبضة الاشواك، والضياء يعانق العالم والضوء يشرب، الى آخر هذه التعبيرات التي تسبح في جو رمزي موح .

\* \* \*

هذه هي ملامح سرية لتيار أبولو ولا شك ان « احمد زكي ابو شادي » بثقافته الواسعة ، وتجاربه العميقة ، وحياته الحافلة الخصبة المنتجة ، وروحه المتسامح ونزعتة التعاونية الحيرة ، قد أثر في شعراء ابولو ووجههم الى المنابع الثقافية الجديدة .

وإذا كان البارودي قد قاد حركة البعث في شعرنا المعاصر ، والمنازني والمعقاد وشكري قد قادوا حركة التجديد، فان أبا شادي قد قاد تيار أبولو . وهو بهذا كقيل بأن يدخل تاريخنا الادبي كرائد من رواد الشعر الحديث .

نمازج من شجره



ستكون خطتنا في المختارات الشعرية التي ننتخبها من شعر أبي شادي متمشية مع مراحل عمره ومع خطته هو في اصدار دواوينه ، بمعنى ان اختيارنا للقصائد سيتم حسب صدور الدواوين كما قرر هو ، حتى يتمكن القارئ من الوقوف على المستويات الشعرية المختلفة التي كان عليها الشاعر ، وحتى يدرك في سهولة ويسر تطوره الشعري ويلمح مكانه من شعرنا الحديث .

وقد نحتاج إلى القاء بعض الأضواء الكاشفة على هذه المختارات - ان احتاجت الى ذلك - لتكون بمثابة إطار يبرز قسما الص الشعرية ويوميء إلى دالاتها العميقة .

وأول هذه المختارات ستكون من ديوان « اذداء النجر » الذي يقول ابو شادي انه صدر في عام ١٩١٠ ولن نغلب رأينا في تاريخ صدور هذا الديوان .

وقد تميز شعر ابي شادي في هذه المرحلة بنزعة العاطفية الحزينة وهروبه إلى عالم الطبيعة يبتها أحزان نفسه ، ويصدر عن عاطفته الملتهبة المتفجرة .

### القطة اليتيمة (١)

جلستِ قربي كأن قربي  
وكم تألتُ في حُسُوِي  
فقدتِ أمًا وما فقدتِ  
كأنني تآكلُ شباي  
احببتِ في وحدتي عزاء  
قد أسرفَ الحسنُ كبرياء  
فلتغمني انت من حناني  
فالجب جانٍ وأيُ جانٍ  
عزاءَ احساسك اليتيمِ  
عليك في صمتك الأليمِ  
لكنَّ في عزلتي افتقادُ  
وسائد الصمت من حدادُ  
مُدَّ لم أنله من الجمالِ  
أو يرؤه يشبه المحسالِ  
ما شئتِ يا طفلة الغرامِ  
والحبُّ كم يتسم الأنامِ

\* \* \*

والمقطوعة صادقة التبرة ، جياشة بالمعاني الحزينة ، وان ظهرت عليها  
دلائل الضعف اللغوي والقلق في التراكيب ، ولكنها تعطينا صورة واضحة  
عن المرارة التي رسبت في اعماق الشاعر من ظروف حياته واخفاقه في حبه  
الأول ، بل يشير صراحة الى 'يتمه ويوازن بين يتم القطعة وبينه ، فهو يتيم  
في حبه . مات حبه الأول وخلف له جروحاً عميقة في قلبه ، وانفصال  
والده عن والدته سبب له 'يتماً آخر يحسه في عزلته رغم انه لم يفقد أمه  
بالموت ، وإنما هي في احساسه مفقودة .

(١) اهداء الفجر ص ٧١ ( طبعة ثلثية سنة ١٩٣٤ ) .

ويشعر ابو شادي شعوراً حاداً بمأساة حياته ، ويضنيه التفكير المتواصل ، ويرهق نفسه الحساسة الشاعرة فيلجأ الى مظاهر الطبيعة يمزج فيها ويخلع عليها أحاسيسه ومشاعره ؛ والقصيدة التالية تصور هذه المعاني :

### وحي المطر (١)

أنا ظاميءٌ والكلُّ حوَلِي ظاميءٌ  
هذي الفصونُ تناولتُ ما خصها  
تساقطُ القطراتُ من يدِ زهرةٍ  
وأنا الوحييدُ فأين أين حبيبي  
هلاًّ بعثتِ إلى دفينِ شعورها  
فلعلها تأتي وتنتثر عطفها  
فتقطري يا سحبُ كيف حنفتِ  
ولبثتُ في ظمئي لوحيكِ افتِ  
ليدِ لأُخري والجميعُ سُكاري  
حتى تردَّ جويٌّ وثظفيءُ نارا  
برسالةِ الحبِّ الوفيِّ الباسكي  
كالقطرِ فوق الزهرِ والأشواك

فالشاعر يحس يجذب روي وظماً لا ينتهي فيهتف بالسحب ان تهطل  
أمطاراً تطفئ ناره وهو يشمر بالوحشة بين هذا الجو الغائم المطير، فيربط بين  
هذا الجو وجو نفسه الغائم الموحش .

\*\*\*

وهناك ابيات تصور تأملاته بعنوان :

### الساعة (٢)

يُننَّا جميعاً وأنتِ يقظانه  
بَل كلنا فيه روحُ غفلته  
كم دقة منكِ جدُّ منذرة  
وقد غفلتُنا ولستِ غفلانهُ  
كفيلسوفٍ يعاف إنسانهُ  
فما انتفعننا ودمتِ لطفانه  
وهي تأملات يمزج فيها الشاعرُ بين مشاهدته الحسية للساعة وافكاره ،  
وتقوده هذه التأملات الى التفلسف والحكمة .

(١) أنداء الفجر ص ٧١ (٢) المصدر السابق ص ٦٨ .

وفي ديوان « زينب » الذي صدر في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، ترى شاعرتنا لا يزال واقفاً تحت تأثير الصدمة الأولى — رغم سفره الى إنجلترا وتجاربه الكثيرة ، ودراساته المتعددة في هذه الأثناء — فيكاد يكون هذا الديوان مقطوعات ذاتية عاطفية وقف معظمه على تجربة حبه الأول. ولا بد أن تختار هنا قصيدتين اشرنا اليهما في القسم الأول عندما كنا ندرس حياة الشاعر وشعره لأنهما من معالم شعره في هذه المرحلة . اما القصيدة الأولى فهي :

### عرس الماتم (١)

عذبة أنتِ في الخفاء وفي الجهد	سر وفي الهجر يا أغاني الظلام.
بلّغني العاشق الأمين على العمد	سر شقاءً لقلبه المستهام.
وارقأي أدمعي فحسني عزاءً	ان يسر . الحبيب من إسلامي
ويؤزفُ الجمالُ جنسة قلبي	ضاحكاً من فؤادي المترامي
زاعماً انني به غيرُ أهل	وكذا يرتضي أميري خصامي
يا حياتي ! ويا منارة لبّتي	كيف أنسيتِ أشوق الأحلام
كيف أنسيتِ يا غرامي ولوعي	هازئاً من تقلب الأيام ؟
ألثّمُ النور في دُعابٍ إذا ما	أقبل الفجر من رسول الغرام.
واخالُ الأزهارَ في روض بيتي	تتسامى لحسبك البسام.
ويجيء الأصيل ينشر تسبراً	هو للشعر من نيبالك رامي
ويجيءُ المساء بالوحي صدقاً	من أغاريد فتنتي في منامي
كيف أنسيتِ يا ربيبة عمري	كيف أنسيتِ — في غرور — هيامي
هل قضى الحب من غذاء لروحي	غير مرآك أو أبي لي مدايمي ؟

(١) احمد زكي ابو شادي : زينب ص ١٣ ( طبعة سنة ١٩٢٤ .



إيه يا « زين » آفل من شبابي      إيه يا نجم قاتل من ظلامي  
 افرحي العمر واسعدي دون قربي      واذكري في الغداة معني أوامي  
 وأنا المذنب الغفور وحسي      دمعة منك سوف تروي عظامي

\* \* \*

أما القصيدة الثانية فتمثل فترة من عذابه عندما اقتضته ظروف حياته  
 ان يهاجر من وطنه للمرة الأولى الى إنجلترا وفيها يمزج بين آلامه وظروف  
 غربته وحبه ، وهي :

#### نفتات الغريب<sup>(١)</sup>

عذابي عذاب النفي في الجبل الحالي	ألا في سبيل الحب والأمل الغالي
اكفكف دمعي في اشعة آصال <sup>(٢)</sup>	شريداً وحيداً للطبيعة موئلي
ولم يبق غير الذكر والمثل العالي	وأندب عمري قد تولى أعزؤه
خلقت لأعطي الدهر حكمة أجيال	كأنني لما لاقيت من فرط شقوتي
وأوذيت من أجل الوفاء ومن آل	جزيت على طهري بتغريب مهجتي
على الدين والدنيا على الشرف الباي	فبتت صيباً في رجولة ناغم
ويحملني رفقاً إلى الحرم العالي	يحن إلى البحر يخفق ماؤه
إلى أمة من خلقها كل إجلال	إلى دولة في أرضها العلم ثابت
شقائي من داء بقلبي قتال	إلى الوطن المحيي الموات فلم يصب
وحولي ضباب العيش لا الأمل الحالي	أأحرم من شمس وأحسب هائنا
ستحيا على رغم الدناس أفضالي	فيا عصابة شامت فنائي واسرفت

(١) المصدر السابق ص ١٥ . (٢) جمع أصيل .

ويسد كرتي قومي ويعرفني الهوى  
عرفتم لصوصَ حبِّ والحبُّ لم يكن  
ويا شمس جنات النعيم لمخاطري  
سلوتِ فؤادي في غرامكِ طائعا  
سأحيا وأقنى فيكِ اصدق عاشق  
وقد تنصف الأيام نفسي وهمي  
وألثم نغراً ساغ لي منك 'بمخك'

فتنقم لي العلياء والزمن السالي  
غفوراً وكم تشجيه نكبة أمثالي  
حجبت ولكن ما سناك لإغفال  
وما كان عبدٌ في غرامك بالسالي  
أصاب به الزلزال قُدوةً أبطل  
فأدفن أحزاني وأطرح أثقالي  
كلثم البخيل الدرُّ في كف لال<sup>(١)</sup>

\* \* \*

وظلت ذكريات حبه الأول نابضة قوية . وقد كتب في هذا الديوان  
قصيدة عن :

### ذكري الحب الأول<sup>(٢)</sup>

سلامَ لقامر بعد 'فرقة' اعوام  
تقلبت الدنيا بحربٍ وثورة  
فيا منسع الوحي الذي ذقت حلوه  
أسخاف على نفسي اللقواء كما بد  
فحسبي من الأيام وجندي ولوعني  
رحلت رحيل الوارد قبل اوانه

وقبله شوق من فؤاد الفتى الظامي  
وما زلت سلطانا عليه بأحكام  
صيباً حُفظت الدهر مطلع إلهامي  
يخاف دنو الفجر والمشرق الدامي<sup>(٣)</sup>  
صلاتي حزين العمر 'توجع' أنفامي  
الى المغرب القاصي ضحية أسقامي<sup>(٤)</sup>

(١) بائع اللؤلؤ . (٢) زينب ص ٢٢ .

(٣) صورة شروق الشمس في احساس الشاعر دامية لانها تثير احزانه ، وتنكأ جروحها .

(٤) اشارة الى رحيله الى إنجلترا سنة ١٩١٢ بعد صدمته الأولى التي اصابته بالرجس .

وَمِلثي من الحبّ الزكيّ سلافة  
فكنتُ على الذكرى شجياً وهائباً  
إذا خفق الرطب النسيم حسبته  
فيا ( زين ) احلامي ويا مهدّ نعمتي  
وسيانٍ جُدتِ اليوم عفواً وتوبةً  
فمنكِ عرفت الشعر والحسن والهوى  
اعيش كعيش النحلِ نفعاً لغيره

تبت من الآلام أعذب آلامي  
كلاثم أزهارٍ وراصدٍ أجرامٍ  
رسول الهوى الباكي الغفور لآلامي  
أنساك والنعمى رهينة احلامي  
او ازددتِ تيباً عند شاهد إجرامي  
ومن حقت الباقي الجلال واعظامي  
واعشق شهداً انت مظهره السامي

\* \* \*

... لم تستطع أحزانُ الشاعر الخاصة - وان استبدت به - ان تنسيه  
وطنه وقومه فأسهم بشعره في تسجيل كثير من احداث بلاده ووقف عند  
معالمها وأبطالها وديوانه « مصريات » الصادر في ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٤ يجمع  
بين دفتيه مجموعة من القصائد والمقطوعات الوطنية والقومية .

وله قصيدة وجهها الى الشاعر الكبير احمد شوقي نلح فيها مدى غرامه  
بوطنه وحبّه لشعر شوقي الذي خلده . وهذه القصيدة بعنوان :

الى امير الشعر : احمد شوقي بك<sup>(١)</sup>

( في عيد ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٣ )

اليومُ يومك ان قبلت دعاها  
مصر التي لم تلق من شعرائها  
فوهبتها النصح الثمين فلاندا  
ومدحتنا مدح التقى لدينه

ونظمت من غور البيان مناها  
براً كبرك ما أضاع هواها  
ولشرت في سير الجلال شداها  
وعبدت نضرتها وطيب تراها

(١) مصريات ص ٤٤ .

لولاك لم تعرف مناجمُ حسنِها  
فإذا ذُكرتَ فأنت أولُ فائزِها  
وبنى لها الآدابَ شاذيةَ الذرى  
وأقام بالأخلاقِ آيةَ شعره  
وإذا وثبتَ ملتبساً لندائِها  
ومن استخار المجد من تاريخِها  
فتشير من هممِ الشيوخِ كتائباً  
وترد عن «أنس الوجود» وجومها  
وعن التلالِ السافراتِ وجوهها  
إلا عليكَ فأنتَ كاشفُ سرِّها  
أنتَ الذي تشتاقُ كلُّ بيتية  
أنتَ الذي وثى الرياضَ خيالُه  
أنتَ الذي وهبَ الطبيعةَ شعره  
أنتَ الذي وفقى فريدَ جمالِها  
فإذا مشيتَ تلفتتِ ارهارها  
وهوتُ بناتِ الشمسِ من عليائها  
سبحانَ من خلقَ البلاغةَ آيسه  
أنتى وُجدتَ فأنتَ صاحبُ دولةِ  
وقف (ابن هانيء) حاجباً لكنوزها  
فأعد (لمصرِك) كلُّ ما استجمعه

أبدأ ، ولا شعر العلى لولاها  
ذَكَى بشعلته فحوم دجأها  
فكانه بذكائه أغنامها  
وبخالدات الوعظ ما قوامها  
فلأنتَ أولُ من يُعزُّه نداها  
علماً يلدوح به لمن والاهها  
ومن الشبابِ مواجِبينِ عداها  
فتعاقى «النيل» المقبلُ فاهها  
الساتراتِ حليتها وغناها  
للناهينِ وشارحُ معناها  
في الحسنِ ان يُغرى بها ويراها  
وأدام بهجتِها وهزُّ رُباها  
فبدتُ يُمثلُ شِعْرَه مرآها  
غزلاً ورقصُ في نسيبِ سناها  
وحنتُ رؤوساً قدَّرتُ مولاها  
شغفاً تقبلُ من يُعدُّ أباهها  
من آيِ قدره ، ومن سواها  
يخودها وينودها وعلاها  
وجئنا (المعري) مؤمناً بحجَّها  
من وحي جنَّتِها ونفح هواها (١)

★ ★ ★

(١) القصيدة طويبة وهذه الابيات متطفة منها .

وأثبت الشاعر مقدرة مبكرة في الشعر الوصفي، وتختلف أوصافه كما قلنا عن الوصف التقليدي فأوصافه عميقة تتغلغل إلى داخل الموصوف وتصوره تصويراً دقيقاً حتى تحسه وتراه وتحل فيه وسنختار من ديوانه «الدين ورنين»<sup>(١)</sup> الصادر في عام ١٩٢٥ قصيدة وجهبها إلى صديقه الشاعر خليل مطران تذكراً لزيارته له في (حلوان) ، وهي قصيدة طويلة بلغت مائة وثمانية أبيات. التزم فيها الشاعر قافية واحدة ، وهي تدل على قدرة الشاعر البيانية ودقته في الوصف التحليلي ، وعمق احساسه بمظاهر الطبيعة وتبعمها في الضحى الضاحك وفي الفجر الساكن ، وعند الأصيل وفي الغروب وفي المساء عندما يزحف الظلام على الكون وتكاد تحس معه قطرات الندى وهي تتساقط على الأوراق ، وتشعر ببهجة لمولد الشمس . وفي القصيدة صور زاهية للتخييل السامق تنعكس على ثماره أشعة الشمس ، ولأشجار الكافور وهي تتأبل ، وعندما يصل الشاعر إلى الأصيل تحس معه بالوحشة والغربة ، فقد خلع الغرام عليه صفة العاشق ودلال المعشوق ، ومن خلال الأشعة الصفراء يرقب الشاعر النيل وقد تحولت مياهه إلى ذهب ، تحرس شاطئيه آلاف النخلات وكأنها جيش من اعوانه . ويرسم لنا صورة دقيقة موحية للمساء . وهذه هي القصيدة بأكملها فهي من روائع الشعر الوصفي في شعرنا المعاصر :

#### الخريف في حلوان<sup>(٢)</sup>

هذا الجمال وذاك سحر بيانه	فأشرب كؤوس الحسن من احسانه
وتلق إلهام الطبيعة شارحاً	سر الوجود يشفاً عن قرآنه
حلو من العيش اللذيذ سناؤه	لا غرو ان يهدى إلى «حلوانه»
بلد به خلع الربيع خريفه	وأقدام صدأحاً على أفنانه

(١) الدين ورنين ص ٢٧ وما بعدها ( طبعة سنة ١٩٢٥ ) .

(٢) يشير إلى حلوان وهي ضاحية يجوار القاهرة تمتاز بهوائها الجاف وهي من اجمل مصحات الشرق.

يسقيك إكسير الحياة هواؤه  
الشمس قد أخذته عاصمة لها  
رصدوا به<sup>(١)</sup> وهج الكواكب خلصة  
يختاره الأعيان خير مثابة  
شافت به حتى الحجارة رونقا  
لو كانت في عصر مضي لرأته  
يفيد الجميع إلى عيون سهوله  
متباركين ولائمين ترابه

من تفح « آذار » ومن « نيسان »  
والشهب والاقمار من سكانه  
واحشها رائد على جسدرانه  
واللطف والإيناس من أعيانه  
وطهارة سطعت على رباعيه  
كالهيكل المعتر من أولئك  
والناسكون إلى رؤوس رعائه<sup>(٢)</sup>  
مستكرمين البر من غفرانه

\* \* \*

بكر معي للفجر قبل أوائيه  
غلب السكون هدى عليه كأنما  
وكان فهم الغيب رهن سكونه  
قم حيث قبل القوات وان يعد  
انظر إلى الدور الرقيق من الندى  
انظر تغزل مائيه ونباته  
يهتز حتى الصخر من طرب لها  
انظر فاهي غير غفلة حارس  
ركبوا الأثير من السنين أوفها  
من كل بسام الشعاع موفق  
يهدى من الطب العميق مواته

نقيم الصلاة لروعة من شانه  
في الوعظ يفصح منتهى كتابه  
وكان اصل الغيب في أكفانه  
اضعاف هذا الجود من اخذانه  
سيرا تواري التبر خلف حانه  
وهوائه يضحكن من إنسانيه  
ويحن حتى الطير في أحواله  
حق بهم الصبح في ركبانه  
وجميعهم للدهر من ولدانه  
في بره الشافي وفي عدوانه  
ويحول معتراً بلع سنانه

(١) إشارة إلى المرصد الحكومي الموجود بجوان.

(٢) المراد قمة الجبل .

وتقود عسكره ( ذكاه<sup>(١)</sup> ) كأنها « جندرك<sup>(٢)</sup> » فارسة<sup>(٣)</sup> على فُرسانه

\* \* \*

هجم الصباح فكان اول هارب  
واهتز من زمر النخيل طويلها  
وتمايل « الكافور » شكر معوض  
وأدار زهر<sup>(١)</sup> ( الياسين ) كؤوسه  
نثرت لآلئه الزكية مثلها  
ومن الورود النار فوق حدوده  
وتنازعت صور الوجود فبعضها  
تنب الحياة به فلو حيا حيا  
سكرى به الدنيا وأبلغ سكرها  
البلبل المحكي<sup>(٢)</sup> يندد شعره  
لو حاول الشعراء أبلغ وصفهم  
ومن الأشعة ما تدفق بلسما  
ومن المنازل للشموس منازل  
هي وقفة تشفي الفؤاد ونظرة

\* \* \*

خل الضحى الضحك في تديانه يلهم ويلعب في مدى ميدانه

(١) الشمس

(٢) اسم حجر شرقية بيضاء اللون

(٣) المراد في استاره وأجنان جمع جَنَان وهو الثوب والليل

ويذيب كل مذَهَبٍ ومُفضَضٍ  
ويَرشُ نَوَّارَ السَّيَاءِ بنوره  
ويحوّل الكبريت فضوراً حلاً  
وتعال ترتب الاصيل فإنه  
خلع الغرام عليه صفرة عاشق  
قف وارقب الغزّ التلال يزينها  
قف وارقب النيل السعيد تحالته  
عبث الاصيل به فحوّل فضة  
وكان آلاف النخيل تحده  
وإذا قدمت الى « الغدير » حسبه  
غشى الخريف به فصفق فوقه

من قرص عَجده ومن قضبانه  
وسحابها الرضاء في بستانه  
من سحر طلعتة ولمع دهانه  
أصلُ الغروب فجاء في عنوانه  
ودلال معشوق وصفو أمانيه  
تنويقُ هذا النور من الوانه  
من زئبق السعد في ميزانه  
وسط التلجين<sup>(١)</sup> به على عقبانسه  
من شاطئه الجيش من أعوانه  
والنيل ساعده أحب بنانه  
(صَفَّصَافُهُ) وزهت معاطف بانه

\* \* \*

يا للغروب ، ونظرة لمكانه  
أت الاوانُ فأبي بي لم تقف  
وتفي من التحنات قبلة نوره  
حتى اذا خلعت عليه رداها  
وأشار بالتوديع حارس خدرها  
ولطالما كان الوداع بقبلة  
لم يرض فرعون لباب غروبها

أهدت لنا الأشجان من اشجانه  
أسفاً وشوقاً منه عند أوانه  
وتعصُّ بالآلام من نيرانه  
لم يخش عاشقها على هجرانه  
فتريده قبلاً على نكرانه  
أشهى وابدع من وداع لسانه  
هرمته إلا حيلة لقرانه

(١) الفضة



هل كان ذاك الخدر إلا عرشه  
هل موقف ذو وحشة وجلالة  
تختال بينها موردة السنى  
غابت ومن كل المشاعر هاتف  
وعلى الساء رداؤها متشبع  
ما بين مرجان وقان من دم  
تخذت من الاشكال كل مروع  
ركانما القمر المجد وراءها  
كم خصها فرعون من ملكوته

\* \* \*

اركان منزلها سوى صوانه  
ولقد ينال الوجد من صوانه  
بقميصها الوردي من قصائمه  
ببقاياها والقلب في خلجانه  
بفواجع الاصباغ من نسيانه  
غلب النجيع به على رمانه  
وكأنها ( نيرون ) فوق حصانه  
مفتونها الساعي على فتانه  
بالمجد والتسبيح من رهبانه

ملأ الفضاء بخيله ودخانهِ  
طول الوجود على مدى ازمائه  
« ابن الذي الهرمان من بنيانه »  
بسلاسل وزهت بأيدي جانسه  
من دون صوت معلن اطعانه  
فحدا بها حاد الى خذلانه  
وتستر العشاق في إيوانه  
شدها ترك الهوى لعنانه  
وقضت طهارته على شيطانه  
والحب لم يظفر على عصيانه  
وسمير نسمة وعزف قيانته  
فالمرء متمعة قلبه وعيانه  
او يستم به على نقصانه

وأتى المساء يحجفل متتابع  
زحفت له فرق تعلمت الوعى  
تقتاده الثارات وهو مُسائل  
وله المصاييح العداد تعلقت  
هجم الهجوم المستमित لأجله  
إلا حقيقاً من غصون روعت  
وتحجبت منه الشمس بدورها  
وثبت كتائبه فلما أنصفت  
بسمت له الاملاك بين خائسل  
وأضافه الليل الطروب وسره  
ما بين واسع حلمه وسخائه  
وكذا البقاء يطيب من حدثانه  
لا المال يغنيه بفقر حوره

لو ذاق نشوان<sup>١</sup> سعادة عمره  
متع شعورك بالحياة فأغما  
فالحسن فيأض على نشوانه  
للحي أنس<sup>٢</sup> جل<sup>٣</sup> عن جئانه

\* \* \*

(مطران<sup>٤</sup>) لو نزعت اليك بدائعي  
اهديتها وبكل لفظ منبر<sup>٥</sup>  
فالشعر نزع الى مطرانه  
لعواطفي وهوى الى أمّانه  
فأجز لها الإكرام من عرفانه  
وجعلتها تذكار وحبك زائري

\* \* \*

واستحصد الشاعر وتنوعت شاعريته وبدأ يستجيب لقراءاته العلمية والأدبية ، ويستنزل من تجاربه في هذا الباب صوراً كثيرة يطوعها للغة الشعر . ومن القصائد العلمية ، أو بمعنى أدق التي تدور حول معان علمية ، قصيدة ناجي فيها « الميكروسكوب » وسماه : « المجهر » ، رفيقي الكشاف ، وفي ( الشفق الباكي ) الذي صدر سنة ١٩٢٥ مجموعة من القصائد المتنوعة في مختلف الأغراض والاتجاهات وهذا الديوان - كما اثرتنا من قبل - موسوعة شعرية تقفنا على مستويات شقى للشاعر وتعطينا صورة صادقة لشاعريته . ولذلك سنبث عنده بعض الشيء نختار منه بعض القصائد التي تبين لنا ملامح الشاعر ونضجه :

#### المجهر ، رفيقي الكشاف<sup>(١)</sup>

صحيبتك عمراً في وفاء ومتمة  
فكم من بيان لاح لي منك مرشداً  
فكنت لِقَنَسِي مُلْهِمًا ولِأفكاري  
ويُدْهِلُ قَوْمًا ان يَحْمِكَ شاعراً  
وكم من معانٍ قد وهبت وأسرار  
وما عرفوا فني الدقيق وأشعاري

(١) الشفق الباكي ص ٣٥٦ .

وللغيب نزاع الخنين وأوطاري  
 مرارا ، وآلام الوجود بشكوار  
 تناولات منه الوحي والأمل الساري  
 دعائي إلى فحص التعاسة والعار  
 وأكبر فنان يختص بإكساري  
 من المعدسات الهاشكات لأسنار  
 ولولاك ما اعتز الطيب ولا الداري<sup>(١)</sup>  
 وحيناً بحض الصمت تفصح عن واري<sup>(٢)</sup>

ففي كل مرأى لي سؤال ومبحث  
 أرى فيك سر العيش والموت مُملتنا  
 وباربٍ خيطٍ عند جُرثوم قوة  
 وآخر قد عدّوه بُؤساً وشقوة  
 فمثلك أستاذ للأبي وخاطري  
 ولست جماداً من نحاسٍ وجمع  
 إذا قلت كان القول للعقل حجة  
 وإن لم تبع حيرت فكراً منقياً

\* \* \*

وينظم ما يلدقني بدائع الفاري  
 أو الطوب الزاهي بضاحك أزهار  
 أو الجهر الهادي<sup>(٣)</sup> البخيل على الزاري<sup>(٤)</sup>  
 وما حيلتي ان كنت اعشق اسفاري  
 أصوغ من الآثار أروع آثاره

فيا قوم صفحاً لا تعيبوا الذي يرى  
 وسيان جاءت من صخور كثيبة  
 وسيان من شلال نهر تمردي  
 فذا عالم فيه الفنون مشاعة  
 واقراً شتى من حقائق مثلها

\* \* \*

وفي هذه القصيدة تتجلى نزعة الشاعر العلمية فهو يستلهم « الجهر » ويرى  
 من خلاله الكائنات والتجارب ، ويرى فيه سر العيش والموت ، ومن خلاله  
 يلحح آلام البشرية ويفحص التعاسة والعار ، والجديد في شعر أبي شادي العلمي  
 انه ينبض بالوجدان وتحس من خلاله انفعال الشاعر وصدق تجربته .

(١) الداري : العلم ، والمراد الاشارة الى نفع الجهر في شتى المباحث العلمية .

(٢) القبح الباطني الفسد ، يقال وري النبع جوفه أي افسده وأكله .

(٣) أي الهادي ، وكذلك بمعنى المرشد . (٤) الزاري : المهر لثان الجهر .

## أقصى الظنون (١)

وهذه القصيدة من شعر التأمل الذي برع فيه أبو شادي ، فتأملاته الفلسفية وأفكاره العلمية التي يستقيها من تجاربه وقراءاته المتعددة كان يصوغها صياغة شعرية جميلة موحية ، تخلو من الجفاف ونضوب الماء الذي يصاحب هذا اللون من الشعر عند بعض الشعراء ... يقول :

ومن عجيب وجودي ليس ينعدم  
تخفي العصور هُدًى هيات يُغتم  
وخلقت حيرة كبرى لمن فهموا  
ما الفكر؟ ما الجوهر الباقي وما العدم؟  
كما سيقى الردى والشك والالم  
وهم ، وقد يستوي الدهماء والعلم  
في الذهن كالحلم لولا أنها حلم  
بين الظنون التي قد عاقبا القلم  
به الشاعر عن وحي له ككليم  
يُغنى الوجود قريناً ليس ينعم  
من رسمه صوراً شتى لمن رسموا  
موج الاثير جرى فيها هوى ودَم

أقصى الظنون وجودي أصله العدم  
في ذمة الصامت الماضي البعيد وما  
مررت ملايينها كحماً كثنائية  
ما الخلق ما هذه الدنيا ومنشؤها  
مسائل هي للأحقاب باقية  
أجل فرض لها وهم وأيسر  
قنعت من نشأة الدنيا بصورتها  
وثررت أنسا على عقلي وضيغته  
وما أبحث سوى تخليد ما نطقته  
أحسن لي قرين للوجود وهمل  
وما حياتي أليست بعضه وبها  
من الشعاع ومن هذا الهواء ومن

(١) الشفق الباكي ص ٣٠٠ وما بعدها

اذا تأملتُ فالأمواج تسعفني  
 كلي شمس من الذرات تربطها  
 عوامل الكون تزجيتها وتجذبها  
 تمتد في مثل فواقنة لعلى  
 يكاد يقسم وجداني بأن له  
 جم المناجاة لا يعصيه مستمع  
 فليس ترشده الا مداركه  
 وليس يزعبه موت وليس له  
 وان تغنيتُ فالأمواج لي نغم  
 بالعالم الاكبر الاسباب والنظم  
 وأعلها بينا ينحسل يلتثم  
 ويهشق النور ما تهدي ويقسم  
 في الكون ملكاً رحيباً كلته خدم  
 لصوت لجواه حتى الصخر والأجم  
 وليس تلهيه أضغاث الألى زعوا  
 غير الحنين لاشباه له علموا

\* \* \*

وهي تجربة شعورية عميقة عاناها كل الذين حاولوا ان يبحثوا في كنه  
 هذا الوجود ما أصله ؟ كيف نشأ أمو قديم ؟ أم محدث ؟ ومن اي السنين  
 بدأ ، وقد حشد الشاعر كثيراً من الالفاظ الجديدة على قاموس الشعر كالجوهر  
 الباقي وموج الاثير ، وانغام الامواج والالتئام والماضي الصامت ، وغيرها من  
 الالفاظ الجديدة ذات الدلالات العميقة ، بالإضافة الى ما فيها من لغات  
 ذكية تدل على معرفة ابي شادي بكثير من نظريات العلم والفلسفة .

### عيد العمال<sup>(١)</sup>

اخترتموا عيد الربيع العيدا  
 وهزأتموا بالامس وهو مسخر  
 اليوم قدر الناس قدر كفاية  
 ولستموا زهر الفخار نصيدا  
 لجهودكم ومقيد تقييدا  
 واليوم لن يظأ الزمان عبيدا

(١) الشفق البياكي ص : ٨٤٤ وما بعدها.

انتم بنو الشرف العظيم بنفمكم  
التثرب' أنتم من بعثتم تسببه  
والارض انتم من نشرتم فحمها  
والحقل انتم من خلقتم نباته  
والبحر انتم من قهرتم بأسه  
والجو انتم من فتحتم ملكه  
كم تسبقون الشمس في إسمادكم  
ومن العجائب ان يَمُصَّ اجوركم  
كل المسائر حظها في عيدكم  
لابدع إن رقص الجمال مفردا  
في حفلة التعميد اهبج أنسها  
ويذوق من راوي الهناء محورا

للناس تبنون الوجود جديدا  
يختال ما بين الورى معبودا  
فأنازل بل أحيا البلاد السودا  
فأغاث محروما ورد شهيدا  
ولكم تمرد عاتيا وعنيدا  
فغدا بحالاً للحياة مديدا  
للناس سعياً مجديا وجهودا  
مَنْ يُدعون له البدائع جودا  
حتى يزيد على المدى توكيدا  
واختار من نعم الحياة نشيدا  
ان يسكر الشهم الفقير قيودا  
نخباً ويلتمس الاخاء سعودا

\*\*\*

هذه نظرات متحررة متقدمة ، سبق بها الشاعر كثيرا من الشعراء الذين كانوا يتسكعون في الدروب المطروقة ، وبذلك اضاف الى تراثنا الشعري قيا جديدة غير مسبوقة ، فهذه القصيدة كتبها الشاعر في اول مايو وسماها عيد العمال ، وفيها يتزج الربيع بعيد العمال ، والشاعر يحس احساساً ذكياً بالمشكلة التي يعانيها هؤلاء القوم الذين يبنون بسواعدهم ويقهرون البحار ويكتشفون البخار ويكدون ويكدحون ويحولون الصحارى الى جنات ، ويدرك ادراكا واعيا اصل مشكلتهم فيدعوهم الى تحطيم قيودهم العنيدة ، ليتحرروا من رقهم البغيض ويعيشوا في رحاب السعادة والهناء<sup>(١)</sup> .

(١) هذا الكلام قاله الشاعر عام ١٩٢٥ تقريباً.

... وعلى الرغم من اتجاهات الشاعر العلمية ودقة ملاحظته تجده مولعاً بالطبيعة يستلهمها في كل مكان. وصوره عن فتاة الريف تحليل بارع للطبيعة في ريف الإقليم المصري وزرعه ومياهه وأشجاره .

### فتاة الريف<sup>(١)</sup>

كغني وغني يا فتاة الريف غني الطبيعة سرّ كل طريف  
واستقبلي الفنان يرقب شيئاً<sup>(٢)</sup> مرآك يستوحيه للتأليف  
وتسابقني والشمس شطر مزارع نلقاك بين تبسم ورفيف  
نشرت أعزّ حليتها وكنوزها وبدائع الآيات والتصنيف  
ودعي الحائم تابعاتك بعدما جاملتين<sup>(٣)</sup> - يصغتن شكر شغوف  
ويزدن من ترحيب كل مؤمل عطفاً وكل شفاعنة لوقوف  
في أطف اللسان بين تطلع لحنانك الوافي وبين وجيف  
يصطادها العادي ، وانت لثوقها أمن أضيف إليه بر مضيف  
غنيت بحسنك عن غذاء وارتضت لك صحبة عن مزهر ووريف<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

الأرض والابقار والنحل الذي حيئت عابدة لكل لطيف  
ومموجّ النبات النضير موشحا بالزهر في طرف من التفويف  
وفريدة الأشجار جنب قناتها تدعوك فاستمعي لصوت حفيف

(١) الشفق الباكي ص ٣٥٣ .

(٢) مشتاقاً .

(٣) ظليل ناشر .

وتقيتني ان شئت ظلا حانيا  
ومنورُ اللبن الحليب إخاله  
والماء كالأكسير شاق بحرة  
والنبيل يكتنم راحتك مداعبا  
والقوية السمره صاح (إوزها)  
ونقية الأزهار تعرض عشقها  
لا تنهرها واسمحي بدعابسة  
ومن الياح مستبح في غيطه  
والنحل تجذبها إليك جواذب  
وأراك في عين الأديب فأشتهي  
او حظ أعجم قاد دوره نورج<sup>(٢)</sup>  
واذا جمعت القطن هش إليك لا  
طوفي واعطي للملاحة حقها  
للفضن تدفعه ظلال اللوف  
من راحتك شرابا كل عفيف  
كالتساج مزدانا برأس شريف  
ويقبل القدمين في تشريف  
طربا وأذن (ديكها) للفيف  
في غير ما خجل ولا تسويف  
تحبي ففي تعنيفها تعنيقي  
بين الطيور شهية التمزيف  
للشهد والانعشاش والتثقيف  
حظي لدى «الطنبور»<sup>(١)</sup> والشادوف  
جدلان قريك يا حياة الريف  
يشكو فراق التلوز شبه أسيف  
في بعث اموات ومنح قطوف

والشاعر لا يفتأ يردد مع هذه الانغام ، امانيه واحلامه ويرسم مذهبه  
في قصيدته :

### مذهبي<sup>(٣)</sup>

إذا أنا قضيتُ الحياة مجاهداً كدودا فما في الناس إلا المجاهد  
وما أنا من يلقي مع النوم حظه ولو ساد في الاحياء غاف وراقداً

(١) آلة تستعمل لرفع المياه في ريف الاقليم المصري .

(٢) النورج آلة يستعملها الفلاح لدرس المحصول ، يجره ثوران .

(٣) الشفق الباكي ص ٧٧٨ وما بعدها .



تأملت في الماضي السحيق بخاطري  
وأثرت إخفاء الشقاوة معلنا  
وما احتجبت عني تجاريب يئتي  
وكل الذي فيها من اللؤم والاسى  
أرى الدهر للأجيال خير مؤدب  
تسير بنا الدنيا الى الحسن والعلى  
فأحجى بمثلي ان يزيد جاهلها  
ولا خير في نشر الشكوك فإنها  
أرى الحق كل الحق رهن تفاؤل  
وما احتقرت نفسي عوامل قوة  
ولكنني لم أرضها محض غاية  
اعيش لنوعي لا لنفسى وحدها  
وآبى خنوعاً في نفاق وذلة  
أبث جمال الحب في الناس هائلاً  
وغيري يرى ان ينشر النقص حكمة  
وما الشعر الا ان يكون هداية  
ولا خير في شعر يبت ضغينة  
له واجب كالأنبياء تطلعا  
ليكشف جمال الكون للناس صاعدا  
وما عابه الوصف الصحيح لعارهم  
فيخلق بالتكرار دنيا جديدة  
يُعرِّ إخوان الناس فيها ولا يرى

وفي القبل النائي كأني شاهد  
رجاء لهذا الكون يلقاه عابد  
ولا سنن الدنيا كما أنا واجد  
ولكنني في القبح واللؤم زاهد  
وليس سوى السامي المكمل سائد  
وان كان في الوعر الطريق مفسد  
بيانا وتحبيذا فذلك خالدا  
'تحجب' آمال الملا وتباعد  
وما كان في ليل التشاؤم ماجد  
من المال والذكرى وان ذم ناقد  
فمن يرضها قصداً فعان وبائد  
صدوقاً أميناً ليس يتثنيه واجد  
وإن كنت من ضحى فما أنا ناقد  
فذلك دين للسعادة قائد  
كأن مآل الناس صيد وصائد  
فترفع أحلام وينعش جامد  
وسخطاً كأن الشعر للخير جاحد  
الى غاية الإنسان إن زل كائد  
بألباهم ان ارهقتهم شدائد  
ولكن به الأولى العلى والحامد  
على مر أجيال لها الحسن رائد  
أقارب فيها للورى وأباعد

\* \* \*

فهو يرسم صورة صادقة لنفسه وما يعتمل في داخلها من طموح وآماله  
ويصور كفاحه ودأبه وتجاربه في الحياة ومعرفته لادق خفايا النفس الانسانية  
ويوحى بالتفاؤل والقوة .  
وهو مؤمن بالوطن إيماناً عميقاً ولكن لا يتنافى هذا الإيمان في نفسه مع  
إيمانه بالانسانية .

### الوطنية والانسانية (١)

أَتَجِدُ الخلقَ في التقديسِ أوطان  
(الله) في الكونِ هذا، وهو صورتهُ  
أليست الناسُ أسمى ما يمثلهُ  
تتأبدوا ونسوا ما نوعهم ومَضُوا  
يَأْبُونَ بَيراً بدُنْيَاكُمْ تَبَرُّهُمْ  
أجل بتقديسنا الاوطان لو عرفتُ  
فيها الوفاء ولكن عن انانية  
بحيث نلقى بني الإنسان اخوتنا  
هذا هو الدينُ عندي لا حماقتنا  
وإنني الرجلُ الحساني على وطني  
واقديسه بروحي من محبته  
لكن غاية احلامي - وان بَعُدت -  
وأنْ أغالب ما يوحى الضلال به  
عقيدة لست ادري كيف يُصَغِّرُها

وليس يجذبهم كونٌ ودَيَّان  
فكيف تعلق على الديان اوطانُ  
إبداعه ، فعلام الناس قد هانوا؟  
كلُّ بسخرية الاقدار فرحات  
وجمهم في انقسام الطيش غفلانُ  
عقولنا أنها ربح وخسرانُ  
أما الوفاء المَعْلَى فهو إيمانُ  
برغم بينٍ وخلفٍ أينما كانوا  
كأنما هذه الاوطان أضفانُ  
فانه صورتي الكبرى ووجدانُ  
فإن قلبي بهذا الحب ملآنُ  
ان يشمل الارض باسم الحب سلطانُ  
للناس ، حيث جموع الناس عيانُ  
من يدعي أنسه سامٍ وإنسان

\* \* \*

(١) الشفق الباكي ص ٨٢٤ .

وفي هذا الديوان بجمرة من القصائد المنوعة تعال معي نعيش فيها ، ونخلي  
بين القارىء وبين ما فيها من أفكار وعمان تنفذ الى نفسه وتنعيم وجدانه .

### قبلة الجبال<sup>(١)</sup>

يا إله الشعراء ا	يا سمائي يا نسائي
يا همومي ورجائي ا	يا سقامي يا دوائي
في صلاتي ودعائي ا	انتِ عِزِّي وربي
لم تجزأ في التناهي	أنتِ رَبيحاني وروحي
يا ملاذاً للضياع	تجذبين الحسن جذاً
لأغانين الهنساء	قربك المعشوق قرب
لثباتي ووفائي	والنوى شبه امتحان
وصبور في عنائي	فاذا كل مطيع
أنت يا نعمى شقائي	لست غيران فإني
لا يساويني بدائي	كل ما يفوق اليك
فائض فيض الإناء	مالي ذرات جسمي
منك في يوم اللقاء	ليتني مت بنسار
حول نور الكهرواء	كقراش في جنون
فبكيت في رئائي	ليتني أفنيت عمري

\*\*\*

---

(١) الشفق الباكي ص ٧٩٩ .

## الشاعر المجنون (١)

دَعَوُهُ شَقِيٌّ الْفِكْرُ لَكُنْهُمْ سَمُّوا  
 يَرَى الْكَوْنَ بِالرُّوحِ الَّتِي مِنْ صَمِيمِهَا  
 وَيَا رَبِّمَا أَوْحَى إِلَيْهِ بِأَنَّهُ  
 وَشَاهِدَةً اطْوَارَ الْحَيَاةِ جَمِيعِهَا  
 فَمَا ذَنْبُهُ إِنْ يَكْشِفُ السِّرَّ بِاحْتِثَا  
 ذَرُوهُ يَتَقَلُّ شِقُّ النَّشِيدِ وَإِنْ يَكُنْ  
 فَكَمْ يُبْصِرُ الضَّئِدَانَ فِي الْعَيْشِ  
 وَخَلُوا الَّذِي لَا تَشْتَمُونَ فَمَعْنَدَكُمْ  
 فَقَدْ يَمْنَحُ الْإِنْسَانَ مِنْ كَفِّ مَخْلُقِ  
 وَيَنْشُرُ آيَةَ الْحِكْمَةِ الْأَبْلَهُ الَّذِي  
 كَانَ لَهُ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ جَوْلَةٌ  
 فَلَا تَبْخَسُوهُ الْحَقُّ إِنْ شَاعَهُ

فَمَا الشَّاعِرُ الْمَجْنُونُ إِلَّا الْمُنْعَمُ  
 تَأَلَّفَ هَذَا الْكَوْنَ وَالْفِكْرَ وَالِدَمَّ  
 رَأَى الْكَوْنَ مِنْ بَدَنِ الْخَلِيقَةِ يُنْظِمُ  
 فَمِنْهَا الْهُدَى الصَّافِي ، وَمِنْهَا الْهَرَمُ  
 وَيَرْسُمُ لَنَا الشَّرَّ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ  
 بِأَفْرَاحِهِ حَزْنَ خَفِيٍّ وَمَاتَمُ  
 تَأَلَّفَ طَيْرَ الْغَمَابِ شَادِرٍ وَأَبْكُمْ  
 شَهِيٍّ مِنْ الشَّعْرِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ  
 وَيُنْظِمُ نَيْجَانَةَ الْجَلَالَةِ مُعْتَدِمُ  
 يَتَرَجَّمُ عَنْ سِرِّ الْوُجُودِ وَيَحْكُمُ !  
 وَلَيْسَ لَهُ غَيْرَ الْآثِرِ مَعْلَمُ  
 قَوِيٌّ وَكَمْ بَيْنَ الْأَشْعَةِ مُظَنَّمُ

## الملوم ( او الشاعر الغريب (٢)

عَابُوا عَلَيَّ الشَّعْرَ حَتَّى أَنَّهُمْ  
 مَا الشَّعْرُ لِي إِلَّا الشُّعُورُ وَجَوْلَتِي  
 فِيهِ خَوَاطِرُ مَهْجَتِي، وَسَعَادَتِي  
 فِيهِ أَعْيَشُ بِحَاضِرٍ وَبِغَابِرِ

لَمْ يَدْرِكُوا فِيهِ كَيْبَانَ حَيَاتِي  
 فِي عَالَمِ الْأَحْيَاءِ لَا الْأَمْوَاتِ  
 وَشَقَارَتِي وَعَوَاطِفِي وَصَفَاتِي  
 وَأَتْرَجَمُ الْمَاضِيَ وَوَحْيَ الْآتِي

(١) الشفق الباكي ص ٨٧٢ .

(٢) الشفق الباكي ص ٩٢١ .

وأخصُّ بالدمر الذي هو خالدٌ  
وليهزأوا ولنقدوا وليعلموا  
ما شدتها لتكون حليةً بيئي  
وأنا الذي يحيا لسوعي<sup>(١)</sup> والذي  
ان يجهلوا أدبي فلاني خالق  
يقى هوى النقاد مثل جومهم  
فليهنأوا بخداع كل ملفق  
وليمرضوا عما يثمق خاطري  
وتجاري وتأملي وسياحي  
فأحيل ما ألقاه لحناً سائفاً  
لقتي هي الحسُّ الاصيل وغيرها  
وعقيدتي بنت (الحقيقة) وحدها  
وأنا كذلك دائماً مرآتها  
فإذا أبى الجهل العنيد محبتي

### ظلي<sup>(٢)</sup>

وأبها الزنجي قل لي  
أنت يا ظلي خليلي  
في ظلام الليل تخفى  
كيف قد أصبحت ظلي  
هل يطبق الصمت خللي  
في مجال النور تجلي

(١) النوع الانساني .  
(٢) الشفق الباكي ص ٢٧٦ .

لابساً ثوب سواد  
ماشياً إثري وحيناً  
قال أطفال صفار  
أنت حيناً رمزٌ شكلي  
خادماً أنا توافي  
حارساً بأبي فراق  
ظنك الصوفي بَعْضِي  
غأبي إلا صموتاً  
فانتهرت الظل حتى  
بينما الفجر مطلٌ  
ثم وافى الصبح يهدي  
حاملاً أسنى جواب  
فانقضى حلمي ولومي  
ضاحكاً منها ولكن

لا تراعي ابي فصل  
سائراً قربي وقبلي  
انت مثلي انت مثلي  
اذت طوراً غير شكلي  
هازناً أنا بفعلي  
بين ترحالٍ وحيلٍ  
يا لبعض المستقل  
مرهقاً قد مس عقلي  
من صياحي ريع أهلي  
بين اشفاقٍ وعدلٍ  
فتنة الاضواء حوئي  
باح بالسراً الأجل  
وانتهت أضغاث ليالي  
كان ظلي بده شغلي!

### عظمة النفس (١)

لا في الزهور ولا في ملبسي البالي  
في قوة النفس والإيمان لي عُدَّة  
أنا الزعيم لنفسي وهي في دعة  
ديني التعاون لا أرضى بمملكة

حظ الحلال ولا فقندانُ آمالي  
واستُ أنشدُها في وهم جهالٍ  
آبى الخنوع وآبى زهو مختالٍ  
ولا بتسخير أحلام وآجال

(١) الشفق الباكي ص ٨٢٦ .

ولو شعرت بأني من جبارة  
حسي جلالٌ لفي استعزُّ به  
وخاطبني ظن لي صلفاً بمعتقدني  
وقارة ظن بي ضعفاً لأن له  
فقلتُ : حبكُ وهما، انني رَجُلٌ  
لي عزة المخلص الوافي لذمِّيه  
ولن أقتيد غيري في متابعتي

\* \* \*

#### الشاعر الانساني<sup>(١)</sup>

لا أرى غيره قينا بعرشٍ  
هو يبني مع الطبيعة ملكاً  
ليس يكفي للشعر فناً تلاه  
كلُّ شعرٍ سواه لحن ضئيلٌ  
لنظيم يعبش في الاجيالِ  
لحياة غنية الأجيالِ  
فهو روح النبوة المتعالي  
وشعاع يموتُ طي الليلي

\* \* \*

(١) المراد المبالغ .  
(٢) الشفق الباكي ص ٨٢٣

## عيد الربيع<sup>(١)</sup>

شاعر له الكلمُ	الربيع لا القلمُ
الرواة قد نظموا	من نظيمه عجبا
للبدائع الحكمُ	وافتنان فتنته
قد اضاعه الحسرمُ	خالق يحدد ما
وفلولة انهموا	فالشتاء دولته
كالقلوب تبتمُ	والزهور في أمل
يستثيره الكرمُ	والربيع سيدها
وهي حولنا عمُ	تشتبهى مواعده
ثائر ومضطرمُ	في احمرار برده
عاشق ومتهم	في اصفرار وجنته
طاهر ومحتشم	في بياض فضته
السلام والسلمُ	في سنى تألقه
لا يفوته النغمُ	والحسان في ضحكك
لجواهر قيمُ	من بديع جوهره

\* \* \*

وكانها نسيمُ	والفراش لآعبة
كم لطائر نعيمُ	فاقتبست نعمتها
والعيان والشيمُ	والخيال يسعفني
لجلالها القسمُ	والطبيعة اثقلت
كالحيب يتسمُ	عيدها اقباله

(١) الشفق الباكي ص ٨٤١ ( باختصار ) .



## المجد الشخصي وعظمة الفن (١)

حسي شعاراً المجد ان يُصفي الوري  
 ما الزهو من طليي ولا هو عزتي  
 يُزجي بيانَ الصدق في نبضاته  
 قالَ الصديق وقد أطال بمدحتي  
 أعطيتَ تاجاً للفريض 'مَجْوَهرًا  
 فضحكت ثم أجبتَه متعجبًا  
 والشاعر الفنتي ليس لنفسه  
 والعرشَ والتاجَ الصحيحَ لدولةٍ  
 والمبدعين النابغين وإن سَموا  
 لو أن من زعموا الإمارة أنصفوا  
 فجميعهم رهنُ الزوال جلا لهم  
 إني الشكور إذا أذعت عقيدتي  
 أما الغرور ومجده وسماؤه

لمواطني ويُمجّدوا إنشادي  
 ولكنْ أَعَزُّ بِمَا يَسْرُ فؤادي  
 ويمدُّ لي قلمًا وسيلَ مِسْدَادِ  
 « أقسمت أنك بالعظائم غادي  
 فكلّيزه' فوق جبينك الوقاد ! »  
 أعلمت ان التاجَ كالأقبيادِ  
 لكن لِمُلكِ بالفخاخر بادي  
 الفنُ سيدُها على الآبادِ  
 ليسوا سوى القواد والأجنادِ  
 أفسداهم لتعاونوا بؤدادِ  
 والفن لا الافراد للإخلاقِ  
 ومرحتُ كي يصفي الوري لمرادي  
 فوساوسٌ لم تقاوت يجهادِ

## الفردوس (٢)

الخلدُ آيةُ ما ترى والخورُ  
 أشرقنَ في شفق الغروب فودعت  
 وخطرُن في بهض القلائس بينا  
 حكت لهن مباسمٌ وبخورُ  
 شمسُ النهار ، فنورهُن النورُ  
 بسط الجذان الباسمات تمورُ

(١) الشفق الباكي ص ٨١٦ .

(٢) الشفق الباكي ص ٨٦٦ .

وضحيكسن في نغم على نغم كما  
وكأنما هو من سرور خالص  
ووثبن منها في قيود<sup>(١)</sup> حرّة  
خطراتهن خواطر منظومة  
متكسرات في النظارة والصبا  
ترى الزهور يضمن أنامل<sup>٢</sup>  
وتكاد تفتتح للجمال براعم  
جذبت<sup>٣</sup> لمن نواظر وعواطف<sup>٤</sup>  
وتصعد الماء الفيرير بنظره  
يحذب شطر هواه في فضية  
فيرشهن كما 'ترش' أشعة<sup>٥</sup>  
وإذا الحشائش لاثمات<sup>٦</sup> عن ميني  
وترى عيون العاشقين مقيرة<sup>٧</sup>  
وأنى أوان الشاي اذمدت<sup>٨</sup> له  
فإذا بحظي ان اجاور دولة  
عرضت علي من الطعام أذنه  
فلبثت بين مدامة ودعابة  
حتى حبثني إذ غوت تفاحة<sup>٩</sup>  
فأخذتها وإذا بيحلي زائل<sup>١٠</sup>  
وصحوت من عيش الخلود كأنني  
فبكيت في دمع اليراع عواطفي

(١) يشير الشاعر الى الاساور وغيرها من الحلي .

بسامة بدماع من نعمة يكتن فيها المدمع المصدور  
وكذلك الفردوس في أحلامنا وهم وغاية ما احتواه غرور  
ملاحظة : وقعت سهواً بعض الاغلاط الطبعية في هذه القصيدة ، نرجو القارىء تصحيحها

وهي :

صفحة	سطر	خطبا	صواب
٢٠٧	١	ربخور	ونخور
٢٠٨	١	منشور	منشور
»	١٢	والبنات	والبنات
»	١٩	مقبور	مقبور
»	٢٠	عش	عش

### المراة

أَنْظُرْ ضَحَايَا الْهَوَى	فِي نَارِ هَذَا الشَّفَقِ
تَشَعِبَتْ مَكْنَا	بِكُلِّ قَلْبٍ خَفَقَ
وَأَنْظُرْ هُمُومَ الْوَرَى	كَشَمَلَةٍ تَحْسِرُ
تَسْرِبَتْ مِنْهُمْ	بَيْنَ الْأَسَى وَالْأَرْقِ
وَسَطَّرَتْ لَوْعَةَ	بِصَفْحَةِ الْغَسَقِ
وَأَنْظُرْ مَعَانِي الصَّبَا	فِيَا زَهْمَا وَاتَّقِ
مَنْ كَلَّ لَوْنٌ لَهُ	أَنْقَاسَ رَوْضِ عَبَقِ
لَوْلَا زَوَالٌ لَهُ	فِي اللَّيْلِ مِثْلَ الْغُرُقِ
لِذَاكَ يَبْدُو عَلَى	رَوْعٍ كَثِيرٍ أَفْلَسُوا
فِيهِ حَيَاةٌ كَمَا	فِيهِ مِمَاتٌ صَدَقَ
فَسَلِمَ يَجِبُ لَهْفِي	هَذَا الْحَيِيبَ الْأَرْقِ
لَكِنَّهُ قَسَدٌ رَنَا	فِي بَسْمَةِ تَسْتَقِ
إِلَى السَّاءِ الَّتِي	فِيهَا الْأَسَى وَالْحَرْقِ
فَأَشْرَقَتْ ثَانِيَا	مِرَائِيهَا فِي أَلْتَقِ
وَأَحْجَلَتْ خَاطِرِي	وِظَالِ عَمْرِ الشَّفَقِ

## أشعة الظلام (١)

أتصدرفُ عني في ظلام شقاوتي      وتحسب أنني في الظلام حقيرُ  
ولو فيك حلمٌ لانتبهتَ موقفاً      إلى النور في داجٍ عليه تشورُ  
سبيلك عني... لي كرامةٌ مؤمن      بطهرٍ ضميرٍ ما عساه ضميرُ  
وهل كان عدلاً والظلام يحفني      نفورُك.. هل يجزي الشفاء نفورُ  
فيا طالما صاحبتَ رغيمَ دُجنتي      أشعة اعجازي (٢) وفاتك نورُ  
تصاحبُ احلامي فتوقظُ خاطري      ومثلك غافٍ في الضياء حسيرُ  
فلي في الفضاء الرحب من كل نقطة      نوافذ بالوحي الكرم تسيرُ  
تشع بلا حدٍ وتخرقُ حاجبها      وتشعل فكرياً بالضياء يفورُ  
'موجة' لكن قصيرٌ دلالتها      فتلعبُ كالطفل الصغير يدورُ  
وترقصُ رقصَ الحاذقات حية      ولكن لمثلي 'تستباح ستورُ  
فلا تغتبر من مظهر الحظ والغنى      فكم قتل العقل الحصيف غرورُ

\*\*\*

وتدفقت شاعرية أبي شادي وانطلق كالسيل الجارف يهدر ويهدر...  
وكان يقول الشعر في كل شيء في يسر وسهولة، وكان انجابه الفيض وخصوبته  
وتدفقه بالشعر تسبب له نقداً كثيراً. وكان الشاعر يعجب من هذا ويقول أنه  
متجدد دائماً يرى كل شيء ويحس كل شيء احساساً عميقاً. وله قصيدة تدور  
حول هذا المعنى وهي :

(١) الشفق الباكي .

(٢) يشير إلى أشعة « مليكان » المنتشرة في الفضاء وهي أقوى الأشعة نفوذاً .

## التجدد (١)

من كان يشعر دائماً بشعوري  
ويصاحب الأجرام في حركاتها  
وجد التجدد دائماً إلقاء له  
ورأى الحياة بما 'تجدد دائماً  
توحي وتوحي دائماً فإذا الذي  
لو أنصف الشعراء ما قنعوا بما  
كم في الحياة مجددٌ لا ينتهي  
لاموا شبوب عواظفي وتخيلي  
وأنا الخجولُ أمامَ ما أنا ناظر  
فيهزني هذا ولكني الذي  
وأكاد أوقن أن من هو لائي  
إنا بكونٍ كله شعر بلا  
قد أفحم الإنسان حين تجاوبت  
وأبيتُ صمتي فاللمات متى وفي  
ما أعجب البكم الذين استعدبوا

في الليل أو في الفجر أو في النور  
ويجوز عيش الناس كالمسحور  
في النفس أو في العالم المعمور  
أسمى من الإفصاح والتعبير  
أوحته بعضُ جديدها المقذور  
خلقه من شعرٍ ومن تصوير  
ولكم حقير وهو غير حقير  
وتدققي بالشعر ملء شعوري  
من كل موج بالغ التأثير  
مها أجسدتُ أحسنُ بالتقصير  
إما ضريرٌ أو شبيه ضرير  
حصر وكم من عاجز مغرور  
أمواجُ هذا الماء ملء خور  
سيفي ديون حديثي المنشور  
خرس القدير كهيكل مقبور

\* \* \*

وقد قال الشعر فعلا في كل شيء  
فبيننا ترى له قصيدة في :

(١) الينبوع (ديسمبر سنة ١٩٣٣) ص ١٨٠

### غليون الشاعر (١)

يا حبيبي ان ما تهديه اسمى من هديته  
كله لي ذكريات وانشيد شجيتيه  
حبذا الغليون من رمز الى الروح التديته  
دائم التفتح بأحلام الى نفسي الشقيته  
روحك السمحة عندي من معاني الأبدية  
كل ما تهدي وما تنشد نجوى قدسيته

\* \* \*

أشعل الغليون من ناري وحيدا في الظلام  
ناظرا نحو سماء في ضرام كضرامي  
خبثتها غير لمسح في نجوم كالتسامي  
حرمة الدنيا اطلت من ثقوب في الغمام  
كل ما فيها جميل هو قلب في اضطرام  
وكان الخالق الفنان يشقى بالتسامي

\* \* \*

يا حبيبي مسند امواج نفس في الهواء  
كل ما يبدو دخان حينما يخفى الرجاء

---

(١) المصدر السابق ص ٩ ، ٢١٠ . وقد اهداها للشاعر ابراهيم ناجي .

كلّ انفاس مناجاةٍ وكم ضاع الدعاءُ  
هي دنيا كل ما فيها غباءٌ في غباءُ  
آه لو تدرك ما يعني بنوها الشعراء  
آه لو تفهم من دقائق قلبي ما اشاء

\* \* \*

أنت يا من كله عطف على وجددي الأليمُ  
أنت يا من يخلق الرحمة ان ملّ الرحيمُ  
أنا في ناري كما قدرت امضي وأهيمُ  
وهي لم تحبّ ولن القى سوى وهم النعيمُ  
محرقة نفسي كهذا النجم في الليل البهيمُ

\* \* \*

ترجمه ياسى لمأساة فلسطين في قصيدته :

#### فلسطين الشائرة (١)

تَقَصَّفُ يراعي واصمئتُ الآن يا في  
علامَ صياحُ الناسِ حين كلامهم  
وان لم يُدَوِّ الحقُّ من كلِّ مدفع  
حرام علينا ان ننادي ببيقطة  
وثائرة في نخوة العرب آمنت  
لقد آن عهدُ الحرِّ يكتبُ بالدم  
هباءُ إذا الأسيافُ لم تتكلم  
وان لم يُغَنِّ الموتُ في كلِّ ماتم  
إذا كانت الأرواح ارواح نوّم  
بعزتها بالرغم من كل أعجمي

(١) النبوع ص ٤٩ .

مشت للردى<sup>(١)</sup> في جحفل من شيوخها وشبانها في وحدة لم تقسم

\* \* \*

فلسطين يا دار النبوة هكذا تصير جنان الخلد دار جهنم  
تخذت من النار المطهرة الحمى حليفك في يوم البلاء المحتم  
فعلمتنا معنى الكرامة والعلى وكيف العلى رغم الشقاء الخيم

### قيشاري<sup>(٢)</sup>

قد حطم الدهر قيشاري فما تركت  
فيا فؤادي تشجع ولتذب نغما  
عشت المرجى لفن فلتمت مثلا  
وربما آهة ارسلتها ولها  
يا خاققا بمعان كلها شجن  
فيم التكتم والأيام قد نفذت  
كأن صدري غدا لحدأ اضمئه

أحداثه غير فرد بين أوطاري  
فيه الوداع لنديا الحرب والنار  
الفن ما دمت في الحالين قيشاري  
تفردت بحياة بين أشعاري  
هون عليك وبُحح حرا بأسراري  
ومسا بقاياك الا بعض آثار  
ذكرى السنين واحلامي وأوطاري

### الصبا الدائم<sup>(٣)</sup>

جرت السنون كأنني ما شمتها  
فإذا عشقت عشقت من روح الصبا  
ما شاب قلبي في ربيع محبة  
روح تفيض على الزمان صبا

تجري فلم أبرح سنين صبا  
فلقد تعلق بالجمال تمايا  
لا ينتهي حق اتهمت خطايا  
فإذا الجمال محاصر بهوايا

(١) كان هذا في عام ١٩٣٣ .

(٢) الشعلة ص ١١١ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤ .



## التعبير الرمزي والعاطفة

ولا بد أن نشير - ونحن نعيش في مختارات الشاعر - أن الطابع الذي غلب على شعره هو الطابع الوجداني ، ولعل ظروف حياته واحداث عمره كان لها أكبر الأثر في تلوين شعره بهذا اللون، وشاعت في شعره أيضاً تعبيرات رمزية اقتضتها هذه الظروف والأحداث ، وسنختار نموذجاً من هذا الشعر الرمزي ونحلله ثم نترك للقارئ ان يتذوق وحده ما يصادف في هذه المختارات من هذا اللون ... والقصيدة - او المقطوعة - هي « بحر السماء » يقول فيها:

### بحر السماء

هتفتُ بي الأضواء فاستيقظتُ من	نومي على قلق من الأضواءِ
ونظرتُ في أفق السماء فلم أجد	إلا حديث الموج والدأماءِ
السحب تجري في اصطخاب الموج لا	ترضى بهدأة لحظة لندائي
بأديتها فتلفتت لكنه	كتلّفت الأطياف للشعراءِ
لا تستقر هنية وتسير في	لهف كوثب الموج فوق الماءِ
وكأنما الزمن العجيب يسوقها	كالخيل في ركض وطول عناءِ
تخشى سياط الدهر يجري خلفها	فالدهر قاس دائماً ومرائي
وتغيبُ في بحر السماء كما مضى	حلمي وأنفامي ووشي رجائي

★

فهذه المقطوعة استخدم الشاعر فيها التعبير الرمزي ليصف حالة من حالاته النفسية في لحظة من اللحظات . فهو لا يريد تشبيه : السماء والسحب

تجري فيها ، بالبحر ، ولا يريد ان يشبه الزمان وهو يدفع السحب بالخيال ، ولا يريد ان يشبه جري السحب بوثب الموج فوق المساء . لا يريد الشاعر - فيما نظن - مجرد التشبيه وإنما يريد ان يحسم لنا حالته النفسية في تلك اللحظة وهو يشهد السماء مليئة بالغيوم والسحب تجري فيها ، ويوحى للقارئ بإحساسه وينقل إليه عدوى هذا الاحساس ، ونشهد ان الشاعر قد حاول استخدام الايقاع اللفظي الذي تَشْبِهُهُ مثل كلمات « الأضواء » « قلق من الأضواء » « الموج والدأماء » « اصطخاب الموج » « افق السماء » « تلفت الأطياف » « سياط الدهر » في تصوير الجو الذي يريد أن يصل إليه ، كما حمل هذه الألفاظ دلالات جديدة : فالأضواء وهي لونٌ يُرى تهتف بالشاعر؛ والسحب تجري في اصطخاب الموج وتَتَلَسَّفَتْ ، والزمن وهو معنى اعتباري يتجسد عند الشاعر ويجري خلف لسحب ، بل ويسوقها ، والدهر يلهبها بالسياط فتفر مذعورة امامه .

وهنا يسفر الشاعر عن حالته النفسية التي يرغب في نقل عدواها الى النفوس والإيحاء بها عن طريق الرمز فيقول :

وتغيب في بحر السماء كما مضى حلمي وأنفاسي ووحى رجائي

ولا شك ان هذا الايحاء الرمزي قد ساعد الشاعر على خلق الجو النفسي الذي يريد أن يوحى به ، فنحن ندرك بعد هذا - عن طريق الإيحاء والرمز ، لا عن طريق التقرير - ان أبا شادي يريد ان يصور احساسه بضياح أحلامه وآماله ورجائه ، وما يصادف في الحياة من عقبات قاسية وعناء وألم ، ونكاد نحس هذا الاحساس نفسه لانه جسمه واتخذ من مظاهر الطبيعة والفاظ اللغة رموزاً نقلت عدواه الى نفوسنا .

أما وجدانه الفردي وتجربته الذاتية وغرامه العائر فقد ظل يدور حولها

طوال عمره ويسجلها في شعره وقد تغيرت حياته واصطلحت عليها أحداث كثيرة ولكنه ظل وفيًا لهذه المعاني يسجلها في كل فرصة ، ويقف عندها في كل مناسبة ، وعندما يعيش بين الطبيعة يمزج تجربته الذاتية بظواهرها المختلفة ويخلع على الكائنات احساسه ، ففي جوار البحر يقف مروعا يبدو الأفق امام ناظريه كشيئا أغبر ، والشمس تحرق والسحب جمعها بخور يتصاعد من بحرة سحرية عجيبة ، والوجود يكتئب . تعال معي نستمع الى قصيدته :

### يوم مروع (١)

يلوح الافق أغبر في دخان	وهذي الشمس 'تحرَّق' إذ 'تغيب'
كانت السحب جمعها بتخور'	ببحرة لها سحر عجيب
يضيق الافق في قلبي ونفسي	وما يُغني المنى الافق الفسيح'
إذا اكتأب الوجود فإن نفسي	تئن وكل محمود قبيح'
اهاتيك الصخور لها شخوص'	سوى البادي على تلك الصخور ؟
أفيها من قديم العهد روح'	تراث للشعور وللضمير ؟
لقد مضت القرون وتلك سكرى	على سواج الحوادث والقرون
وهذا البحر أهون ما تلاقي	فما موج سوى موج السنين
أهذا اليوم من أهمل الشتاء	وقد اوفى دخيلًا في الربيع
وما جدوى السؤال وذاك يومي	يتصد عن الإجابة كالمرع

★ ★ ★

وظلت لهفته الى الحب دائمة متجددة وله قصيدة بعنوان :

(١) الينبوع ص ٣ .

## الاهفة الخالدة (١)

يقول فيها :

في القرب أم في البعد يغمر مهجتي  
مالي أراك كائننا لم نجتمع  
أرئو اليك كأنما الدنيا أبت  
أرئو اليك كأنني أرئو الى  
أرئسو وأرئو ثم أرئو مثلما  
أرئو وهذا الصمت يشملي كما  
ويحار حسنك من سكوتي بينا  
أواه من هفي ومن حرقى الذي  
عاجت كل وسيلة أشفى بها  
وإذا نعي ان اراك وحرقتي  
وإذا بي الصادي الذي لا يرتوي  
إننا ربينا في الشقاء وفي الهوى  
وكاننا نصفؤبماتم حيننا

من هفي قلق يدوم وجسوع  
قنبلا وقلبي هائم ومروع  
هذا اللقاء وأني الخدوع  
كون يحاربه النهى ويضيع  
يرئو الى الأم الخنون رضيع  
شمل الوجود أشعة ودموع  
أنا وحدي المتكلم المسموع  
لا ينتهي وكأنه المطبوع  
فإذا الشفاء محرم ممنوع  
تساويان وقلبي المصدوع  
وإذا جمالك وحده اليلبوع  
فهواي - مها ينعم - المفجوع  
والذكريات تحوطننا وتروع

\* \* \*

ولا تفارقه كآبته وهو يستروح النسبات على شاطئ البحر في الاسكندرية  
فيروح يتفلسف ويتأمل الحياة والاحياء والموج المضطرب والرميل. وتقوده

(١) المصدر السابق ص ٥ .

هذه التأملات وتداعي الخواطر الى صور كثيرة تنبض بالحرارة وتفيض بالصدق وقصيدته التي تمثل هذه المعاني هي :

### رثاء الجمال<sup>(١)</sup>

انشد رثاءَ الأمافي أيها الفاني  
دنيا حواليه يبنيها ويهدمها  
اترك تفاؤلك المعهودة آونة  
انظر إلى الحسن في اعجازهِ صوراً  
كأنما هي انفاس نردها  
منَ هذه الغادة الهيفاء ساحرة  
تمشي وفي لونها الخفري ما سمحت  
تري الحياة تناهت في تطلُعها  
لا يستقر قرار من تخطرهما  
من هذه غير رمز للحياة حوت  
أنا الذي أتفاني في مواهبها  
كأنما الخالقُ الرسامُ صَوَّرها  
فصار يعبدُها الخلاق في لهف  
أهذه سوف يطويها الفناء كما

واندب مآل الجمال الضاحك الهاني  
كلوج يهدم ما يبنيه في آت  
وانظر مصارعَ أطيافٍ وألوانٍ  
لا تنتهي وعجيبٌ كلها فاني  
ملء الحياة فتدعو موتنا الداني  
بناظر ذاهل كالنجم وسنان  
دنيا الحياة بأغراء وايدانٍ  
منها بفرحة اضواء وألحان  
كأنما هي من أطياف نيسان  
أشهى البيان وأحلاه لوجسدي  
تفاني اللحن في اوتار عيسدان  
في جرأة وَعَتَّها روح لهفان  
وبت تصويرها ايمان إنسان  
يطوي جمال امانينا الجديدان

★ ★ ★

وذلك الموجُ من إبقاء مضطرباً يدعو اليه حنين الناس وثاباً

(١) الينبوع ص ٧ - ٨ .

أحيا صخوراً باصداء يرددتها  
يجري ويمرح في لهو وفي قلق  
ترنو الحياة بإحساس يفيض به  
والموج معها تنامى في تلاطمه  
لقد وقفت قليلاً في مباءتها  
عوالم الفطرة الأولى بما جمعت  
كم يأسر الموج في أصباغه مُهَجَّجاً  
زرق العيون حوت من روحه فِتْنًا  
وقفت في الشاطئ المأهول في شغفي  
والشمس في الأفق المهجور رائية  
تَبْسِكِي بَنِيهَا وَإِنْ حِلْمُنَا اشِعَّتْهَا  
حتى تذوب بهذا البحر في غسقٍ

وأطلع العُشْبَ بالإيجاء جذاباً  
ويشربُ النور اطباقاً واكواباً  
إلى الأنام فيمسي الناس احباباً  
يأبى التخاذل في مجراه غلاباً  
فكنت أشهد اكواناً وارباباً  
من الجمال الذي قد زاد انساباً  
وكم يُعَذِّبُ هذا الموج من ثاباً  
كأحوت من روعة المحبوب إرهاباً  
والقلبُ ملء خشوعٍ بالغ طاباً  
مثلي إلى البحر ترمي النور إذ غاباً  
متاعنا فما إذا المبكي ما أباً  
كما رأيت جمال اليوم قد ذاباً

\* \* \*

وذلك الرملُ كم حسن أطاف به  
كم جلسة لي في أفيائه جمعت  
وكم نَعِمْتُ قَريراً بالظلام كما  
وأي دينٍ وإيمان يُقاس بما  
والبحر يزخر بالاشواق ضائعة  
أما أنا فأميرٌ عند ساحته  
ولا أفوت عزيزاً من مناهله  
ولا أمَلٌ مذاقاً من حلاوته

وكم غرام وكم وجدٍ وكم صورٍ  
ما طاف في خلدي الوهَّاب للنظر  
نَعِمْتُ في الأفق بالمبثوث من شرر  
في ظلمة الليل من حب ومن خطر  
كمن ينادي حبيباً لِحِّ في سفر  
أعائق الحُسْنِ في طوعٍ وفي خفر  
ولا صغيراً فما في الحسن من صِفر  
ولا شحياً من الانداء والزهر

وصدرها الخفافق المهتز في جذل  
لكل جزء عبادات أوزعها  
والرمل يعجب من ناري ومن ظمأي  
واحسب الحسن معنى خالداً أبدا  
فيقتسل الليل احلامي ويطردها  
وجيدها الناعم الموحى الى صوري  
من لطف الحب لا تقنى على السهر  
ومنجم يضحك مني ضحكة القدر  
كالحب في الكون لا يفنى على العصر  
ويغتدي الشعر مأوى لي من الذكر

\* \* \*

فالشاعر رغم احساسه بمظاهر الطبيعة والفتنة والجمال، ورغم تذوقه لكل  
هذه المعاني ، ورغم انه امير في ساحة البحر بعانق الحسن ولا تفوته صغيرة  
ولا كبيرة يدرك كل شيء ويتذوق كل نبضة ويرنو الى الصدر الخفافق المهتز في  
جذل والجيد الناعم ، رغم كل أولئك تسري في انغامه روح حزينة ملتاعة  
تعكر عليه صفوه في النهاية ، فيقتل الليل احلامه وامانيه ولا يبقى له الا  
الشعر يبثه احزانه واشجانه .

\* \* \*

واشعاره كانت دائماً ملاذ الاخير الذي يشوب اليه ويحتمي به من هجير  
الحياة ، بل هي المنفى الذي ارتضاه لنفسه يعيش فيه - كما يقول - في يقظة  
قهار .. واستمع الى قصيدته :

### في المنفى<sup>(١)</sup>

نعم منفاي أشعاري وملقى النور والنار  
أعيش بها على حدة ونفسي عيش أحوار  
حياة ما لها أمد على سفر وأخطار

(١) أطيف الربيع ص ٧٣ ( طبع سنة ١٩٣٣ ) .

اسجتلُ كل ما حوئي واخلقُ حُلُمِ اقدار  
حزينا ساخطا مرحا عتيبًا غير جبار  
اعيش بكل معنى العيش حين أنا به الزاري  
كأني مذ ولدت حيث في يقظسات قهار  
ابادل ما حواه الكونُ ايجائي وأنظاري  
فلا هو دائني ابدا ولا انا عبده الجاري  
وإن عبَدَ الجمالَ به فؤادي شبه مختار

\* \* \*

يعيش لغيره ابداً وان لم يحظ بالغار  
فهذي نفسي الكبرى إذا أرضاك إصغاري  
تناءت في مجاهلها ومنفاها بأشعاري  
ولم تسفر لقارئها إذا لم يقبل القاري  
ومن يحيا حياة العشـب لم يظفر بأغواري

\* \* \*

وسأخلى بين القاريء وبين بقية المختارات ولن ادخل بعد ذلك بالشرح  
والتعليق حتى يتمكن القاريء من تذوق النصوص المختارة بعيداً عن أي قيد  
ويستمتع بجمالها الفني من خلال نفسه وما تثير فيه من لذة وممتعة .

لعبة ابنتي (١)

( ابيات ارجالية )

أنتِ يا لعبة ابنتي ذات روحٍ وخفةٍ  
أنتِ عندي عزيزةٌ وهي عندي عزيزتي

(١) اطياف الربيع ص ١٠٦ .



أنتِ مَثَلْتِ طَبْعَهَا	في صفاءِ الهبةِ
هرةٌ أنتِ انمسا	انت لي غيرِ هرةِ
انت عينيكِ فيها	سرُّ لُبِّهِ وفطنةِ
أترى حزتِ سحرها	كم لدى الحبِ آيةِ
كم قوسدتِ جنبها	في فراشِ بنعمةِ
كم تَلَيْتِ رَوْحَهَا	في حنانِ ورحمةِ
كم تشاكيتا على	نظرةِ بعدِ نظرةِ
كم تصاحبنا على	كلِّ يسرٍ وشدّةِ
فإذا أنتِ رمزها	رب رمزٍ بدميةِ

\*

### حزن الفجر (١)

يا فجرُ تنبسُ فيكِ انفاسُ تنميتها الحياةُ  
ما بالها همدتِ همودَ الطفلِ في أسرِ الجنّاةِ  
انت الجنينُ وما وُلدتِ وإنْ لهنّاك الوليدُ  
كم ما ملّ فيكِ القريبُ وكلُّه أملٌ بعيدُ  
انت الجديدُ وانت كشافُ السعادةِ للسعيدُ  
حين الشقيُّ يراك مهزلةً من القسدرِ العنيدُ  
يا فجرُ ما هذي التهايلُ المتنوعةِ الحسانُ  
اتراك منْ خطفِ الحياةِ لنا على رَغْمِ الزمانِ

(١) المصدر السابق ص ٥٤

يا ربما انت الكرميم' بها لقلب يرتجيك'  
قلب' يداعبه الأليف' كما يؤانسه الشريك'  
فتلق' من هندي . العصافير المفردة الصلاة'  
فلعلها ادري بمعنى' فيك اهدته المياه'  
اما فؤادي فهو في حزنٍ وتسريحٍ دفين'  
فيرى بزوغك كالأسى في النار والشدو الأنين'

### الشمس الغريقة (١)

أرى الشمس قد سقطت في العباب . فما بالها الآن لا تنطفي  
ومما ذلك اللهب المستثار' على الماء من وقندٍ روح خفي  
أني الماء نجوى فؤادي الحزين . يناجي الشفاء فما يشتفي  
واي لظى' في صميم المياه . سوى الحب يغزو ولا يكتفي

\* \* \*

وقفنا على اليم عند الغروب . وكم في الغروب اسى' للقلوبِ  
فأسمعنا الماء صوت الشجي' ورفاً على النورِ روح الكئيب  
وقد عثرت في خيوط الضياء . فتاة السماء بموج عجيب  
فأشعلت البحر من سحرها . وما سحرها غير روح الأديب

\* \* \*

---

(١) اطياف الربيع ص ٧٠ .

وفي لحظة غاب ذلك التلعبُ وقد كنتُ أحسبه لا يغيبُ  
فيا عجباً لصروف القدرِ وان لم يكن منه شيء عجيبُ  
فما هو فان نراه خلدُ وما هو باقي بسحر يدوب  
وقد جنحت هجتي للطربُ كأن السرور وليده الكئيبُ

\* \* \*

وحان الوداعُ وكم في الوداعِ دمساءُ تراق وعمر يضاعُ  
فلاحت لفاتني عبرةٌ على خدّها كالظيِّ في شعاعُ  
وقد رأيت الشمس مرأى الفناءِ وقد فرقت وهي ربُّ يطاعُ  
فريمعت بصرعنا الأدمي وهذي الألوهةُ تلقى الصراعُ

★ ★ ★

#### النظر الجري<sup>(١)</sup>

لا ترهبني نظري الجريءُ هو لنسوة الحبّ الطموه  
هو نشوة الحبّ الطموه روحه نطبلُ عليك من  
روحها من هذا الجنان وتمبُّ من هذا الجنان  
هو نخلةٌ من نعمة خُطفتُ من القدر العتي  
هو لنسوة الحبّ الطموه فعلام نخشاهما وما  
هو لنسنة يُسيء ولو أسيء ر ووثبةُ الروح المضيء  
هو وتجتلي القدس الوضيء شرابٌ كوثرها الهنيء  
علاويةٌ ليست تقيء لدى ظلالٍ من هسدوء  
فيها سوى الشكر البريء

(١) المصدر السابق ص ٩٨ - ٩٩ .

### الاشعة الحمراء (١)

مالي اراك جريئة      كالخرب في وثباتها (٢)  
قد طال موجك زاخرا      متيادياً كطفاها  
حين البنفسج في ودا      عته كسليم أباتها  
أخفيت تحتك عصبه (٣)      جاسوسة بصفاتها  
نقلت لنا صور الظلا      م نخاله كعداتها

\* \* \*

المرى من الالوان ره      ز حياتنا وحياتها  
هذي عواطفنا عوا      طفها وصورة ذاتها

\* \* \*

### الأطيوار والبراعم (٤)

حل الشتاء فطيري      فالأرض ملهى الحفيري  
ظيري مع النور طيري      من الظلام المنفيري  
نشأت في الأرض لكن      كنشأة للضميري  
الى الطلاقة يمضي      إلى الطلاقة طيري

- 
- (١) الكائن الثاني « ص ٢٠ » سنة ١٩٣٥ .  
(٢) الأشعة الحمراء هي أطول الأشعة موجاً إذ يبلغ عدد موجاتها في البوصة المربعة ٣٣ الف موجة وعكس ذلك الأشعة البنفسجية .  
(٣) إشارة إلى الأشعة تحت الحمراء .  
(٤) المصدر السابق ص ٢٥ .

من الفصاء الكبير	كم فيك رمزٌ وروحٌ
روح الريح النضير	رمزُ البراعم تخفي
الى زمانٍ يسير	يقيرُ فيها ولكن
الى الوجود الخطير	وبعدُ يخفي شعاعاً

### تخطيم اللذة (١)

سِر العناصر عاد للأحقاد	حَجَرُ الفلاسفة الذين تناوبوا
وتراجعوا في حرقه وسهاد	كم داعبوه خرافة سحرية
في قوة الإصدار والإيراد	واليوم عاد مجدداً ومحققاً
علوية عاشت على الأباد	في الكهرباء وبألمها من قوة
صوراً من الطاقات والآباد	قهرت نوى الذرات حتى حطمت
يتهدُّ تحت مصائب وعوادي	وكانها القلب المليء عواطفاً
ويسير في الأشواق والاحقاد	فينسج في دنيا المشاعر وجدّة
ما بين إحياء وبين جماد	ويبت في صور الفنون محوّلاً
خلق لأضداد على أضداد	وكذلك الذرات هدّم بناها
وفؤادها نازر بكل فؤاد	لبينات هذا الكون من لبناتها
خلف الوجود وكل ما هو يادي	فيها الكهارب كل ما هو قائم
بين المقبول كخال كل طراد	من ذا يقدر والحياة تسابق
ويصوغها حذقه المتأدي	كيف القدر الحرّ الجري يهدّها
مثل الجبال تهون للصياد	ويزون تشييد البناء لعلمه

(١) الكائن الثاني، ص ٣١ .

من ذا الذي يدري؟ فكم من مضمرة  
ولقد يرى الأحفاد أن هومنا  
في الغيب يُذهلُ حدق كل رشاد  
لعبٌ وليس جهادٌ لنا يجاهد

### عودة الراعي (١)

أرعى الطبيعة ابن سرت كأنني  
تسري العواطف في مسارب حسنها  
أقتات بالموخى الى وجداني  
ولقد يُعابَ عليّ ما أعني به  
نشوانة من حسنها النشوان  
يا ربّ اشواك فتنت بلونها  
وكذا تُعاب هواية البستاني  
او رمزها تحوي صنوف معاني  
ومشاهد مشت الطبيعة بينها  
في سترها المتواضع الفنان  
قنّضاحكت من جهله بحسائي  
ضحك الغيبي عليّ من شغفي بها  
كنازها يجالها الروحاني  
ورأى الصخور جوامداً ورايتها  
وتنصت أذني ككل مشاعري  
لغنائها الحياكي لكل زمان  
وجلست والعشب المتور. جاثم  
حولي كأن حينه يرعاني  
في خلوة قد نضدت احلامها  
تنضيد احلامي لمن ناجاني  
وتطلعت صوراً بلوح بياني  
فتجاوبت روحي وهمس سكينتي

### حلم الغد (٢)

بُوركت يا حلم الغد  
وملاذ تفكيري ومنق  
وبقيت كنا في يدي  
لم يبق في الدنيا أمسا  
لما أعزّ ومُسعدي  
مي غير فخر المعتدي

(١) عودة الراعي من ٢ طبعة سنة ١٩٤٢ .

(٢) المصدر السابق من ١٣٣ .

والنساس من مستعبد      هــوي الى مستعبد  
صار المدافع كالمها      رجم في المنى والمقصد

\* \* \*

بوركت يا حلم الغد      وبقيت كنزا في يدي  
اني لاسبق القرو      ن الى التي لم تحسد  
فأرى بني الانسان في      اسمى الإخاء المقرد  
يتعاونون وكلهم      يجد الوجود كمعبد

#### حداده القطن (١)

ما بال غالي القطن لم يسعف بمرجو الرحيق  
النحل تشكو بخله وهما الشقيق من الشقيق  
اتراه في ياس من الأيسام اخلد للحداده  
اتراه قد بنحسوه حقا مثالا بنحس السواد  
ساءلته ومشيت كالمذهول بين حقوله  
فتشاورت اوراقه مما كهمس ذبوله  
وتضاحكت أزهاره من بعد تهتف بالحياة  
وترد عنها السخر من أيدي الطغاة الى الطغاة  
قالت : نعم اني بنحست الحق في وطن أسير  
الكل ينهب فيه باسم العدل او باسم الفقير

★

---

(١) المصدر السابق من ١١٨ .

يا شعبُ قم وانشد بحقوقك فالخنوع هو الممات  
 تشكو والغريب وعلّة الشكوى الزعامات الموات  
 قد عمت الفوضى وقد دب الفساد بكل شيء  
 فإذا سكنتَ فلن تعد ولن يفى لك أي شيء  
 ما دمت تقبل ان تكون من الضحايا كالعبيد  
 سيسومك القوأم والاسياد الوان القيود  
 انهض وحاكمٍ بائعك الى الهوى والى الفساد  
 او مت ذليلاً لا يقاس بذله حتى الجهاد

### الالوهة والكون (١)

كل شيء في الكون سحر عجيب	والغريب القصي فيه قريب
يجهد العلم باحثنا بيننا وفئق	من قبل واحتواه الأديب
هكذا كل نرة من كياني	تحتوي العالم العظيم الساني
أنا فان وفي المدى غير فان	وكيانى هذا الوجود الرحيب
والإله العظيم هذا الضياء	ومعانيه اجملتها السماء
لا ابتداء له وليس انتهاء	او شروق لوجيبه او غروب
كل شيء من حولنا يتحول	ولو ان الخلود طبع مؤصل
سوف نحيا على ضروب تشكل	بيننا الاصل واحد والضروب
لبينات الوجود موج يدور	قد تجلى به الإله القدير
والجمال الذي به نستنير	غاية للوجود لا تسريب
هو فنّ نوى به الفنان	هو كون ارواحه الأبدان

(١) من السماء ص ١٢٦ ، طبع في نيويورك ديسمبر سنة ١٩٤٩ .



هو معنى ما فاته الامعانُ      وتناهى اليه شعرٌ حبيب  
ما ابتهاجى إلا ابتهاجٌ لنفسي      فأنا ملهمٌ جناني وحسي  
وحناني الى الإله وقبسي      من سناه استجابة لا تجيب

### الامواج

هدهدي بالهدير أيتها الامواج قلبا الى حراكِ اطمأنسا  
واسكبي الراحة الحبيبة فيه انتِ برءٌ لئلا قلبي المعنى  
تفسلين الحصى وتلك قلوب بُعثرتْ في الرمال حتى دفننا  
ثم جددتها نشورا وطهرا ثم اشبعنا حنانا ولحنا  
وأنا الخاسر الذي جاء يستجدي حياةً لديك هيبات تقنى  
ما ترانيمك الشجيةُ إلا ما تمنى السلام لما تمنى  
تتجلى كثورة وهي أمنٌ وأحب الثورات ما عادا منا  
كرويت الغرام عن سالف الدهر وما زال ما تقصين فنا  
وتمرين في ثوانٍ بأعمارٍ وتلقين بعد شينك دفننا

\*\*\*

هجرتُ مهجتي الحزينة دنيا كل صفو لها تقاضته. دنيا  
وانتهت حرة اليك. فما خاب لها مأملٌ ولم تلق مينا

\*\*\*

أناحي\* مستغرق في الهدير العذب لا يستعاض وحيًا ولونا  
وكان الأرباب مثلي حواليه اصاخوا وما اشتهوا عنه بينا  
فثملنا بما حكى واستعدنا وحديث الأنام لغوٌ لدينا  
وحياة الأرباب ليست تعلقى ببيان الورى وليست تدننى

## ثقتي بمآل الانسانية (١)

### دستور لوحدة العالم

انني الأمين على السنين الحاني وأنا الوصي على مدى الإنسان  
ورهن أحلام سميت بفتوحه بينا هزائم على جسائي  
تلك الندوب على الجراح شهيدة وكذلك روعة بأسه الفتان  
وعجيب لغز الحياة مقدس لغز الألوهة والسنى الروحاني  
عقلي تمثل في قياس نجومه ونهاي في استيعاب غير القاني  
وعلى حياتي اليوم يتبع في غد حكم الذين تتبعوا ايماني  
ومقالهم صدقاً حلت موفتاً إرث البرية عز في الأثمان  
وإذا نما الإنسان في تأمله بنسهاي أو بحجاي او يحناني  
وازداد في معنى التفهم روحه حراقسوف يعيش في الازمان  
ولسوف تغدو السرميدية للورى أقصى وأفسح من خلود دان

## يوم العمل (٢)

عرفناك يا يوم عيد الحياة فإن الحياة لمن يعمل  
كذا علمت علمنا الكائنات واسمى الكواكب والمنجمل  
وفي الحركات صميم الحياة اذا فاتها الميت المهمل  
فتب حولنا راقصاً ضاحكاً ايا عيد واحفل كما نحفل

(١) من الساء ص ١٠٦ .

(٢) من ديوان عطرط لابي شادي باسم « ايزس » .

فهذي الجموع شهود الكفاح رموز السلام الذي يؤمل  
 نعيش بعصر له ثورة على الضعف والجهل لا تجهل  
 فيا امم الشرق لا تياسي فسا عَزَّ دونك مستقبل  
 هلمي مجنحة بالعلوم الى الشمس فالشمس لا تنزل  
 هلمي محصنة بالعدالة للمجد فالجهد لا يبذل  
 وحسبك موعظة يوم عيد تشاوي به الناس واستأهلوا

### وطني الاول (١)

لج الحنين اليك حتى خلتي	وأنا القصي غدوت غير النائي
وإذا الفصول جميعها نواحسة	حولي بعطرك تستثير رجائي
وإذا السماء برعدها وبروقها.	زرقاء مثل سمائك الزرقاء
وإذا الجمال بكل مرأى حفتي	يَفْتَرُّ لي يجيالك الوضاء
وإذا الحياة وقد رشفت نعيمها	ليست سواك بخاطري ودعائي
هذي المشاهد كيف كن شهيدة	تلهفي وتبسمي وبكائي
مزجت بافراحي واتراحي معاً	فكأنها مثلي من الشهداء
وإذا بكيت بها فانك دمعتي	وإذا شدوت بها فانت غنائي
ما فاتها مني الوفاء وفاتها	أرضي لديك وجنتي وسمائي
عاش الطغاة مدى فما هادنتهم	ورحلت ارشقهم بصدق هجائي
كانت فعالي قدوة وعواظفي	نارية وأسلتها كدمائي

★

(١) من شعر المهجر وهي مأخوذة من ديوان « من اشيد الحياة » وهو مخطوطة مطبوع بعد .

وطن الصبا وعزيز احلام الصبا ما زلت لي حالمسا وجلو عزاء  
حملت في شيخوختي اعباء من قبعوا ومن وفاموا على الاقضاء  
وتخذت لي منفاي منبر دعوة للثأر من ضيم ومن أدواء

★

ونحب ان نختم هذه المختارات بقصيدة غناها قبل وفاته بعام وسماها  
( فلسفتي ) وفيها يقول :

شربت فلسفتي من نبع الآمي وما برحت أغني زائراً أبداً  
كأن دمعي اناشيد قد احتبست وان حسدت كأن البؤس لي شرفاً  
انا الضعيفُ ولكني الغنيُّ على اياك اياك يا نفسي مهاندة  
معنى الحياة ابتسام لا يفارقها عابو الحقيقة في شعري وما سكنت  
ماسفٌ يوماً وان يجهد من جهلوا  
وقبلها عب منه قلبي الدامي كأن آلام قلبي لتسن الآمي  
حتى تراق على قدس انعام وكل اهل الغنى في البؤس خدّامي  
نفسي اذا النفس لم تعباً بأحكام للظلم او فاقبمي في سجن ظلام  
وان أحيطت يجذب غير بسلام سوي الحقيقة اسمي شعري السامي  
ان الحياة تعالت فوق احلام

\*\*\*

# بشارة الخوري

الأخطىل الصغىر

سيرة  
مخمار الاز من آثاره

بقلم  
أديب مروء



## حياة

- ١٨٩٠ - ولد الشاعر بشاره الخوري « الاخطل الصغير » في بيروت ،  
لأب طبيب هو الدكتور عبدالله الخوري وأم من آل نعيم .
- ١٩٠٢ - ادخل « المدرسة الارثوذكسية الاكليريكية » في بيروت ، بعد  
تعليم ابتدائي بدائي ، وكان التلميذ « الماروني » الوحيد في  
هذه المدرسة حيث تتلمذ على الشاعر شبلي الملاط .
- ١٩٠٤ - بعد اقفال هذه المدرسة انتقل إلى « مدرسة الحكمة » التي كان  
لها الفضل في تنشأته ادبياً وعربياً .
- ١٩٠٦ - قصد مدرسة « الفرير » للتضلع بالفرنسية حيث مكث بهاسنتين .
- ١٩٠٨ - أسس جريدة « البرق » بمناسبة اعلان الدستور العثماني هذا  
العام ، وقد أصبح اصدار الصحف حراً .
- ١٩١٤ - احتجبت « البرق » عن الصدور ، ولجأ الشاعر إلى الجبسال  
متخفياً من ملاحقة السفاح جمال باشا .
- ١٩٢١ - استأنف اصدار « البرق » حتى عام ١٩٢٨ يومية سياسية ،

وقد جعلها مندباً للشعر والأدب والمحلات السياسية على الانتداب،  
وفي عام ١٩٢٨ حولها إلى مجلة أدبية اسبوعية ، وظلت تصدر  
حتى عام ١٩٣٣ حين عطلها الفرنسيون بسبب قصيدته في رثاء  
الملك فيصل الاول التي القاها في بغداد .

١٩٢٧ - انتخب نقيباً للصحافة اللبنانية .

١٩٣٢ - عين عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق .

١٩٥٢ - اصدر أول ديوان شعري له بعنوان « الهوى الشباب » .

١٩٦١ - احتفل بمرجبان تكريمية في بيروت حيث بويج بامارة الشعر  
العربي ، وقد صدرت له في هذا العام مجموعة شعرية بعنوان  
« شعر الاخطل الصغير » ضم معظم قصائده واشعاره . وله  
مؤلفات اخرى معدة للنشر ، منها : « من بقايا الذاكرة » ،  
و « كبار واصفياء » و « بين الشعر والسياسة » .

١٩٦٨ - توفي عن عمر يناهز الثانية والسبعين .



## تمهيد

حظ الشاعر - أي شاعر - بالخلود منوط بمدى تعبيره عن حياة أمته ، بما في هذه الحياة من مظاهر اجتماعية أو انفعالات عاطفية أو نوازع فكرية أو أماني وطنية أو أحاسيس جمالية ... فيصوّر بشعره كل ذلك ، ويبرز بقصائده أوتار القلوب فيستهوي الأفتدة ويستوي على الأذهان ، ويترجم بفنه مشاعر عصره بصدق وإبداع .

تلك هي ، بصورة عامة ، مهمة الشعراء الخالدين في كل عصر ومكان ، ويستوي في ذلك الكتاب والفنانون والموسيقيون والفلاسفة والمفكرون .. والاختلاف بينهم يكن فقط في عمق التفكير ، وفي طريقة التعبير ، وفي شكل الأسلوب والتصوير ، حسب تفتق عنه عبقرية كل منهم .

ونحن الآن أمام شاعر لبناني فذا هو بشارة الخوري « الاخطل الصغير » وقد خلّف لنا طول بحياته رصيذاً ضخماً من الانتاج الفني الذي يعتبر ثروة غنائية ثمينة ، عالج فيه مختلف مظاهر الحياة ، فهل أدى مهمته على الوجه الاكمل ؟ وهل استطاع أن يعبر بصدق عن حياة أمته ؟ وهل يؤهله انتاجه حسب التحديد الذي شرحناه للخلود ؟

هذا ما سنحاول الاجابة عنه في هذه الدراسة بعد تحليل تراث الاخطل الشعري ، وسير اغوار شاعريته الخصبة ، ودرس مصادرها ومظاهرها ،

وسنعرض مختلف جوانبها ، ونعطي صوراً عن شتى تعابيرها\* وخوالجها ونقف عند تجاربهها والوانها وقفة النقد المنصف الدقيق لا وقفسة المجاملة او الاجحاف متوخين الصدق والامانة والاخلاص ، ملحين بجميع العوامسلى والظروف التي كوئت من صاحب موضوع هذه الدراسة شاعراً علماً يعتبر عن حق رائداً دون منازع من رؤاد الشعر العربي في النصف الأول من هذا القرن ، ويهنا قبل ان نعالج الوان شعره وفنونه ان نلم بيئته ومحيطه وتأثيرها في شعره :

### بيئته ومحيطه

تفتحت عينا بشارة الخوري على الحياة في بيت علم وادب وثقافة ، فوالده الطبيب عبدالله الخوري كان يجمع في سهراته غالباً بعض الاصدقاء ممن ولعوا بالشعر والادب ، ويتقارلون القريض ويتبادلون منظوم القول في مسا بينهم ويروونه في مجالسهم . وكان شقيقه الاكبر الدكتور يوسف الخوري ( وهو أيضاً طبيب كوالده ) يتذوق الادب ، وقد اقبل على الاشتراك بمعظم المجالات الادبية التي كانت تصدر في مطلع هذا القرن . ولا غرو ان اطلق الناس على هذا البيت الذي ولد فيه الشاعر ونما وترعرع « بيت الحكيم » ليس نسبة الى الطب كما هو متعارف في لغة اهل لبنان الدارجة ، بل نسبة الى الحكمة والمعرفة حسب اعتقادنا ، على اعتبار انه كان مقصد رواد الثقافة والعلم في عصر كان المتعلمون والمثقفون فيه قلة نادرة ، هذا الى جانب كونه محجة طالبي الشفاء وسائلي الدواء .

وفي مثل هذا الجو اتيسح لبشارة الخوري منذ نعومة اظفاره أن تترن

القوافي في أذنيه ، وتتجاوب نفسه الرقيقة ، وان يرى في الشعر مظمحاً تنزّه  
اليه نفسه ، ووسيلة تحرك اوتار قلبه ، وغاية تتحفز اليها كوامن رغباته ،  
نظراً لما كان للشعر في تلك الايام من قيمة تبعث على الاعتزاز ، ولمسا كان  
للشاعر من قدر كبير في نفوس الناس ، واذا به ينكب على مطالعة كل ما  
تقع عليه يده من كتب مفضلاً غالباً القديم منها<sup>(١)</sup> ويصغي الى اشعار الادباء  
في سهرات ابيه ، ويتتبع تطور النهضة الادبية والشعرية في مجلات اخيه .

وكانت البلاد العربية ، ومن بينها لبنان ، تعاني في مطلع القرن الحالي من  
جور العثمانيين واستبداد السلطان الطاغية عبد الحميد الأمرين ، وقد مرت باقطار  
العرب فترة انتقال صعبة دقيقة ، لا سيما بعد ان اخسدت انتفاضة النهضة  
الحديثة ، التي بدأت ثلاثينياتها مع بداية القرن التاسع عشر ، تعم معظم مرافق  
الحياة ، وتشمل جميع الميادين من سياسية واجتماعية وأدبية . ولكن هذه النهضة  
لم تكن لتلقى مداها الرحب المنطلق ، نظراً لما كانت تصطدم به من عنت السلطات  
العثمانية ومن كبت التقاليد الرجعية ومعارضتها لكل حركة ناهضة ، ومن  
خنت الحكام لكل فورة وطنية . ومن هنا اشتدت اللحمة بين كل قطر عربي  
وآخر ، وقد جمعت بينها المصيبة ووحدت اواصرها عوامل الاضطهاد والقمع  
وبات كل صوت داو يرتفع في اية بقعة من بقاع العرب يتردد صدها في جميع  
الححاء ديارهم .

### الجو الشعري المحيط به

وهكذا أفاق شاعرنا في مثل هذا الجو على دنيا العرب ، وقد طغت  
احداث الشعراء الكبار فيها على ما عداها ، . اح الناس يتداولون نقشات

---

(١) كان كتاب « الأغانى » زاده الرئيسي في اكثر مطالعاته كما روى بنفسه .

قرائحهم وكأنها تعبر عما في نفوسهم من شتى المشاعر : ففي مصر كان هناك صوت شوقي ، يسجل الاحداث العظام ويتغنى بأبجاد العرب ، فتتلقف قصائده الاسماع والافواه حتى سما بالشعر الى أوجيه ، وجعله اللسان الامثل المعبر عن خواطر الوطنيين والمثقفين ، وكان هناك محمود سامي البارودي الذي ادرك مطلع هذا القرن وظلت أشعاره حية تتناقلها الصحف والمجافل ، واسماعيل صبري ، وحافظ ابراهيم ، وخليل مطران... وكان في لبنان الشيخ ابراهيم المنذر والشيخ ابراهيم اليازجي وشبلي الملاط ... وكان في العراق الرصافي والزهاوي والكاظمي وفي سوريا كردعلي وخليل مردم وبدر الدين الحامد .

وجميع هؤلاء اعدوا للشعر العربي مجده ورفعته وكانوا أصحاب موهبة فياضة ، وقريحة لا تنضب ، وقد بدوا كأنهم اعمدة شوامخ في تاريخ الشعر العربي الحديث لا يقلون أصالة وقيمة عن ابرز شعراء العرب الاقدمين امثال المتنبي وابي تمام والبحثري وابي العلاء وسواهم .

ويمكن القول ان نهضة الشعر لم تماش قفزة النثر الا في مطلع القرن الحالي بعد ان سبقتها هذه الأخيرة ببعض العقود من السنين .

وما ان انطلقت نهضة الشعر حتى طفرت طفرة عظيمة ، وقد ترسم معظم الشعراء بطبيعة الحال خطر الاقدمين وحافظوا على تقاليد الشعر الكلاسيكية مع نزوع في الوقت نفسه الى التجديد والابداع والتوليد وقد اثرت فيهم الرومانتيكية الغربية التي كانت طابع الشعر والادب الحديثين من ناحية والمدرسة الرمزية التي كانت قد بدأت تجل شيئاً فشيئاً كفن جديد في عالم الشعر عند الغرب من ناحية ثانية . وفي هذه الفترة من الخيرة بين الشعر القديم والشعر الحديث ، ظل الأسلوب القديم يجد لنفسه سبيلاً على السنة الشعراء حتى يكاد شعرهم لا يختلف عما جرى عليه الاقدمون من تصوير الوان العواطف التي تمتلج في النفس وما يترقرق لادعائهم من فنون الاخيلة في غزل او تشبيب أو حرقه جوى أو فرقة حبيب

أو في تغير الأيام . وقد تستعار العواطف استعاراً في مدح أو هساء أو ذم أو رثاء ، أو الى غير ذلك من مواضع تلك الأيام (١) .

وكان لا بد للاختل الصغير في مثل هذا المخاض ان يكون ابن عصره . وان يتأثر بذلك المخاض الذي يعانیه الشرق وان ير بتجاربه فيصهرها ويتخذ لنفسه خطأ معيناً منها هو أقرب الى القديم منه الى الجديد ، لا بل استطاع ان يكون مدرسة خاصة به تستفيد ولا تقلد ، ثم توحى ولا تتقيد (٢) .

### انطلاقه وتطور شعره

اجل في مثل هذا الجو بدأت براعم الشعر تتفتح في نخلة بشارة الخوري ، وهو ما يزال على مقاعد الدراسة في مدرسة الحكمة في بيروت ، وقد اشتهرت هذه المدرسة في ذلك الزمن بانها معقل اللغة العربية ، وموئل صفوة من خيرة المعلمين والادباء ، وقد تخرج منها عدد كبير ممن مهروا الأدب العربي الحديث بأنفس نتاج ، وكان من رفقاء بشارة في ذلك العهد الشاعر وديع عقل صاحب « الراصد » والشاعر الناثر جبران خليل جبران .

ويعترف بشارة الخوري هنا انه كان يلجأ في تصحيح منظوماته الاولى الى رفيقه وديع عقل الذي كان يسبقه بصف أو صفين .

وبطبيعة الحال ماذا ينتظر من شاب مراهق مثله أن ينظم حينئذ سوى في مواضع الغزل والتشبيب والصبابة وتقديس الهوى والجمال . وهكذا بدأ شاعرنا بالغزل وظل يغزل فيه طوال حياته ، حتى أصبح أغنى شعراء الحب

---

(١) الفصل في تاريخ الادب العربي - الجزء الثاني .

(٢) ادوار امين البستاني ( مقال في العدد السابع من المعارف ) .

ثروة وعطاء ونتاجاً ، وارفعهم ذروة واوفرهم تفنناً ، فلقب عن جدارة  
« بشاعر الهوى والشباب » وكان الحب جزء من طبيعته ظل يتوهم به حتى  
اواخر قصائده .

ولعل لتكوينه الجسماني ، ورقة طباعه ، ورهافة حسه ، ودقة مشاعره ،  
ولطف شمائله أثر بالغ في ترنمه بالجمال وهوايته الغزل ، واندفاعه في حب  
المرأة . وانكبيته على المحنة والتغني بها ، حتى يخيل لمن يعرف بشاره الخوري  
شخصياً انه يعيش شعره أو ان شعره يشف عما في جسمه من رقة ونحول<sup>(١)</sup> .

ولا غرو اذن من كانت نفسه شفافة كجسم شاعرنا رقيقة لاجرة كما يتم  
عليه مظهره الا ان يكون رقيق الاحساس مغمم بأدق المشاعر عاش طول  
حياته متأثراً بما حوله من هموم ومشاكل عصره ، وألا يلقي الهنساء الذي  
ينعم به عادة اولئك اللاأباليون الجامدون الاحساس ، الغليظو المشاعر . وفي  
ذلك ما اصدق ما يقول بهذا الصدد :

(١) من احسن ما وصف به شخص الشاعر بشاره الخوري هو ما ديجته راعة الكاتب اللبناني  
يوسف غانم في كتابه « مشاهد الرجال » نقله هنا لتوفيقة في عرض ملامح الشاعر عرضاً رائماً  
بليغاً :

« هو كالطيف في الحلم ، تكاد لا تتلمس معاله ورسومه ، قليل الظل خلا ما نفي عنه الرداء  
الخير .

يمر في شخصه الضئيل مرور النعامة افرغت ماها ، فحف جسمها ، فاسرعت في جرحها ،  
فاذا انت امام قامة كمود القناة بدت كمويها ، قامة لا تحمل حجياً لعظمها غير اهابها ، وترى  
فيها توتراً وانحناءً كقوس البيض الرامي عنها فانطلقت تبالها .

ويروي اليك برأس ريش الثلج شعره الكثيف بوابل من ذراته ، فكساه بالبياض فتخال انك في حضرة  
شيخ اخنت عليه الايام والسنون ، فلم تبق ولم تذر ، ولكن خفة حركته ، وهي من خصائص  
غرائق الغتيان تطرد عنك هذا الخيال ، بل يطرده بريق عينيته من وراء الناظر يحمل شهوة الشباب  
وتشاطه ، وتهبط معه آيات النبوغ والعبقرية ... » .

عشت شقيتاً ولم أبال      ولم يمر الهنا ببسالي  
اعطل النفس في نهاري      والزم الدرس في الليالي  
رق شعوري فرق جسمي      ورق ديني ورق حالي

### شاعر الغزل

لقد قلنا ان شاعرنا بدأ بالغزل وظل طابع الغزل مسيطراً على الكثرة الساحقة من شعره بما فيها حتى تلك التي شملت موضوعات شتى من وجدانية وسياسية ووطنية وفلسفية وتسجيل احداث ، وهو في كل ذلك يستهل بالغزل معظم الاغراض حتى الرثاء ، ويقتنن غزله بوصف الطبيعة أو وصف تحوله مع نزعة خفية من الانفة والاعتزاز .

ولا يخفي بشارة الخوري نفسه تأثره بالبهاء زهير وعمر بن ابي ربيعة اكثر من غيرها من الشعراء القدماء . وهذا عائد الى ان شعر هذين « الغزليين » قد لاقى في نفسه هوى مقيماً ، وتجاوباً عميقاً وهو ما زال في مطلع الصبا ، مما جعل شاعرنا يقتفي اثرهما وينحو نحوها بأسلوب عصري جديد ، ويحلي في هذا الميدان الذي جليا فيه لا بل ويبيد فيها اكثر الاحيان ، ولنا عودة لتحليل شعر الحب والجمال والطبيعة والحجرة في الفصل المخصص لذلك من هذه الدراسة .

### اول الغيث

وهكذا نرى اولى قصائد الشاعر التي بدأت تطلع على الناس ابتداء من عام ١٩١٢ عبارة عن لوحات شفاقة من الغزل والصبابة والتشبيب الرقيق المبدع الذي يضرب على اوتار قلوب المحبين ويدغدغ مشاعر العشاق المولهن بعبارة الجمال ، كقصيدة « بلفوها اذا اتيتم حايها » ، وقصيدة « وقفة ايها

القمر نتشاكى » . وكلا القصيدتين شاعتا على الشفاء والالسن شيوع النار في  
الهشم لا سيما بعد ان جود في تلحينها المغنون وتناقلها المنشدون والمطربون<sup>(١)</sup>.

ومن هذه الناحية يكون الاخطل الصغير قد بدأ حياته الشعرية ناظماً ما  
يتغنى به المطربون فيدا قويا سامقاً ، عالماً ببيكولوجية الشعب ، مدر كاً أهمية  
« الجنس » في حياة البشر فما لبث ان اشتهر بسرعة البرق ، واستمع الناس  
لقصائده الأولى وكأنهم يستمعون الى شاعر كبير ملهم عريق في دنيا القريض  
تتناقل شعره الركبان وتحدو بقصائده القيان .

### بين الشعر والصحافة

بيد أنه ما إن اخذ يشدو الشعر ويعرف كشاعر ذي باع طويل في دنيا  
القوافي والنظم ، حاملاً ذخيرة عارمة من الالهام والعبقرية ، مطلقاً قريحته  
على مداها بالقصائد العذاب ، حتى استهوت الصحافة ، وهو ما زال فتى لا  
يكاد يتجاوز العشرين ربيعاً . فاغتم فرصة اعلان الدستور العثماني في ايلول  
سنة ١٩١٨ واطلاق حرية اصدار الصحف دون قيد أو عائق . وأسس  
جريدة « البرق » التي ما لبثت ان اشتهرت بسرعة وقد غلب الطابع الادبي  
عليها رغم مطامح صاحبها السياسية والقومية .

ولحن هنا وان كنا نتوقف قليلاً عند هذه الناحية من حياة شاعرنا مع  
اننا لسنا في مجال بحث نشاطه الصحافي ، فذلك لان عمله كصحافي قد خدمه  
كثيراً كشاعر ، ولان الصحافة فتحت أمامه آفاقاً بعيدة على العالم العربي ،  
فشجعت قريحته ، وجعلته يتفوق على نفسه في ميدان الشعر اكثر من تفوقه  
في ميدان صاحبة الجلالة السلطة الرابعة .

---

(١) قصيدة « بلغوها اذا اتيم حاما » غنتها مطربة ذلك الزمان منيرة المهديّة بمصر .



واننا نجد أيضاً ان الصحافة كانت لديه بمثابة هواية اكثر منها مجرد حرفة . لان العمل الصحفي يصرف عادة صاحبه - نظراً لما فيه من متاعب مادية ومشاكل دائمة - عن ممارسة الانتاج الادبي ، لا بل ويقتل موهبة الاديب والشاعر اذا كان من يخوض غماره شاعراً أو ادبياً . فلطالما رأينا ادباء وشعراء استهوتهم الصحافة فتحولوا عن مواهبهم الأولى واصبحوا كتاباً آليين لا تدع الصحافة لهم مجالاً لأي انتاج فني مستقل ، والامثلة على ذلك أكثر من ان تحصر . الا ان هذه المهنة كانت على العكس بالنسبة لبشارة الخوري ، فتحولت على يده الى ادارة للتعبير عن نفثات قريحته الفيضة التي خلقت فيه ، ووسيلة لاشعال جذوة الانتاج والابسداغ الشعري في نفسه ، حتى لكأنه صاحب رسالة في دنيا الشعر ، وكانت الصحافة عنده كجهاز يحفزها على نظم ارواح القصائد وقد أرسل على الدهر خلال الفترة التي اصدر خلالها « البرق »<sup>(١)</sup> قم اشعاره وخوالد منظوماته .

ومن هذه الناحية يكون بشارة الخوري من الادباء القلائل الذين لم تقتل الصحافة فيهم موهبتهم الاصيلية ، ولم تضعف زخيمهم الادبي في الانتاج بل كان ممن استطاعوا أن يخضعوا للصحافة لما قدر لهم ان يكونوا ، ولما كتب عليهم ان يؤدوا من رسالات . وهكذا رأينا الشاعر بعد تعطيل البرق نهائياً لا يحاول اصدارها ثانية ، بل يودعها غير آسف لكي ينصرف الى معاطاة النظم وحده ، بعد ان قبوا في ميدان الشعر مركزاً يحسد عليه .

---

(١) تأسست « البرق » في ايلول ١٩٠٨ ، ثم عطلت عام ١٩١٢ فاستعاض عنها صاحبها بجريدة « صدى البرق » ولكن ما لبثت أن استأنف اصدار الأولى حتى عام ١٩١٤ حيث قضت الحرب على معظم الصحف ، وفي عام ١٩٢١ أعاد اصدارها جاعلاً منها منبراً لشعراء وادباء العرب وسوطاً وطنياً يلهب ظهور المستعمرين . وظلت تصدر حتى عام ١٩٣٣ حين عطلها الفرنسيون بسبب قصيدة الاخطل في رثاء الملك فيصل الأول .

## لماذا الاخطل الصغير ؟

بعد هذا التطواف في المدى الرحب الذي خلقه شاعرنا خلقاً عبقرياً ، يطيب لنا ان نعرف لماذا لقب « بالاختل الصغير » . كانت الحرب العالمية الاولى - والكلام هنا مستوحى من ذكريات الشاعر نفسه - ثم كان عهد جمال باشا في سوريا ولبنان ، وهو عهد النفي والمشنقة ، بل عهد الارهاب بجميع اسبابه وانواعه ، وانطوت الاعوام بعد الشهور على حالات شتى من اليأس ، ومفاجآت مفعمة بالخوف حتى كان تموز من عام ١٩١٦ ، فاذا شاعرنا مطمئن قليلاً الى نفسه ، يأنس كثيراً بكتبه بعد طول وحشة وأليم غربه ، لقد كان هو وجميع الناس يتنسمون الاخبار عن البادية حينما وعن البحر حينما آخر ، ولا يدرون ايندركهم السلم وفيهم رمق من حياة . وكانت الحاجة ماسة الى اثارة الخواطر في البلاد تعجيراً ليوم الخلاص وهو كل أمنية البلاد العربية في ذلك العهد . ولم يكن ليجرؤ احد ولو في الحلم ان يرسل في ذلك قصيدة يترجع صداها . . . وكان يعجبه من الاخطل خفة روحه وابداعه في اصطیاد المعاني يقودها ذليلة الى فصیح مبانيه ، وقوق ذلك . كان الاخطل الشاعر المسيحي الفذ الذي تفتحت له ابواب الخلفاء ليملاًها لذة وطرباً وأدلالاً بل يملأها ذلك الشرف الذي لا يبلى والمجد الذي لا يفنى . . فرأى بشارة الخوري وهو يدعو للدولة العربية وموقفه منها موقف الاخطل من دولة بني مروان ، ان يدل على حقيقة الشاعر المتنكر ، فلم ير « كالاخطل الصغير » يوقع به ما كانت تقطره القرية المتألمة .

## مراحل شعره

قد يكون من الخطأ في دراسة شعر بشارة الخوري ان نتمدد على التقسيم التاريخي للتطورات الزمنية التي مرت بها قصائده واشعاره ، وان كانت آثاره

الشعرية قد مرت من هذه الناحية بثلاث مراحل تاريخية محددة :

الاولى - تمتد من عام ١٩١٢ حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ( واذا كنا قد اتخذنا من هذا العام « نقطة الانطلاق » فذلك لأنه لم يعرف للاختلص الصغير قبله شعر مسجل محفوظ، اللهم سوى بعض النفثات البدائية والمحاولات الغنائية - مما هو طبيعي في مطلع صباه - لم يرض الشاعر عنها في ما بعد كما يبدو فأهملها ولم يشبها في ديوانيه اللذين صدرا حتى الآن ) . ومهما يكن فان حكننا على شعره يبدأ من هذه المرحلة بالذات ، وقد طغت عليها قصائد الغزل والتغني بالجمال والطبيعة وما يشمل ذلك من وجد وصبابة الخ... غير انه تخللت هذه الفترة بعض القصائد الاجتماعية والوطنية التي تصور ما مر ببلبنان وبلاد العرب من احداث ومشاهد، وما تركته الحرب من آثار وويلات في النفوس .

والثانية - تشمل فترة ما بعد الحرب الأولى حتى مطلع الحرب العالمية الثانية وتعتبر هذه المرحلة من اخصب مراحل حياة الشاعر انتاجاً . وقد نظم خلالها قلائد شعره وابدع منظوماته . وفيها غنى العروبة والوطنية فوق منابر شتى العواصم العربية . كما اتجج ارق قصائده الغزلية الغنائية واشهرها .

والثالثة - تتطلق من الحرب العالمية الثانية الى أخريات أيامه، وفي هذه المرحلة دخل الشاعر عهد الكهولة وقد تقدم به السن فأصبح مقلاً في النظم خلال الفترات التي دعي فيها الى المشاركة في مناسبات عامة . فاذا هو يظلل محافظاً على مستواه الشعري الرفيع محتفظاً بطابعه الشعري الراقى . حتى ان شعره في هذه المرحلة لا يقل قيمة مطلقاً عن شعر سائر مراحل حياته ان لم يكن يفوته ويتعداه فضوحاً وكالاً وحرصاً على دقة الصنعة .

وبطبيعة الحال لا يمكن للناقد أن يعتمد هذا التقسيم التاريخي لدراسة شعر الشاعر ، ولذلك نعد الى تقسيم شعره على أساس المواضيع التي طرقها واشتهر

بمعالجتها ، والآفاق التي حلتى فيها وابدع ، والفنون المختلفة التي وقف  
التاجه عليها .

ومن هذه الناحية يمكن تقسيم اشعار بشارة الخوري الى ثلاث فئسات  
ايضاً . اولاً - الشعر الوجداني العاطفي ، ويدخل في ذلك الغزل ووصف  
الطبيعة والحريات . ثانياً - شعر الاحداث الاجتماعية ، وتصوير الانفعالات  
العامة ويدخل في ذلك شعره القصصي وحكمه وامثاله . ثالثاً واخيراً - شعر  
المناسبات الوطنية والسياسية ويدخل في ذلك تسجيله بعض الاحداث التي  
هزت لبنيان أو العالم العربي . ومراثيه ومدائحه التي قيلت اغلبها في أديب  
أو وطني أو صديق . ثم نخلص من ذلك في ختام هذه الدراسة الى الدور  
الذي قام به في الشعر العربي المعاصر .

\* \* \*

### شعره الوجداني العاطفي

لم يبائع قط اولئك الذين اطلقوا على الاخطل الصغير لقب «شاعر الهوى  
والشباب» فهو بحق يعتبر اغنى شعراء العرب المعاصرين تغزلاً بالمرأة وتعبيراً  
عن خوالج القلوب وخلجات النفوس الشابة المتعطشة الى الحب والمتعة . وجميع  
اشعاره تقريباً صادرة عن عاطفة جياشة وحساسية فائقة الحد، وإن كان الشعر  
في الأصل هو تعبير من الشعور، فإن شعور بشارة الخوري كان منتجاً بكليته  
في جميع عهوده نحو الغزل والتشبيب ، حتى انه اتبع في اغلب الاحيان  
اساليب الأقدمين من اقحام الغزل في مطلع كل قصيدة وفي كل موضوع حتى  
ولو كان الموضوع رثاءً وبكاءً وتأسياً على فراق كبير عزيز .

وما زال الكثيرون يذكرون مطلع قصيدته الشهيرة في رثاء الزهاوي كيف  
بدأها بغزل طروب مغنّاج قد يتنافى مع روح المناسبة ، ولكنه عدّ في ذلك

الوقت تخلصاً بارعاً من ابداع ما انتجته قرائح الشعراء... واسمعه يقول  
في الزهاوي مترنماً ببغداد :

قولي لشمسك لا تغيبني      وتكبدي فلك القلوب  
بغداد يا وطن الجهاد      ومرضع الادب الخصب

ويضي في وصف الفرات ودجلة ، النهرين الشاعرين ، ويستعيد فيها اعراس  
دارا ، ومحافل الرشيد وصور المجد « بين الأشعة والطيوب » الى ان يقول :

بغداد يا شغف الجمال      وملعب الغزل الطروب  
بغداد ما حمل السرى      مني سوى شبح مريب  
جفت له الصحراء والتفت      الكئيب إلى الكئيب  
وتنصت زمر الجنادب      من فويجات الثقوب  
يتساءلون وقد رأوا      قيس الملوّح في شحوبي  
والتمتات على الشفاه      مخرجسات بالنسيب  
تبكي لها قبل الصبا      ويدوب فيها كل طيب  
يتساءلون من الفتى      العربي في الزي الغريب

ولا شك بأن ما في هذا الشعر من التشبيب اللاعج والنسيب الرقيق والاناقة  
في التعبير والغزارة في الصور ، والصدق في المشاعر، وانتقاء الالفاظ السحرية  
ما يبعثك عن غرض القصيدة . ويملكك تعباً معه هذا الخصب في الفن الذي  
يقدمه بين يديك .

ذلك هو على العموم معظم شعر بشارة الخوري العاطفي الوجداني ، مقم  
بالصور والجمال ، والتغزل بالمرأة والطبيعة وكل ما هو فائق جاذب في هذا  
العالم المشبع بالجماليات التي لا تحصى ولا تعد انواعها .

ويمكن القول ان معظم ما نظمه الشاعر في المرحلة الأولى من مراحل شعره التاريخية كان مقتصرأ على الغزل وحده ، وقد طرق معظم أبوابه ووجدد فيها ووشاها بالصور الجميلة والخيالات الراقصة ، وطرزها بالبديع من الاحاسيس والمشاعر الطروية الغناء . وهو مع تقيده بأساليب القدماء الا انه كان مجدداً الى حد ما ، لا متطرفاً مغالياً في التجديد، ولعل لاطلاعه على الادب الغربي تأثيراً بالفسأ على تجديده في شعره الغزلي وتساؤره بالمدرسة الرومانتيكية اكثر من غيرها .

### ترجماته

وفلاحظ ان الشاعر كان في مطلع عهده ما يزال يتلمس طريقه كجميع الشعراء الناشئين بدليل انه تأثر ببعض الشعراء الفرنسيين الرومانتيكيين ، ولم يصمد امام الشغف بهم حتى نقل كثيراً من صورهم لا بل اقساماً قائمة بذاتها من شعرهم هذا الى جانب القصائد التي ترجمها ترجمة تكاد تكون حرفية . ويقول صلاح لبكي في ذلك<sup>(١)</sup> : «ولكن بشارة الخوري الذي بدأ يقرض الشعر سنة ١٩٠٩ على هذا النحو ما لبث ان عكف على مطالعات اجنبية خلبتة ، فعرّب قصائد كثيرة ، وقد تكون هذه المطالعات هي التي صرفته إلى نحو آخر من الوصف : إلى وصف اللواعج ومسا إليها من حنان وعطف ورضى وغبض » .

ومن اجل قصائده التي ترجمها في ذلك العهد قصيدة « ماذا أقول له »  
لترلنك :

ماذا أقول له إذا رجعا يوماً ولم يبصرك في القصر  
ماتت عليه أمي أجيبه

(١) لبنان الشاعر لصلاح لبكي ص ٨٤ .

انها الحبيبة التي تتحدث إلى وصيفتها ، وقد أشرفت على الموت عشقاً  
لذلك الفتى البعيد ، في جو خيالي يعيدها إلى جو القرون الوسطى ، وتظل  
الفتاة تتناهى في الرقة والعطف وانكار الذات في سبيل الحبيب حتى تبلغ  
روعة قولها في البيت الأخير :

وإذا اراد بأن نسير معاً      للقبر كي يبكي على القبر  
رحمك ان الدمع يؤذيه

ولعل ما امتاز به الاخطل الصغير في ترجماته انها كانت من الشعر العربي  
الفصيح الذي لا يمكن لأحد ان يخال انها معربة . ومن الشعراء الذين عرب  
هم عن الفرنسية : سولي بريدوم ، ومترلنك ، والفريد دي موسيه ، ولويس  
براييه وسواهم ممن لم يذكر الشاعر اسماءهم مكثفياً بالإشارة في بعض قصائده  
الترجمة انها « مقتبسة عن الفرنسية » أو أنه يضمن المترجم منها في قصائده  
الطوال مع وضعها بين ملالات . والسر في هذه القصائد كما قلنا ان الشاعر  
حافظ فيها على حسن ديباجته العربية الجزلة وعلى أسلوبه البليغ ، ونفسه  
العاطفي الجامح الذي بدأ يطبع به منظوماته الأولى ، وأصبح يتميز به في  
ما بعد في سائر اشعاره .

ولكنه ما أن سلس له قياد الشعر حتى اقلع عن الترجمة وانصرف إلى  
الاتجاه الشخصي الصرف يفرغ فيه حشاشه قلبه ونفثات افكاره ويمهر عن  
انطباعاته الخاصة وحدها . وقد بدأ حياته تجتذبه اللذات ويسحره الجمال ،  
فينصرف إلى الغزل دون سواه :

قلب تمرس بالذات وهو فتي      كبرعم لمست الریح فانفتححا

ولم يكن همه من يومه سوى انشاد الحب والعزوف عن سائر هموم الحياة ،  
شأنه في ذلك شأن اكثر قتيان ذلك العصر ، وربما كل عصر :

ما ضني ولسان الحب يهتف بي إذا تبسم وجه الدهر أو كلحا  
وهو في ذلك يجعل من المرأة قبلة شعره وكأنه مبعوث العناية الالهية إلى  
دنيا المهبين لكي يجد جمالها ويتغنى بها قائلاً :

أنا ناي الهوى الذي اخترع الله وانتِ الفريد من انشادي  
حتى لكأن الشعر ما وجد الا للتغزل بالحسن ، أو ان الحسن لا قيمة له  
لولا الشعر :

ما الحسن لولا الشعر الا زهرة<sup>١١</sup> يلهو بها في لحظتين النظر .  
ولكنه ما يلبث ان يتبرم بالهوى والجمال لعله تبرم المغناج المدلال :  
أنا العاشق الوحيد لتلقى تبعات الهوى على كفتي ؟

ومع ذلك قد يستغرب قارئ اليوم ما في هذه المرحلة من شعره من مظاهر  
بدائية ومعان قد تبدو احياناً ساذجة يججها ذوق العصر الحاضر ، وان كانت  
تعبر في حينه عن روعة في النظم ، أو طراز مبدع من القريض المحب المألوف  
كقوله في قصيدة :

آه يا هند لو ترين موقفي بين حائطين<sup>١٢</sup>  
لا بغيران أخرسين وعلى الخند دمعين

لو ترين

انصف الليل لا أنام كلهم كلهم نيام  
وانا يشهد الغرام بعث للسهد ناظرين

غالين الخ . . .

ومع ان قارئ اليوم قد يجد في هذا الشعر عبارة عن « صف كلام »  
اقرب ما يكون إلى الزجل البسيط منه الى الشعر الرفيع الا انه بلسغ من

(١) ديوان الهوى والشباب ص ٤٥ .



إعجاب الاوساط الادبية في ذلك العهد بهذه القصيدة جداً ان جريدة «السائح»  
التي تصدر في نيويورك نشرتها وطلبت الى الشعراء معارضتها فعارضها كل من  
الشاعرين القروي وندره حداد (١) .

غير ان ذلك لا ينتقص من شاعرية «الاخطل الصغير» الغنائية التي  
اتسمت بالروح الرومانتيكية ، وقد تأثر بها الاخطل تأثراً كبيراً ، وهي  
تتجلى في مظاهر شتى تبرز في مختلف شعره الوجداني العاطفي :

— منها ولعه بالطبيعة يزوج بها في كل موضع حتى في الرثاء ويمزجها مع  
الغزل في انصهار سحري بديع .

وقد بدا الاخطل هنا مفتوناً بالصور الجميلة والتشبيهات المستعارة من  
احضان الطبيعة فيطلقها على اوصاف الحبيبة :

حملت كل روضة أجل الزهر      وصاغت منها لبيدك عقدا  
وانفتدي كل جدول يتغنى      وانبرى كل بلبسل يتصدى

فاذا شعره تموجات ينبوع رقرق ، ورياض تتضوع بالشذى والرياحين ،  
تصدع فيه البلابل والاطيار والازهار والاضواء والظلال ، ويمور بالنسدي  
العطري والانسام اللاعبة ، يصطبغ الفجر فيسه بالرؤى والأحلام الى آخر  
ما هنالك من صور واوصاف تضح بالحياة ، وتصخب بالحبور والاشراق ،  
فتبعث المتعة في النفوس ، وتدغدغ المشاعر وتنقل القاريء الى جو شعري  
عابق بالجمال ينضح بالصبا والربيع والشباب ، ومحور كل ذلك حوار الفاتنة  
يغنيها بأسلوب يهز اوتار القلوب ويحرك الوجد الدفين . كقوله مثلاً يصف  
هنسداً :

(١) ديوان القروي والشباب ص ٤٥ .

انت هند تشكو الى امها  
فقلت لها ان هذا الضحى  
وفر قلمسا رآني الدجى  
وما خاف يا أم بل ضمني  
وجئت الى الروض عند الصباح  
لا حجب نفسي عن كل عين ..

— وتتجلى الرومانتيكية أيضاً في شعره الوجداني الذي يعبر به الشاعر  
عن ذاته تعبيراً قوياً ، كقوله :

وإنا الذي غدى الجمال بشعره  
أنا يا ربيع لا أمن ، قصائدي  
وفي تلك السحابة من الأسي والكآبة يتلفح بهسا الشاعر في معظم  
موضوعاته الغزلية ، فيكثر من ذكر الجراح والشحوب والوهن :  
يا ليل قد وشحتني بالأسى ما عشت الا لأطرح هذا الوشاح  
وقد يبلغ به الوجد والصبابة حداً يرى صدر الحبيبة عرشاً فيتمناه نعتاً  
يدفن فيه نفسه :

زهرة الورد صدر هند لك العرش  
أم هو المستطاع يطعم فيه  
فهل تطمعين بعبد بعرش  
زهرة الورد ليت عرشك نعشي  
وتراه هنا يمزج الفرح بالحزن والبهجة بالأسى كقوله :

أيها الليل المفرد في الليل  
أنا أدري بالطير حين تغني  
على كل اخضر ميساد  
كم جراح سالت على الاعواد  
أو قوله :

قالوا الربيع فقلت ما انكرته  
رشف الدموع وردهن تيسما

وهكذا استطاع الاخطل ان يجمع في شعره التيسم والدموع وهما ضدان  
ما كانا ليأتلفا لو لم تتح لهما شاعرية فياضة كشاعرية الاخطل .

- وتمثل رومانتيكية الاخطل ايضا في غزله العفيف العذري الطروب  
الذي تتناقله اصوات المغنين ولا تأنف من ترداده المخدرات ، ولا يخرج عن  
حدود الأخلاق ، وهو لا يتجاوز في غزله القبلات والمداعبات الرمزية :  
ما كان احلى قبلات الهوى ان كنت لا تذكر فاسأل فك  
او قوله :

مر هذه الاطيار أن تشدا فتشدا  
مر هذه الاقمار ان تسجدا فتسجدا  
وبعد فافعل مسا تشا في فتاك  
قشفتاك حسبي ... فماذا تبغني مقلتك ؟

وهكذا تراه لا يتعدى في غزله الشفاه والعيون والوجنات والشعر والنحر  
والنهود ومن أحلى وصفه للعيون :

يا عيوننا اوحى لنا الفراما اجنوننا سقيتنا ام مدا ما ؟  
ومن أرق غزله في الشعر :

انت عسلت ثغرها فقلوب الناس نحل اكامها شفتها  
ومن قوله في الشفاه :

ما للشفاه الكسالى لا تزودنا فقد حملنا على افواهنا القربا  
ومن جميل وصفه للنهود :

وعلى صدرها متى تنهد موجة هزت الصغيرين في المهد  
فاتسربا كمن تخوف شيئا .

أو قوله :

سكر الروض سكرة صرعته      عند العبير من نهديك

واخيراً تراه العاشق المدنف المقتون بالجمال الذي يضحى بكل شيء في  
سبيل هواه على مذبح الحب والجمال وكان الذنب ليس ذنبه ان هو عشق  
وأحب :

قل ان لام في الهوى      هكذا الحسن قد أمر  
ان عشقنا فعدرنا      ان في وجهنا نظر

لا بل هو يتشفع بمباداة الهوى لكي يحول بينه وبين دخول الجحيم :  
ولو ان بعض هواك كان تعبداً      وحياة عينك ما دخلت جهنماً

وقد يطول بنا المقام لو استعرضنا جميع قصائد الاخطل الغزلية ولكننا  
نجد أنه استطاع أن يكتف في معظم اشعاره تأثره بالفزل القديم وبالمدارس  
الحديثة في آن واحد ، وليس أدل على تأثره بالقديم مثلاً من بلحمته الشهيرة  
« عمر- ونعم » التي قالها في امام شعراء الفزل عند العرب : عمر بن ابي ربيعة .  
وقد أفرغ فيها كل إعجابيه بالشاعر فروى قصة هواه بنعمى ، وقد وضع عمر  
في مرتبة تعلو عن قيس بن الملوح وكثير عزة :

لو أنصف الشعر لكنت قبلة      معسولة في ثغره يا عمر  
أو أنصفت نعم وقد أبرزتها      للفتنة الكبرى مثلاً يؤثرو  
في بدعة للشعر لم يحلم بها      قيس ولم ينهد لها كثير

أما من مستحذات الاخطل الصغير فهو ما اخذه احياناً عن الرمزيين  
ليس من حيث الاغلاق في المعاني ، بل في الاكتفاء بالاشارة والتلميح وفي  
الموسيقى المعبرة بجد ذاتها كقوله يشكو مثلاً من تعطيل جريدته البرق في

قصيدته « الصوت موهبة السماء » وقد جعل من نفسه بديلاً :

والغصن والأوراق آذان له      ماذا ترى فيها النسيم يقبب  
وإذا الضحى لمعت بوارق ثغره      نادى بأجناد الطيور تأهبوا  
فسمعت للأطيوار موسيقى على      نغماتها يأتي النهار ويذهب

ولا شك بأن القارىء قد يحتاج إلى شيء من العناية لكي يكتشف خلال هذه الصورة ان المقصود بهذه الأبيات هو تصوير عمل الصحافي الذي التحسذ الفصن والأوراق آذانا له وان النهار يأتي ويذهب على موسيقاه مع كل عدد من جريدته .

ومن أجل رمزياته الغزلية التي لا تقل روعة ودقة عن أساليب الشعر الحديث نموذج ١٩٦١ هذه الأبيات :

قد أذاك بعتذر      لا تسله ما الخبر  
كلهما أطلت له      في الحديث يختصر  
في عيونه خبر      ليس يكذب النظر

لا بل قد يفرق أحياناً في الرمزية حتى تكاد تعتقد أنه من السيربالية الموشحة بالغموض كقوله :

ان تكن أدت أنا وجعلنا الزمنا قطرة في كأسنا

وهكذا نجد أن من أهم خصائص شعره الغزلي دقة الوصف والأفتتان بالطبيعة ، وثأره بالقديم مع أخذه بأساليب الرومانتيكية الحديثة وهو بحق شاعر اللوحة الأمثل ورسام العاطفة المبدع .

خبرياته :

أما خبرياته فهي في الحقيقة صنو لغزله لأنها صادرة عن قلبه وعاطفته وقد

كان دوماً يمزج بين الحب والشراب فتراه إذ يتغنى بجواء يتغزل ببنت الكرملة ،  
أو يستعير تشابيه من هذه فيلصقها بتلك ، حتى يخيل اليك ان الشاعر  
كرّس نفسه للهوى والحمر :  
ولد الهوى والحمر ليلة مولدي

وسيحملان معي على ألواحي

لا بل نجد شاعرنا يصرّ بعناء على أنه ابن بجدة الحب والشراب لا يكل  
ولا يملّ ، ولا يزدجر ولا يتوب ، خفت به وثبة الشباب ام قعد به المشيب  
فيندد بالواهين ويصبح : (١)

كذب الواشي وخاب من رأى الشاعر تاب  
عمره فجر من الح باً وليل من شراب

وهكذا فان الحياة في عرفه هي «صهبا صارخة وليل ضاحي» .

سكرات وما تجرّ فلا النصح بجد ولا الملام بناء

وواضح هنا ان الأخطل الصغير متأثر بالأخطل التغلبي في خمرياته ، لا بل  
هو أحياناً يبذل الأعشى وحتى أبا نواس نفسه الذي تداوى من الحمر بالحمر .  
ولكن يبدو أنه اتبع مذهب عمر الحيام الذي كان يرى في الحياة زجاجة  
من خمر تحت غصن ظليل في قفر ، ووصال حبيب في هذا العمر الجديب ،  
وانتهاب فرض الشراب ، فالغد مجهول الحساب . وفي هذا الغد يقول بشارة  
الخطوري .

لم يكن لي غد فافرغت كأسي ثم حطمتها على شفتيا

(١) عادل الغضبان في مقدمة الهوى والشباب .

ولكنه لم يعض مع الحيام في اغراقه بالسكر والتمني بأن يكفن بأوراق  
الكروم أو ان يدفن تحت دالية من دوالي العنب ، بل اختصر الطريق فعلام  
يتداول الناس موت فبعث ثم موت فبعث وهكذا دواليك ، فنعمة الحياة  
ان يكون العمر كله سكرأ متواصلأ ، وفلسفته تقوم على قطف لذائد الحياة  
قبل ان تدرك المرء منيته .

حكمة الدهر ان نعيش سكارى      فاجعنا لي الكؤوس والأوتار  
فانهب العيش لا أبالك نهياً      واطرح عنك وجهك المستعار  
لست معها عمرت غير جناح      حط في الدوح لحظة ثم طارا

ولكنه قد يشرب الخمر أحياناً لينسى هموم الدهر ومآسي الحياة :  
ادر علينا من الصهباء أفتكها      وخدر العصب المموم بالنعيم  
قد يشرب الخمر من تغلو الموموم به      وقد يغني الفنى من شدة الألم

ولكن مآسي الدهر تجعل الخمرة لا تفعل فعلها فيه فيظل صاحباً مهتماً  
شرب وقد هدمته المصائب والأحزان ، كقوله في وفاة أخيه :  
اليوم يا كأسى شربت بك الأسى      وأدمت ثم عجبت اني صراح

وهو يكب على الخمرة ليجد فيها سلواناً من هموم الحياة ، وكان الصهباء  
هي كل شيء في الحياة يخاف أن يدركه المنى قبل أن ينال منها أمنيته :

واسقني الشهد المذاب      فإذا ولتى الشباب

كل ما يبقى تراب وسراب ...

لا بل هو يمضي في عبثه للخمرة حتى يتمتع السكر فلا يصحو منه أحياناً:  
انا لست أرضى للتدامى أن أرى      كسل الهوى وتشاؤب الاقصاد  
ادب الشراب إذا المدامة عربدت      في كأسها الا تكون الصاحي

إلى أن يقول :

اشتف روحها واعطي مثلها      روحاً واسلم ليلتي لصباحي

وهو في ذلك يشبه أبا نواس الذي يتحدث الصحو بقوله :

فما الغبن الا أن تراني صاحبياً      وما الغنم الا أن يتعممني السكر

وهكذا تحتل الخمرة من شعر الأخطل الصغير مركزاً متعادلاً مع الغزل وقد عبر بها عن عاطفة جياشة واحساس رقيق وشعور مضمخ بأطايب الحياة وملذاتهما ، وكأنه كان يهرب بذلك مما يعاينه مجتمع من آلام ومبائس وشقاء وما تواجهه به الحياة أحياناً من صعاب .

وينصحني الاخوان بالحر أنها      على زعمهم تشفي من الألم الراسي  
فها أنا استشفي بها كل ليلة      ألت تراني أتبع الكأس بالكأس

وبالاجمال فان الأخطل الصغير هو « شاعر الغزل » الأول غير منازع بين شعراء العرب خلال النصف الأول من هذا القرن ، امتاز بالرقة والعدوبة والخيال وبراعة التصوير وهو لم يكن ينتمي إلى مدرسة من المدارس الشعرية التي عرفها الادب العربي القديم كما انه لم يكن يتبع إحدى مدارس العصر الحديث في هذا الفن ، بل كان نسيجاً وحده ، وفناً مستقلاً بذاته ، وصاحب مدرسة تتلمذ عليها الكثيرون .

وهو إلى ذلك مزيج من الشرق والغرب في آن واحد : فيه صورة متطورة لعمر بن أبي ربيعة والبحري والأعشى وابن زيدون ، كما فيه نفحة من موسيه ودي فينبي وهانني وسائر الشعراء الرومانتيكيين عند الغرب . ذلك ان الأخطل قد ظهر في حقبة من الزمن كان يطيب فيها للناس اللون الشعري لعمر بن أبي ربيعة واللون الشعري لألفريد دي موسيه ، فتعانق



الاسلوبان وانصهرا في بوتقة شاعرية الأخطل الصغير ، لا سيما وان العصر الذي جاء فيه بشاره الخوري كان عصرأ تتغلب فيه العاطفة على الفكرة فوجد شعره ذاك المدى الغنائي الرحب الذي لم يعد بإمكانه ان يتابع سيره بشكله السالف في عصر أخذت الفكرة فيه تحتل مكان العاطفة .

### شعره الاجتماعي

كان لا بد لنفس حساسة لاجعة متوثبة رقيقة المشاعر كنفس شاعرنا الأخطل من أن تتأثر بما حولها من أحداث اجتماعية وان تنور على ما يحيط بها من أوضاع بائسة مقلوبة أحيانا وما تراه من مشاهد البؤس والفقر وأهوال الحرب وكل ما يعتور المجتمع من أحداث ومصائب . ولا غرو ان انفعلت شاعرية الأخطل بهذه المؤثرات وانتجت هذا الاتجاه ، فقد تفتتح شبابه أول ما تفتتح على أهوال الحرب العالمية الأولى وعائش ويلاتها في خضم حياته اليومية ، فلم يستطع السكوت وهو يرى هذه الحرب :

تلهم المليون لا يشبها      ومتى تُطعمم أخاه تأكل  
يا هول الحرب في ويلاتها      رمت الكون بخطب جلل

وكلنا يعرف ما يتخلل الحرب عادة من مأس انسانية وفجائع اخلاقية ، ومبائس مادية . فاذا هو يصور كل ذلك في قصائده راوياً فيها اقصيص مختلفة من هذه الفواجع ، وقد هزّه أكثر ما هزه قصص الفتيات اللواتي كان الجوع يعضهن بنابه ، فيبعن أعز ما يملكه من شرف وفضيلة في سبيل اللقمة :

ولكم عذراء كالبدر على قامة كالنصن المعتدل  
سامها الفقر وكانت قبله تتغذى بنحيوط المغزل  
فأباحث ثغرها مرغمة وهي لولا جوعها لم تفعل

ثم يمضي في وصف أهوال الحرب وويلاتها معبراً عن لظى الأنسانية في اتونها الجارف ، ويشور على هذه الظاهرة البشعة في تاريخ الأمم. وينطق معه حتى ادوات الجهاد في ثورته عليها ويجعلها تعبر معه عن لقمتها هي ايضاً على اتخاذها كأدوات للحرب بدلاً من ان تكون ادوات للسلم تستند الإنسان في اعماله الخيرة البناء . واسمه هنا ينطق الحديد والخشب والكهرباء ويعبر عن غيظها من الحروب في « مؤتمر الجهاد » :

وقف الفولاذ فيهم خاطباً	بكلام كالرحيق السلسل
قال لو أنصفت ما كنت سوى	سكة أو معول أو منجل
أسف الإنسان في الحرث ولا	اتواني عند حصد السنبل

\* \* \*

عند هذا الحشب امتز وقد	قال فلتقطع عين الرجل
حبذا اليوم الذي كنت به	غصناً عندضفاف الجدول
أنا لو أنصفتي المرء لسا	كنت إلا مغزلاً في معمل
أنسج الصوف فاكسوه ولا	اشتكي من تعب او ملل

\* \* \*

عند هذا الكهربا قالت وقد	لمعت أنوارها للمجتلي
قوتل الانسان كم دمري	وأنا روح النظام الأمثل
قسماً لو كنت ادري انه	لسوى الآثام لم يشتمل
لتعجبت فلم أظهر له	ولسا دنس يوماً هيكلي

\* \* \*

ولا يتالك القارىء ان يلاحظ في معظم شعره الاجتماعي اختصار التجربة

ونضوج المعرفة فهو يحاول ان يعطي دائماً صوراً قصصية ، وان كانت تظل احياناً ناقصة او خالية من العقدة او الحل ، فهو مثلاً في قصيدته « ربّ قل للجوع » يصور انتصار الشهوة على العزيمة في مقاومة الجوع ، وكأنه بذلك يبتعد عن الغاية الاخلاقية التي وضع القصيدة من اجلها . رغم انه في قصائد أخرى يجد الموت في سبيل الحب كما في قصيدته « عروة وعفراء » أو بصور الصراع بين الحب والموت كما في قصيدته « المسلول » ... أو توضيحاً أم بشرقها لانقاذ ابنتها من الموت كما في قصيدته « الريال المزيف » .

ولو استعرضنا جميع قصائده الاجتماعية التي وصف فيها احوال الحرب وقصص المجاعة لوجدنا ان بينها رابطة مشتركة وهي وقوفه دوماً إلى جانب الفقراء واحساسه بآلام الجماعة . وهذا الشعور يبرز اكثر ما يبرز في قصائده « الفقراء » و « قصر العظم » و « الجاني » الخ ...

وفي قصيدته الأخيرة يصور حال الريف اللبناني وما يعانيه من فقر ويقارن ذلك بما يتمتع به الناس من رخاء في بيروت فتلحح فيها روحاً اشتراكية ثوروية :

أحقسناً قولهم حقا	ربب الأرز حدثني
ت لا تشقى ولا تشقى	بأن الناس في بيروت
ن تلقى العطف والرفقا	وان الاتن والثيرا
أيرضى العدل ذا الفرقا	فإن صح الذي قالوا
ن ان ففنى وان يبقى	ويرضى صاحب السلطا
متى كنا لهم رزقا ؟	أللحكام ما نجني ؟

وهو يصور هذا التفاوت بين الطبقات ايضاً في قصيدة « لبنان عين ما أرى » :

قل للرئيس اذا اتيت نعيمه      ان يشقى رهطك فالنعم جهنم

ايطوف الساقى هنا بكؤوسه  
تمرى الصدور هنا على قبل الهوى  
والكهرباء هنا تشع شمسها  
ويزجر الجايى هناك ويرزم  
وهناك عارية تنوح وتلطم  
وسراج اكثر من هناك الانجم

وهو يبدع في وصفه للفقير ايما ابداع في قصيدته « الريال المزيف » حيث  
يقول ثائراً على تمسف الحكام :

ويح الفقير فما تراه يلاقي  
علسّو' المجاعة مصّ بعض دماثه  
سدت عليه منافذ الارزاق  
وتعسفّ الحكام مصّ الباقي

أو قوله من قصيدة « الفقراء » وكأنه فيها يتنبأ بشورتهم على النظام  
الاقطاعي حين نظمها عام ١٩١٤ اي قبل ثورة البلاشفة بثلاثة اعوام :

لا تقولوا وساوس من فقير  
ان للفقير ثورة لو علمتم  
دوختم وساوس الارزاء  
تسبح الناس دونها في الدماء

ونحن اذا وقفنا عند شعره الاجتماعي نجد ان معظم هذا الشعر قد عالج  
فيه قصصاً وتجارب حياتية لا تقتصر على وصف المشاهد فقط بل تتعداها إلى  
سرد الحادثة وتحليلها وتضمينها العظة والعبرة الاخلاقية في اغلب الاحيان  
كما في قصيدته « الريال المزيف » وهي بنظرنا قصة مكتملة البناء فيها الحادثة  
والمقدمة والمفاجأة وروعة الخاتمة . وهو يتكلم بلسان أم رأت ابنتها على شفير  
الموت جوعاً فتضطر الى التضحية بشرفها انقاذاً لابنتها وتقول :

الى مفارقة ابنتي أو عفتي  
ومشت لموعده بناء جفونها  
حتى اذا اختليا انثى بوصالها  
ومضت إلى الطباخ تلجم ما بها  
وقفت الريال باصبعيه وجسه  
وفعلي الحالين مر فراقى  
القرحى وجر فؤادها الخفساق  
وقد انتشت برياله السبراق  
لقتاتها من لاعج الاشواق  
وانهال بالارعاد والابراق

قال : الريال مزيف !

- أمزيف ؟

صاحت                      وقد سقطت من الارهاق  
طلعت عليها الشمس وهي سجيئة                      وفتاتها صُيف على الاسواق  
أما الاثيم فلا تزال شبابه                      منصوبة\* لنواعس الاحداق

وتتجسم التجربة عنده حتى تبلغ الذروة في قصيدته « الى المرأة » حيث  
يتجلى الترابط في الاداء بشكل محكم موجز اقرب الى الاخستزال منه الى  
الافاضة كما عددنا في قصائده القصصية الأخرى :

ماذا احقاً كنت بي تهزئين                      وكنت في حبك لي تكذبين  
لم تخدعيني مطلقاً انما                      نفك يا هذي التي تخدعين

\* \* \*

مأدبة اهرغت كأسى بها                      وقت عنها لا كما ترعين  
فضلة الكأس التي عفتها                      تركتها للخدم الساقطين

غير ان في معظم شعره القصصي الاجتماعي غالباً ما يترك السرد الى التأمل  
والحكمة واعطاء العظة ، ويطيل في ذلك حتى يخيل اليها أنه ينسى القصة  
الاصلية . وهو في قصيدته « المهاجر » يكرس نصفها مثلاً للبكاء على المهاجر  
الذي فارق وطنه واهله حتى غدا كل شيء حزينا لقراقه :<sup>(١)</sup>

جرس الكنيسة لو . تكلم لاشكر                      ولبان فيه مذ نابت تصدع  
وتلغنت فيها الدمى ونساءلت                      عن باقية في صحنها تتضوع

(١) الدكتور احسان عباس - مجلة الآداب عدد حزيران ١٩٦١ .

ثم ينتهي بالقصيدة الى الاشادة بأعمال المهاجر وتمجيد نشاطه :

حتى اندفعت فكل صخر روضة - سلمت يدك - وكل افق مطلع  
وفتحت فتح العبقريسة تاركاً في مسمع الدنيا صدى يترجع

وفي ذلك شيء من الخروج عن مبدأ وحدة القصيدة ، وان كان هذا التلون في الموضوع هو من ابرز خصائص شعر الاخطل الصغير، اذ انه حتى في مراثيه تراه في اغلب الاحيان يعتمد الى خطرات جانبية لا علاقة لها مطلقاً بموضوع الرثاء كما في قصيدته في رثاء الزهاوي وغيره .

ومهما يكن من امر فان شعر الاخطل الاجتماعي حافل بالصور والمشاهد واللوجات التصويرية الشفافة كما هو شأنه في اكثر شعره ، وهو احياناً يضحى من اجل لحظة تصويرية بالتحليل والمعاناة والتجربة الصادقة فتراه يكثر من الوصف ويسرد الحادثة نفسها على اوضاع مختلفة كما في قصيدته المسلول التي لا تخلو من تكرار في الوصف كقوله :

سكران حتى رأسه ابدأ لا يستقر لكثرة اليد

ثم قوله في القصيدة نفسها :

نم لا تكابر كاد رأسك ان يهوي بكأسك غير ان يدي

وهكذا لا تكاد تنتهي من القصيدة حتى تشعر ان الاخطل يقف من الحادثة موقف الملاحظ المتفرج، لا موقف المعاني أو المعبر عن تجربة ذاتية بحيث يجعلك تعاني ما يعانيه هو نفسه ، بل ان اغلب شعره الاجتماعي هو وليسد مناسبات واحداث عامة اضفى عليها من دقة الوصف وروعة المعاني ما جعلها لوحات ناطقة لمشاهد معبرة .

وفي هذا الميدان كان الاخطل مصوراً بارعاً تنتصر الصورة عنده على

عمق التجربة في كثير من الاحيان ولا تذهب الى ما وراءها من كوامن فكرية  
أو فلسفية بل انه يدغدغ في شعره غالباً الحواس او المدارك الحسية دون  
ان يشرك القارئ معه في التفكير والتحليل وسبر غور الحادثة .

ولكن ذلك لا يمنع الاخطل من التفرد في بعض الاحيان بتضمين شعره  
درراً نادرة من الحكم والامثال التي تلمح فيها عمق الفكرة ولعة الذهن المقعم  
بالتجارب ، وهو مما يأتي في طليعة شعره الاجتماعي ، ويمكن ان تذهب  
مذهب الامثال :

ادهى النصيحة ما يأتيك مرتدياً      ثوب الصداقة تضليلاً وتغويها  
او قوله :

آلى الهدى الا يطل على الورى      الا على جبل من الاجساد  
ويقول أيضاً :

اذا ساء الى الآداب مملكة      فاصبر عليها فقد قامت نواعيها  
وقوله :

كم صاحب اهرقت نفسك دونه      فهوى عليك بقسوة الوقاد  
ومن اقواله الماثورة ايضاً :

— اثنان لا يتهادنان دقيقة  
— قديور الدهر انساناً فيجرمه  
— ليس في الدهر اول وأخير  
— اسمى واكرم عفو أدت مانحه  
— سيان عند ابتناء المجد في وطن  
— شيخ الضحيفة والضمير المجرم  
— من يمنح الشيء احياناً فقد وهبها  
— فالبدايات كن قبلاً خواتم  
— عفو الذبيح عن السيف الذي ذبحها  
— من يحمل السيف أو من يحمل القلما

وهكذا نجد في شعره الكثير من هذه الشوارذ الذهنية العميقة التي تذكرنا بأمثال المتنبي أو حكم أبي العلاء المعري ، وهي حتماً ستظل من الأبيات الخالدة التي نتردد على السنة الناس في كل عصر ومناسبة وقد فاضت بها قريحة الشاعر في الاصل خلال مناسبات عامة كالرثاء او وصف حادثة معينة أو مناسبة وطنية دون ان يتقصدها فجاءت عفو الخاطر او من تلقاها وفقاً لاسلوبه الشعري في الشروء احياناً كثيرة عن موضوع القصيدة للتحدث عن اشياء غيره لاقت اليه بصلة .

### شعر الاحداث الوطنية

سبق لنا ان أوضحنا في مطلع هذه الدراسة كيف بدأ الاخطل الصغير شعره يوم بدأ في ظلال الثورة العربية الأولى التي ما لبثت ان انتكست فيها الآمال، وكانت الحرب العالمية الأولى قد اناخت بطلانها على الصدور والأذهان فأصيبت الجماهير العربية بالاختناق ، ومن هنا جاء الأمل يدغدغ الشاعر من الصحراء ، فانطلق الشاعر يتغنى ببطولة الحسين بن علي متخذاً لنفسه لأول مرة لقبه المستعار « الاخطل الصغير » خشية ان يكتشف المستعمرون العثمانيون هوية الشاعر الحقيقية، بيد أن اغلب شعره في هذه الفترة قد ضاع، ولم يحرص الشاعر نفسه على الاحتفاظ به فيما بعد لأنه اكتشف ان هذه الثورة لم تحقق الآمال والوعود ، بل خيبت آمال الناس في العهود والمواثيق التي كان الحلفاء قد قطعوها على انفسهم وبذلك تبدد الحلم في الثورة العربية :

قل لتلك العهود في رهج الحرب وفي سكرة القنسا والغلاصم  
قد لهنالك في عيون الثعالي ولمسناك في جلود الاراقم  
حدثونا عن الحقوق فلما كبر النصر أعوزتنا التراجم  
نفحتنا بها الحروب سلاماً ورمانا بها السلام اداهم



قل وقيت العثار في ندوة القو م متى اصبحت الخليف مخلصم  
اين ذاك الهيسام في اول الحب وتلك الموشحات النواعم  
كدت اخشى عليكم تلف النفس بيان اللوى وظبي العرائم

وشعر الاخطل الصغير الوطني اخلبه يتضمن هذه الروح الثورية اللاعجة  
التي تنم عن شعور صادق وسخرية في الانتقاد ، واندفاع في الوطنية وعروبة  
حققة لا تأخذ في الحق لومة لائم :

قل لمن حدد القيود : رويداً يعرف الحق ان يفك قيوده

وهو في شعره الوطني كله ما كان يابه للسدود والحدود التي اقامها  
المستعمرون بين البلدان العربية ، فظل محافظاً على مبداه الوجدوي بين العرب  
مؤمناً بان العرب أمة واحدة لا فرق بين قطر وآخر وقد تأخى الجميع في  
السراء والضراء ...

مشت الشام الى لبنان شوقاً والتياحا  
فافرشي الطرق قلوباً وثغوراً وصداحا  
غرة من عبد شمس تملأ الليل صباحا  
وحسام يعربي الحد ما مل الكفاحا  
فتساوينا جهاداً وقآخينا سلاحا

وليس غريباً من كانت نفسه تروج بالوطنية والثورة كنفس شاعرنا ، أن  
يندب بالمستعمرين من كل حذب وصبوب بادئاً بالعثمانيين ، كقوله في قصر بلدز :

لا سلام عليك يا قصر مني لا ولا جادك الحيا يبرود  
زال عهد السجود يا أمم الارض فهذا عهد السلام الوطيد

ومستأنفاً بالفرنسيين شاجباً « صداقهم التقليديّة » وجاملاً على العميد

السامي :

قالوا الصداقة قلنا اين شاهدها  
اكلمنا طورد الشداد في بلد  
اعندما تلفظ الاجداث موتها  
اوما « العميد » ولبنان تبناها  
غير موفّر الانكليز والخلفاء :

قل « لجون بول » اذا عاتبته  
نركب الموت إلى (العهد) الذي  
امن العدل لديهم اننا  
سوف تدعوننا ولكن لا ترانا  
نحوته دون ذنب حلفانا  
نزرع النصر ويحنيه سوانا

وهو في قصيدته ( سلمي الكورانية ) يحمل على خمود شعبه وانكفاهم  
داعياً الى الثورة على الغرباء المستعمرين حاملاً عليهم حملة شعواء :

لبنان ما لقراخ النسر جائعة  
أللقريب اختيال في مسارحها  
كان مسا غرس الآباء من ثمر  
وما بنوه على الاحقاب من أطم  
والارض ارضك اعلاها وادناها  
واللقريب اتزواء في زواياها ؟  
لغير أبنائهم قد طاب جناها  
لغير ابنائهم قد جلّ سكتها  
أو قوله مهاجماً الغرب والغربيين :

ليت شعري ما جنينا على الغرب  
ثم ينتقل الاخطل الى التنفي بأيجاد الغروبة ودأبه دوماً الثورة على الضم  
والانتفاص على الظلم والجور :

أعطر الغيم في أرضي واشربه  
ذري الليالي تمن في غوايتها  
وكنت لا ارتضي ان اشرب السحبا  
فقد حشدت لها الاخلاق والعربا  
والبيت الاخير في رأينا امدح بيت في العرب .

والاخطل في ذلك فخوراً بأنه عربي ولا يهه المتعصب الطائفي بشيء :  
ايها السائل عن ادياننا العيسى انت ام للمصطفى

وطني ديني ...

فمن يسألني : قلت اني عربي وكفى

أو قوله :

وطن الجميع على حدود رياضه      تحتال فاطمة وتنعم مريم

ولكن ايمانه بالعروبة لا يمنعه من التنديد بما يعمل في صفوف العرب من  
عوامل التفرقة وخطل الرأي وانهيار العقيدة :

أي بني العرب كدت اخشى عليكم      خطل الرأي وانهيار العقيدة  
قد ملأتم اذن الليالي غناء      والليالي بنسجن كل مكيدة  
حشد الخصم أرضه وسماه      وحشدنا آمالنا المؤودة  
لن نراها ان لم نت في هواها      أمة حرة ودينا جديدة

وهو مع اعتداده بعرويته يشكو ما لاقاه العرب من خيانة عهد وضع على  
يد الخلفاء والاجانب ، كما في قصيدته عن فلسطين التي يعتبر مظلماً من خير  
ما قيل في الفخر :

سائل العلياء عنا والزمانا      هل خرفنا ذمة مذ عرفانا  
المروءات التي عاشت بنا      لم تزل تجري سعيراً في دمانا  
ذنبنا والدمر في صرعته      ان وفينا لآخي الود وخانا

وهذا البيت الأخير يمثل وحده قصته المعاملة بين العرب ومن ادعوا زوراً  
انهم حلفاؤهم .

ثم يمضي في التعبير عن مشاعره العربية الناضجة بالروح الوطنية الصادقة :

يا فلسطين التي كدنا لما      كابدته من أسى نلتى اسانا  
يثرب والقدس منذ احتلنا      كعبتنا وهوى العرب هوانا

وهل هناك أصدق من البيت الأخير برهانا على عروبة الشاعر ،  
وهو الى ذلك لا ينسى وطنه لبنان فيندب ما احتاحه من فتن وحروب  
بين اهله وطوائفه فيصرخ يائساً :

لبنان ما فعل الزمان بنا      سله أما لجروبه هدن ؟  
يفدو عليك بأوجهٍ كعطلت      فمتى يُنورُ وجهك الحسن ؟

ومثل ذلك هذه الصرخة الداوية التي تدل على ما في قلبه من حب لوطنه  
لبنان :

وردت مناهلها الشعوب الى العلى

فمتى ارى لبنا في الورد

أو قوله ناعياً على لبنان عدم تقدمه :

لبنان يا بلد السداجة والوفا      حلم وهل غير الطفولة يحلم  
كبر الزمان ولا تزال كأمسه      فعمالك تكبر أو لملك تقطم

وله في لبنان مئات الأبيات وكلها تنضح بالعتاب واللوم والأسى والتحسر  
على ما اصابه من فتن وتفرقة وعدم تألف كقوله :

أما الشعوب فقد تألف شملها      فمتى يؤلف شعبك المتشعب

ويكفي الاخطل الصغير فخراً انه غنى للشرق الجريح في كل مناسبة من  
مناسبات أمجاده ، فجاءت قصائده في شوقي والمتني والفردوسي والزهراوي  
وحافظ ابراهيم وجبران خليل جبران ووديع عقل وسعد زغلول وفيصل  
الأول وأمين تقي الدين و ابراهيم هنانو وعبد الرزاق الدندشي وفوزي الغزي  
وعبد المحسن الكاظمي ، مملقات ضخمة في شعر الوطنيات والعروبة ، لا بل  
تعتبر من شوامخ شعره لما فيها من نفس طويل وبيان ساحر وأفكار عميقة

وروح وثابة وتمجيد لعبقريات الشرف والعروبة وهو في ذلك لم يترك بلداً عربياً  
الا وتغنّى به وانشده ما في قلبه من غيرة على العروبة واخلاص للاوطسان  
العربية والامة العربية واندفاع في تأييد قضاياها وكفاحها .

ويضيق بنا المقام هنا لو شئنا أن نستعرض على حدة كلا من قصائده التي  
خلد بها أجداد الشرف والعروبة وعباقرة الفكر والشعر والسياسة ، لأن كل  
قصيدة منها تمتاز ديواناً بجد ذاته تم عن شاعرية مبدعه وقريحة فياضة  
وموهبة جاحمة وعلو كعب في القريض وطول باع في دنيا النظم والقوافي ،  
غير ان ما يجمع ما بين هذه القصائد كلها تفردته في اتباع اسلوب واحسد  
يجمع ما بين اسلوب الشعراء القدماء من مطالم رنانة وتغزل ونسيب ،  
واسلوب المجددين من استطراد وعرض افكار جديدة وطرق مواضيع متعددة  
في قصيدة واحدة قد تبعد احياناً كثيراً عن الغرض الأساسي من القصيدة  
كقوله في رثاء سعد زغلول مثلاً :

رجال مصر شفيمي ان عتبتكم ان الحب لديكم ليس ينتم  
اني اخاف عليكم في تحزبكم ان تنصروا الخصم وهو الخصم والحكم

أو تعريضه « بالأدب الجديد » في قصيدته التي قالها في المنبي .

بعض الجديد الذي يدعونه ادباً يموت في يومه هذا اذا وهبنا

أو قوله مثلاً في رثاء فوزي الغزي متغنياً بجنة بردى :

يضحك الماء على حصبائها ضحك الاطفال في مرجة أنس  
ويحسن البان في ضغاتها اترى طاف به الساقى بكأس ؟

وهنا لا بد للقارىء ان يستغرب هذا « الضحك » في مقام الرثاء

ولا حاجة بنا الى الوقوف عند هذه الاستطرادات في قصائد الاخطل

الصغير فهي بما اشتهر بها في معظم قصائده تقريباً وهي بالاجمال لا تتلذذ من قيمة شعره ولا تشين من جماله بل على العكس تضي عليه مساحة من التنوع التي تجعل القارئ، يفرح مع افكار الشاعر في بحار ممتعة تأخذ بمجامع القلوب وتتغنى الملل الذي ينتج احياناً من طول السياق وتمدد الابيات المماثلة للبحور والقوافي .

وفي الختام حسب الاخطل الصغير مجدداً وطنياً أنه اسبغ دوماً على لبنان طابعه العربي الصحيح وكان رسوله وسفيره الى بلدان العرب في شتى الأمصار والاصقاع :

جذبت اليه العرب بعد نفاهم وذويت في كاساتهم نغماتي

والخلاصة أن الاخطل الصغير هو شاعر عاش عصره بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وقد عكس في شعره صور هذا العصر الذي عاشه كأكمل ما تكون الصور . واذا كانت العاطفة هي المسحة الغالبة على جميع اشعاره ، فذلك لأن الكلام في لبنان وسائر بلاد العرب كان للعاطفة وحدها ، انها يقظة الروح والقلب التي تسبق جميع اليقظات - بما فيها السياسة - وتمهد لها جميعاً ولولاها لا تكون يقظة .

غير ان شعره ليس كله عاطفة كما انه ليس كله فكرة وقد استطاع في احيان كثيرة ان يمزج بين العاطفة والفكرة بأسلوب غنائي ما زالت له رنته ووقعه حتى ايامنا الحاضرة .

وبما لا شك فيه ان شعر الاخطل الصغير سيحتل مكانه في المستقبل ويصبح من اعلام الشعراء الكلاسيكيين الذين ابتادوا شعرهم في المدارس منها تغيرت نظرة الناس للشعر قديمه وحديثه .

فشعر الاخطل انما قيل ليبقى ويخلد على مدى التاريخ .

نمازج من شجره





وردة من دمنا

سائلر العلياء عننا والزمانا  
 المرؤوات التي عاشت بنا  
 ضحكك المجد لنا لما رأنا  
 عرس الأحرار، أن تسقي العدي  
 ضجت الصبحراء تشكو عريها  
 منذ سقيناها العلى من دمنا  
 انشروا الهول وصبوا ناركم  
 غدت الأحداث منذ أنفس  
 شرف للتموت أن نطمع  
 وردة من دمنا في يده  
 يا جهاد صفق المجد له  
 شرف باقت فلسطين به  
 إن جرحاً سال من جنبها  
 وأينا باحت النجوى به  
 نعلن يا أخت، على العهد الذي  
 يشرب والقندس منذ احتلتها  
 قم إلى الأبطال نكلمس جرحهم  
 قم نجع يوم ما من العمر لهم  
 إننا الحق الذي ماتوا له  
 هل خفرتنا ذمة منذ عرفانا  
 لم تزل تجري سعي رأف دمانا  
 بيدم الأبطال مصبوغاً لوانا  
 أكوأحشراً وأنفاماً حزانى  
 فكسوناها زيباً ودخانا  
 أبقتت أن معداً قد نمانا  
 كيفما شئتم فلن تلبقوا حبانا  
 لم يزدنا العنت إلا عنفوانا  
 أنفماً جبارة قاي الهوانا  
 لو أتى النار بها حالت جنانا  
 ليس الغار عليه الأرجوانا  
 وبساة للعالي لا يدانى  
 لثمتته بخشوع شفتانا  
 عربياً... رشفتته مقلتنا  
 قد رضيعناه من المهدي كلانا  
 كعبتانا، وهوى العرب هوانا  
 لئمة تسبح بالطيب يدانا  
 فبه صوم الفصح، فبه رمضاننا  
 حقتنا، نسبي إليه أين كانا

## أيها الغائب

أيها الغائب الذي في فؤادي  
حاضر، كيف حال قلبك بعدي

أين عينك تنظراني وكنفي  
فوق قلبي ودمني فوق خدي

شبح طائف، كسنته يد الليل  
ببردي كوجهه مسود

هست نجمة بأذن أخيها  
همن تغر الندى بمسمع ورد:

ما ترى يا أخي شخصاً على الغبراء  
يمشي لكن على غير قصد؟

— «حفظ الله قلب أخوتي من الحب»  
فهذا في الحب أصغر عبء ... »

\* \* \*

## ابو العلاء المعري

يا لها ثورة تأججُ في صدرك ،  
تردي الظنونُ فيها الظنونا  
بسمة الهزم ، ابن منها ابو بحر  
و فولتير ، سيدا الهازئينا  
فأحايين لا أرى لك دُنيا  
وأحايين لا أرى لك ديننا  
لست أدري أأنت في وصفك النفس  
مصيبٌ ، ام الحكيمُ ابن سينا  
أيراها ورقاء من رقرق الخلد ،  
وتبقى لديك ماء وطينا ؟ ...  
سر ذي النفس لا مداره روما  
أدركته ، ولا شيوخ اثينا  
هل رأيت النجوم تزداد نورا ،  
كلما احلوك الدجى ، وفتونسا  
هكذا الفكر يصدع الليل بالنور  
إذا لم تك العيون عيوننا  
سابعٌ ما يشاء في بحر الهادي  
كما يدفع الشراع السفينا  
أيبالي من عنده البعد والقرب  
سواء ، إن تعجز المعجزينا

قد تحدهُ الأبعادُ من نافذِ الطرفِ ،  
فإنه سارُ متعباً مُتعبينا  
عُثراتُ العيونِ نصفُ حياةِ المرءِ ،  
مها يكنُ رصينا رزينا ...  
رُبُّ شاكٍ فقدَ العيونِ ، ولا  
ينفكُ . يهدي العيونَ للبصيرنا  
أرقُّ الحسن

يَسْكِي وَيَضْحَكُ لَا حُزْنَنا وَلَا فِرْحَانَا  
كَعَاشِقٍ خَطَّ سَطْرَهُ فِي الْهَوَايِ وَمَحَا  
مِنْ بَسْمَةِ النَّحْمِ هَمْسٌ فِي قِصَائِدِهِ  
وَمِنْ مُخَالَسَةِ الظُّبَيْرِ الَّذِي سَنَحَا  
قَلْبُ تَمَرَسٍ بِاللَّدَاتِ وَهُوَ فَتَى  
كَبِيرُ عَمٍّ لَعَسْتَهُ الرِّيحُ فَنَانَفْتَحَا...  
مَا لِأَقْبَاحِيَّةِ السُّمْرَاءِ قَدْ صَرَفَتْ  
عَنَّا هَوَاها ، أرقُّ الحُسْنِ مَا سَمَحَا  
لَوْ كُنْتَ تَدْرِينِ مَا أَلْقَاهُ مِنْ شَجَنِ  
لَكَئِثْتُ أَرْفَقَى مَنْ أَسَى وَمَنْ صَقَحَا  
غِدَاةً لَوُحِنَ بِالْأَمَالِ بِأَسِيمَةٍ  
لَانَ الَّذِي تَسَارَ وَأَنْقَادَ الَّذِي جَمَعَا  
مَا هَمْنِي وَلِسَانُ الحُبِّ يَهْتِفُ بِي  
إِذَا تَبَسَّمَ وَجَهُ الدَّهْرِ أَوْ كَلَسَا  
فَالرُّوضُ مَهْمَا زَهَتْ قَضْرُ إِذَا حُرِمَتْ  
مِنْ جَانِحِ رَفٍّ أَوْ مِنْ صَادِحِ صَدَسَا

يا صارف الكأس ...

يا صارف الكأس

عنا ،

لا تَضينَ بها ،

ويا أخا الوترِ المكسارِ ،

لا تَنمِ ...

أدرِ عَلَيْنَا

منَ الصَّهْبِ أَفْتَكَبَا ،

وَخَدَّرِ

العَصَبَ المَحْمومَ ،

بِالنَّقَمِ .

قَدِّ يَشْرَبُ

الجَمْرَ ،

مَنْ تَمَلَّوْا الهُمومُ بِرِ ،

وَقَدِّ يُغْنِي

الفَتَى ،

مِنْ شِدَّةِ

الْأَلَمِ ...

\*\*\*

## المهاجر

أَشَجَاكَ أَنْتَكَ رَائِحٌ لَا تَرَجِيعُ  
وَهَوَاكَ وَالْأَوْطَانَ بَعْدَكَ بَلَقِعُ  
مَتَلَفَّتْ ... مَا تَبْتَعِي؟ مَتَوَجَّعُ ...  
مَا تَشْتَتِي؟ مَسْتَهْضَتَا ... مَا تَسْمَعُ؟  
بِجَرَسِ الْكَنِيسَةِ لَو تَكَلَّمْ لَاشْتَكِي  
وَلَبَانَ فِيهِ مِذْ نَأَيْتَ تَصَدَّعُ  
وَتَلَفَّتْ فِيهَا الدَّامِي وَكَسَاءَلْتِ  
عَنْ بَاقِيَةٍ فِي صَحْفِهَا تَتَضَوَّعُ

\*\*\*

يَلِهُ أَنْتَ مُغْرِبًا وَمُشْرِقًا  
تَذَرِيكَ عَاصِفَةً وَأُخْرَى تَزْرَعُ  
حَتَّى أَنْدَفَعْتَ، فَكُلُّ صَخْرٍ رَوْضَةٌ  
- سَلِمْتَ يَدَاكَ - وَكُلُّ أَفْقٍ مَطْلَعُ  
وَفَتَحْتَ فَتْحَ الْعَبْقَرِيَّةِ تَارِكًا  
فِي مِسْمَعِ الدُّنْيَا صَدَى يَتَرَجَّعُ  
تَتَحَطَّمُ الْأَقْدَارُ سَاعَةَ تَنْبَرِي  
تَتَفَجَّرُ الْأَنْوَارُ سَاعَةَ تَطْلَعُ  
فَهُنَاكَ أَنْدَالُسُ الْقَصَائِدِ تَسْبِجُ  
وَهُنَاكَ لُبْنَانُ الْمَوَاهِبِ يَلْمَعُ ...

## سيوف وجراح

يَا رَبِّي لَا تَتْرُكِي وَرَدَاً      وَلَا تُبْقِي أُنْقَاحَا  
مَشَتْ الشَّامُ إِلَى      لُبْنَانَ شَوْقاً وَالتِّيَاحَا  
فَبَافَرْتِي الطَّرِيقَ قَلِيباً      وَتُغُوراً وَصُدَاحَا  
غُرَّةٌ مِنْ عَيْدِ شَمْسٍ      تَمْلَأُ اللَّيْلَ صَبَاحَا  
وَحُسَامُ يَغْرُبِي      الْحَدَّ ، مَا مَلَ الْكِفَاحَا  
يَشْرَعَانِ الرَّايَةَ      الْحَمْرَاءَ ، وَالْحَقَّ الصُّرَاحَا  
جَمَعَ الْمَجْدُ عَلَى الْأَرْضِ      سُوفَاً وَجِيرَاحَا  
فَسَاوَيْنَا جِهَاداً      وَتَأَخَيْنَا سِلَاحَا  
وَنَشْرُتَاهَا عَلَى الدُّنْيَا      جَنَاحاً ، وَجَنَاحَا

## الصبا والجمال

الصبا والجمالُ مثلكُ يدَيكُ  
أيُّ تاجٍ أعزُّ منُ تاجيكَ  
نصَّبَ الحُسنُ عرشَهُ فسألنا  
مَنْ قراها لهُ فدلَّ عليكِ  
فما شكَّبي رُوحكُ الحنونُ عليهِ  
كانسكابِ السماءِ في عينيكَ  
كلَّما نافسَ الصيِّبا بجمالِ  
عَبْقَرِي السَّما نَمَّاهُ اليكِ  
ما تغنَّى الهزارُ إلا ليُلثمي  
زفَّراتِ القرامِ في أدنيتكِ  
سكَّيرَ الرُّوضِ سَكْرَةَ صرَعته  
عندَ مَجْرَى العبييرِ مِنْ نَهْدِيكَ  
قَتَّلَ الوَرْدُ نَفْسَهُ حَسَدًا مِنْكَ  
وَأَلْقَى دِمَاحَهُ فِي وَجْهِكَ  
والفرواشاتُ فلتتِ الزُّهْرُ لَمَّا  
حَدَّثَتْهَا الانْسَامُ عَن شَفْتِيكَ  
رَفَعُوا مِنْكَ لِلْجَمالِ إِلها  
وَأَنحَسُوا سُجْدًا عَلى قَدَمِيكَ



من قصيدة له في الفردوسي :

كَأَنَّ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ قَصَائِدِهِ  
رُوحًا تَعَلَّعَلُ فِي الْمَوْتَى فَتُحْيِيهَا  
رَدُّ الْأَكْتَابِ الرَّائِغَاتِ فَانْتَشَرُوا  
تَحْتَتِ الدَّرْفَسِ نَجُومًا فِي لَيْلِيهَا  
وَالْحَبْلِ تَلْتَهَتْ فِي الْمِيدَانِ كَالِحَمَّةٍ  
حَمْرَ الْحَمَالِقِ تَطْوِيهِ وَيَطْوِيهَا  
وَرَأْسُهُمْ هِرْقُلُ الْفُرْسِ الْفُحُولِ إِذَا  
مَا انْقَضَ قُلْتِ عَقَابُ الْحَرْبِ مُذَكِّيهَا  
وَأَدْهَشَ الْأَرْضَ مِنْهُ عِنْدَمَا نَظَرَتْ  
إِلَيْهِ... كَيْفَ مَشَتْ إِحْدَى رِوَاسِيهَا...  
مَا عَابَهُ أَنْ سَيْفَ اللَّهِ جُنْدَلَهُ  
بَلْ كَشَفَ الْفُرْسَ لَمَّا جَاءَ يَهْدِيهَا  
مَشَى إِلَيْهَا كِتَابُ اللَّهِ يَخْطُبُهَا  
فَأَمَهَرَتْهُ الْغَوَالِي مِنْ نَوَاصِيهَا  
غَزَا الْهُدَى الْكُفْرَ لَا فُرْسٌ وَلَا عَرَبٌ  
يَا وَقَعَةَ هَزَّتِ الدُّنْيَا تَهَانِيهَا  
إِسْلَامُ فَتَارِسَ أَعْرَاسُ تَمِيسُ لَهَا  
حُورُ الْجِنَانِ عَلَى تَوْقِيْعِ شَادِيهَا

\*\*\*

اذ هي النصيحة ما يأتيك مرقديا  
 ثوب الصداقة تضليلا وتمويهها  
 ضننت بالذاهب ابن التراب تمتعه  
 عنه وجاءك بالأفلاك يهديها  
 إن الملوك على العيلات إن وعدت  
 فليس غير زوال الملك يثنيها  
 الله أكبر نفس الشاعر انفجرت  
 حمر القذائف لم تخطيء مرامها  
 رمى بها العرش فاصطكت فواعده  
 وطلوقت جند « محمود » أهاجها  
 يا الشعفوق ، أيبني مجد أمته  
 ويجعل الدهر مولى من موالها  
 ويسكب السحر يستهوي النفوس به  
 في تغر زهرتها أو تخلق شادها  
 وينثر الوشي لم يثبته قمتها  
 ويفجر الشهر لم ينبغه وادها  
 أشعة واهتزازات وأخيلنة  
 تكلو الحقائق ألوانا أفادها

\* \* \*

## الى امرأة

مَاذَا ؟ أَحَقًّا كُنْتِ فِي تَهْزِينِ  
وَكَُنْتِ فِي حُبِّكَ لِي تَحْكَدِيينِ  
لَمْ تَخْذَعِي مِطْلَقًا إِنَّمَا  
نَفْسِيكَ يَا هَنَدي التي تَخْذَعِي  
مَتَّعْتِ حُبِّي عَنكَ لَكِنَّمَا  
مَتَّحْتِ عَفْوي شِيمةَ الأَكْرَمِيينِ  
مَهْلًا فَمِصْبَاحِكَ لَمْ يَسْأَلِقْ  
إِلَّا بِسْمًا مِنْ شُعْطِي تَقْبِيينِ  
مَهْلًا فَتَانِي مِثْلُ ذَاكَ الذي  
فِي عُرْسِ قَانَا أَدْمَسَ العَالَمِيينِ  
صَيَّرْتِ حَمْرًا آسِنَ المَسَاءِ فِي  
نَفْسِيكَ : تَخْرَأُ يُنْعِشُ الشَّارِبِيينِ  
وَالْيَمَّةُ كَانَتْ لَنَا فِي الهَوَى  
أَكْثَرْتِ فِيهَا عَدَدَ المُنْعَجَبِيينِ  
هَلْ كُنْتِ فِي أَبْهَى لِيَايِ الهَوَى  
أَيَّامَ كُنْتِ فِشْتَسَةَ النَّاظِرِيينِ  
هَلْ كُنْتِ إِذَا ذَاكَ سَوَى آلِي  
أَلْحَانَهَا مِنِّي وَمِنْهَا الرِّينِ

أُنشِدْتُ أَحْلَامِي عَلَى مَسَارِغِ  
مِنْ خَشَبِ الْقَلْبِ الَّذِي تُحْمِلِينَ  
كَالْتَعَمِّ الرَّئِيسَانِ فِي آتَةِ  
قَارِغَةٍ تَحْتِ يَدِ الضَّارِبِينَ  
إِن جَاءَتِ الْأَلْعَانُ تَسِي النُّهَى  
فَأَيُّ فَضْلٍ عِنْدَهَا تَدْعِينَ  
أَلَمْ أَكُنْ أَنْطَبِعُ إِِنْشَادَهَا  
عَلَى الْمَلَامِينَ غَيْرَ مَا تُذَكِّرِينَ  
إِنِّي لِكَيْ أَبْدِعَ هَذَا الشَّنَا  
مِنْ عَدَمٍ... وَأَلَمْ يَنْعِشْ غَيْرَ حِينَ  
لَقَدْ كَفَّيَ أُنْثَى عَاشِقُ  
وَأُنْثَى كُنْتُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
وَالآنَ سِيرِي فِي الطَّرِيقِ الَّذِي  
شِئْتُ فَلِي أَيْضًا طَرِيقُ أَمِينِ  
سِيرِي وَلَا تَنْسَى بَأَن تَسُرِّي  
إِن كُنْتَ تَسْتَحْيِينَ، ذَاكَ الْجَبِينِ  
مَادُبَّةً أَفْرَعْتَ كَأْسِي بِهَا  
وَقُمْتُ عَنْهَا لَا كَمَا تَزْعُمِينَ  
فَبِضَلَّةِ الْكَأْسِ الَّتِي عَفَّتْهَا  
تَرَكَتُهَا لِلنَّخْدَمِ السَّاقِطِينَ

الفقراء « ١٩١٤ »

أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ إِنَّ غِنَاكُمْ  
شِدَّتُهُ سَوَاعِيدُ الْفُقَرَاءِ  
أَلْقُصُورُ الَّتِي تُقِيمُونَ فِيهَا  
مَنْ بَنَاهَا لَكُمْ سِوَى الْفُقَرَاءِ  
وَالطَّعَامُ الَّذِي تَلْتَذُّونَ مَنْ هُمْ  
صَانِعُوهُ لَكُمْ سِوَى الْفُقَرَاءِ  
وَالرِّبَاحِينَ فِي الْجَنَائِنِ مَنْ هُمْ  
تَغَارِسُوهَا لَكُمْ سِوَى الْفُقَرَاءِ  
وَالْحَلِيبُ الَّذِي رَضِعْتُمْ صِبَاغًا  
كَانَ مِنْ صَدْرِ مُعْظَمِ الْفُقَرَاءِ  
لَا تَقْنُولُوا وَسَاوِينَ مِنْ قَفِيرٍ  
دَوَّخْتُمْهُ طَوَارِقُ الْأَرْزَاقِ  
إِنَّ لِلْفَخْرِ ثَوْرَةً لَوْ عَلِمْتُمْ  
تَسْبِغُ النَّاسُ دُونَهَا فِي الدَّمَاءِ

\*\*\*

## حكمة النهر

حِكْمَةُ الدَّاهِرِ أَنْ تَعِيشَ سَكَرًا  
فَتَأْتِيَهُمَا لِي الكُؤُوسَ وَالْأَوْتَسَارًا  
وَاجْلُواهَا دُنْيَا مَنَّمَةً الحُسْنَ  
كَمَا تَجِدُونَ إِيَّاهُ العَدَاةِ  
كُلُّهَا كَلُّهَا نَجَادِيهَا الوَصْلَ  
وَتَجِي اللِّذَائِدَ الأَبْكَارَا  
فَانْتَهَبِ العَيْشَ ، لَا أَبَا لَكَ ، نَهْبًا  
وَاطْرَحْ عَنْكَ وَجْهَكَ المُنْتَعَارَا  
لَسْتُ مِنْهَا عُمُرَتَ غَيْرَ جَنَاحِ  
حَطَّ فِي الدَّوْحِ لِحِظَّةٌ ثُمَّ طَارَا  
مَتَى إِذَا سِئِتَ أَنْ تَكُونَ أَدِيَا  
أَوْ فَبَدَلِ بِيغِيرِ لُبْنَانَ دَارَا  
بَلَدٌ قُسِمَتْ حُظُوظُ بَنِيهِ  
فَأَصَبْنَا مِنْ بِيضِهَا الأَصْفَارَا

\*\*\*

### رثاء شوقي

قِفْ فِي رَبِّي الخُلْدَ وَاهْتِفْ بِاسْمِ شَاعِرِهِ  
 فَسِدْرَةٌ المُنْتَهَى أَدْنَى مَنَابِرِهِ  
 وَامْسَحْ جَبِينَكَ بِالرُّكْنِ الَّذِي انبَلَجْتَ  
 أَشْعَةً الوَحْيِ شِعْرًا مِنْ مَنَابِرِهِ  
 يَا لَمُرُزِيَّةَ ... غَالِ الشَّهْرَ غَائِلُهُ  
 وَعَارَ فِي لَهَوَاتٍ مِنْ هَوَاجِرِهِ  
 فَلَا الصَّبَّاحُ ضَحُوكُ فِي تَوَاطِيهِ  
 وَلَا العَسَاءُ لَمُوبٌ فِي جَزَائِرِهِ  
 وَأَسْلَمَ الزُّهْرُ أَجْبَادًا مُنْضَرَةً  
 لِلشُّتُوِّكَ جَفَّتْ عَلَى دَامِي أَظْفَارِهِ  
 وَالنَّسَاسُ فِي عَمْرَةٍ عَمِيَاءَ لَا وَتَرُ  
 لِتَشِيدِهِ ، وَلَا تَجْمُ لِسَامِرِهِ  
 يَا مِضْرُ مَا انْفَتَحَتْ عَيْنٌ عَلَى حَسَنِ  
 إِلَّا وَأَطْلَعْتَ أَلْفًا مِنْ نَظَائِرِهِ  
 وَلَا تَفْتَقَتْ الأَفْكَارُ عَنِّ أَدَبِ  
 إِلَّا وَأَنْبَتَ رَوْضًا مِنْ بَوَاكِرِهِ  
 لِبُنْتَانِ يَا مِضْرُ مِضْرُ فِي مَطَامِيحِهِ  
 كَمَا عَلِمْتَ وَمِضْرُ فِي مَفَاخِرِهِ  
 هَلْ كَانَ قَلْبُكَ إِلَّا فِي جَوَانِحِهِ  
 أَوْ كَانَ دَمْعُكَ إِلَّا فِي مَحَاجِرِهِ  
 أَوْ كَانَ مَثَبُ مِضْرٍ غَيْرَ مَثَبِهِ  
 أَوْ كَانَ شَاعِرُ مِضْرٍ غَيْرَ شَاعِرِهِ ؟ ..  
 فَيُنَارَةُ النَّيْلِ كَمَ غَسَّيْتَ قَافِيَةَ  
 فِي مِصْمَعِ الدَّهْرِ مَسْرَاهَا وَخَطَاطِرِهِ  
 لَوْ عَادَ فِرْعَوْنُ كَانَتْ مِنْ ذَخَائِرِهِ  
 أَوْ خَتَمَ الخُلْدُ كَانَتْ فِي خَسَائِرِهِ

من قصيدة له في المتنبي

أبا الفتوحاتِ لَمْ تُزَجِّجِ الحَمِيمِ لَهَا  
وَلَا لَبِيسَتَ إِلَيْهَا البِيضَ وَالْيَلْبَا  
تَأْتِي التَّخْوِمَ فَتَلْقَاهَا مُهَلَّلَةً  
مِثْلَ المَرِيضِ أَنَاهُ بِالشِّفَاءِ نَبَا  
مَا الفَتْحُ أَهْدَى إِلَيْكَ الرِّوَضَ وَالسَّحْبَا  
كَالفَتْحِ جَرُّ عَمَلَيْكَ الوَيْلَ وَالْحَرَبَا  
وَلَوْ فَتَحْتَ بِحَدِّ السِّيفِ لَانْحَطَّ مَتَّ  
تِيحَانُ قَوْمٍ، حَشَوَهَا الظُّلْمَ وَالرَّهْبَا  
« مَا كَلُّ مَا يَتَمَنَّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ »  
وَيُدْرِكُ الغَايَةَ القُصْوَى وَمَا طَلِبَا  
قَدَّ يُؤْتِرُ الدَّاهِرُ إِنْسَانًا فَيَحْرِمُهُ  
مَنْ يَمْنَعُ الشَّيْءَ أَحْيَانًا فَقَدَّ وَهَبَا  
يَا مُلْبِيسَ الحِكْمَةِ الفَرَاوِ رَوَعْتَهَا  
حَقَّ كَهْتَفْنَا : أَوْحِيَا قُلْتَا أَمْ أَدْبَا  
كَأَنبَا هِيَ أَصْدَاءُ يُودِدُهَا  
هَذَا إِذَا بَثَّ ، أَوْ هَذَا إِذَا عَثَبَا  
قَالُوا اسْتَبَاحَ أَرِسْطُو ، حِينَ أُعْجَزَهُمْ ،  
وَإِنْسَهُ اسْتَلَّ مِنْ آيَاتِهِ النُّعْبَا



أضرمت ثورتك الهتوجاء فالتهمت  
من القريض الهشم الفث والخببا  
وغال شعرك شمر الكائدين له ،  
لنفسهم حفرت أيديهم الترابا  
حق أجمعت ولالأفلام هلتها  
في كف أبلغ من عنسى ومن طربا...

\*\*\*

يا خالقا جيلته ، لتولاك ما عرفت  
له الأواخر لا رأسا ولا ذنبا  
غضبت للعقل أن يشقى فثرت له  
بمثل ما اندفع البركان واصطخبا  
هسل النبوة إلا تورة عصفت  
على التقاليد حق تستحيل هبا  
ما صر موقدها ، والخلد منزله ،  
إذا رمى نفسه في نارها حطبا...

\*\*\*

من قصيدته في عمر ونعم

قالوا الحِجَازُ مُجْدِبٌ لَمَّا عَمُوا  
وَتَنَعَمُ فِيهِ رَوْضَةٌ وَنَهْرٌ  
إِنْ زَقَّتِ الْعُودَ أَنَاشِدَ الْهَوَى  
حَنٌّ لَهَا الْعُودُ وَجُنُّ الْوَتْرِ  
أَوْ صَفَّتْ لَيْلَهُ فِي أَتْرَابِهَا  
مَاجَ لَهَا الْوَادِي وَغَسَى الشَّجَرُ  
الْحُبُّ مَذْبُوحٌ عَلَى أَقْدَامِهَا  
وَالْحُسْنُ فِي النِّحَاطِهَا يُكْتَبَرُ  
تَعَرَّتِ الشَّمْسُ عَلَى وَجْنَتَيْهَا  
وَأَنْشَقَ لَوْتَعَلَّمُ أَيْنَ السَّعْمُ...  
الشَّعْرُ رُوحُ اللَّهِ فِي شَاعِرِهِ  
ذَلِكَ يُوحِيهِ وَهَذَا يَنْشُرُ  
الْحِكْمَةُ الْقَرَاءُ مِنْ أَسْبَابِهِ  
وَعَدْنُ مِنْ أَوْطَانِهِ وَعَبَقْرُ  
لَهُ عَلَى الْآفَاقِ فَتَنَحُّ زَاهِرٌ  
وَفِي عُبَابِ الْمَاءِ فَتَنَحُّ أَزْهَرُ  
يُنْضِيهَا مِنْهُ خِيَالٌ مَسَارِدُ  
أَبُو الْفَتْوحَاتِ الَّذِي لَا يُقْبَرُ  
تَعَلَّقَ الْعِلْمُ عَلَى أَسْبَابِهِ  
فَتَعَلَّقَ الطُّوْدُ وَقَالَ الْحَجَرُ..

بلغوها

بَلَّغُوها إِذا أَتَيْتُمْ حِماها      أَنسِي مُتاً في القَرَامِ قِداها  
 وَاذْكَرُونِي لها بِكُلِّ جَبيْلٍ      قَمَّساها تَبْكِي عَليَّ عَساها  
 وَاصْحَبُوها لِتُرْبِيَّتي ، فَمِعْظامي      تَشْتَهِي أَنُ تَدَوسَها قَدَماها  
 لَمَ يَشْفُني يَوْمَ القِيامَةِ ، لَولا      أَملي أَنسِي هُناكَ أراها  
 وَكَوَأَنَّ النِّعَمَ كانَ جِزائِي      في جِهادِي وَالنَّارَ كانَتِ جِزاها ؛  
 لَأَتَيْتُ الإِلَهَ زَاحِفاً ، وَعَفَّرْتُ      جِبيني كَما أَسْتَميلُ الإِلَهَها  
 وَمَلَّاتُ السَّمَاءَ شَكْوى غَرامي      فَشَفَّلْتُ الأَبْرارَ عَن تَقْواها  
 وَمَشَى الحُبُّ في المَلائِكِ ، حَق      خافَ جِبريلُ مِنْهُمُ عَقِباها

قُلْتُ: يا رَبِّ، أَيُّ ذَنْبٍ جَنَنْتُهُ

أَيُّ ذَنْبٍ لَقَدْتُ ظَلَمْتُ صِباها

أَنْتَ ذَوْبَتْ في مَحاجرِها السَّحَرُ

وَرَصَّعْتَ بِاللَّيْلِ فاما

أَنْتَ عَسَلْتَ تَغْرَها فَنَقَلُوبِ النَّاسِ

نَحَلُ أَكْثَمَها شَفْتاها

أَنْتَ مِنْ لَحْظِها شَهَرْتَ حُساماً

فَبَرَأُ مِنْ الدِّماءِ يَداها

رَحْمَةً رَبِّ، لَسْتُ أَسألُ عَدلاً،

رَبِّ خَدْنِي إِنْ أخطَأْتُ بِخطاها

دَعِ سَلْتِي تَكُونُ حَيْثُ تَراي

أَوْ فَدَعْنِي أَكونُ حَيْثُ أراها

## نياشين

أَيْفَرِضُونَ  
عَلَى مِثْلِي مَلَابِسَهُمْ ،  
وَيَسْأَلُونَ  
نِيَابِي عَنْ نِيَاشِينِ ؟ ..  
كَأَنِّي  
لَمْ أَكُنْ  
عُنْوَانَ فَخْرِهِمْ ،  
يَوْمَ انْطِلَاقِ الْقَوَافِي  
فِي الْمِيَادِينِ  
إِنِّي  
لَمِنَ مَعْشَرِهِ ،  
لَوْلَا يَرَاعَتُهُمْ ،  
مَا كَانَ لُبْنَانُ  
غَيْسَ الْمَاءِ  
وَالطَّيْنِ ...

\*\*\*

يا مجدد يا جنون

يا مجددُ  
يا فنُّ ، يا جنونُ  
لَمْ تَبْتَقِ مِنِّي  
الليالي ، سوى  
خَيَالِ خَيَالِي ،  
لا التَّحُلُّ  
يَرْتَفُ شَهْدِي  
وَأَلْفِ فِرَاشُ ،  
وَكَانَ جَيِّدِي  
وَخَدِّي  
لَهَا فِرَاشُ  
أَبْعَدَمَا  
كَانَ نَشْدِي بُرُوي  
العِطَاشُ ،  
أَصْبَحْتُ  
أَصْبَحْتُ وَخَدِي ...  
يا مجددُ  
يا فنُّ ، يا جنونُ  
أَيْنَ الهَوَى  
وَالْفُنُونُ  
وَالعُصْبَةُ الْمُعْجَبُونَ ...

رثاء سعد زغلول

قالوا دَهَمَتْ مَضْرَدَهِيَاءُ فَقُلْتُ لَسَهُمْ  
 هَلْ غَمَّضَ النَّيْلُ أَمْ هَلْ زُلْزِلَ الْمَسْرَمُ  
 قالوا أَشَدُّ وَأَذَى ، قُلْتُ : وَيَحْكُمُ  
 إِذَنْ لِقَدَمَاتِ سَعْدٍ وَأَنْطَوَى الْعَلَمُ ! ..  
 لِمَ لَا تَقُولُونَ إِنَّ الْعَرَبَ قَاطِبَةً  
 تَبَتَّمُوا ، كَانَ زُغْلُولُ أَبَا لَسَهُمْ  
 لِمَ لَا تَقُولُونَ إِنَّ الْعَرَبَ مُضْطَرَبُ  
 لِمَ لَا تَقُولُونَ إِنَّ الشَّرْقَ مُضْطَرِمُ  
 عَذْرَتِكُمْ كَانَ مِثْلَ الْكَوْنِ صَاحِبِكُمْ  
 فَكَيْفَ تَمَلَّأَ أُذُنَ السَّامِعِ الْكَلِيمِ  
 لِلصَّمْتِ أَبْلَغُ مِنْهَا وَهُوَ مُنْصَحِقُ  
 وَالذَّمْعُ أَفْعَلُ مِنْهَا وَهُوَ مُنْصَجِمُ  
 جَاءَ النَّيْيُونَ مِنْ قَبْلِهَا لَأَمْوَا  
 وَجَاءَ سَعْدٌ فَشَمِلَ الشَّرْقَ مَلْتَمِمْ  
 أَلْقَائِلُ الْحَقِّ لَا تُنْسَى أَعْنَتُهُ  
 وَالوَاحِدُ الْفَرْدُ فِي أَنْوَابِهِ أَمَمُ  
 لَطِيفُ الْمَسِيحِ مُذَابٌ فِي مَحَاجِرِهِ  
 وَعَزَمُ أَحْمَدُ فِي جَنْبِيهِ يَحْتَسِدِمُ  
 صَلَّى عَلَيْهِ النَّصَارَى فِي كِنَائِسِهِمْ  
 وَالْمُسْلِمُونَ سَعَوْا لِلْقَبْرِ وَاسْتَلَمُوا...  
 الْمُؤْمِنُونَ بِسَعْدٍ ، أَيْنَ أَبْصَرُهُمْ  
 وَالْمُعْجِبُونَ بِسَعْدٍ : أَيْنَ أَيْنَهُمْ  
 أَفْرِي الطَّبَالِسَ عَنْهُمْ لَا أَشَاهِدُهُمْ  
 أَبْنِي الْقَلَائِسَ عَنْهُمْ لَا أَحِسُّهُمْ  
 وَأَسْأَلُ الْحَفْلَ عَنْهُمْ لَا يُجَاوِبُنِي  
 كَأَنَّمَا الْحَفْلُ فِي آذَانِهِ صَمَمُ  
 بَلَى شَهِدْتُهُمْ وَالنَّقْعُ مُعْتَكِرٌ وَالْحَقُّ مُطْلَبٌ .. وَالشَّفْرُ مُبْتَسِمٌ

## ترانيل المغيب

آه ما أحلى الحُمَيَّا تَحْتَ أَذْيَالِ السُّكُونِ  
وَالهَوَى يُوحِي إِلَيَّا  
بِرسالاتِ العُيُونِ

كُلُّهَا غَنِيَّتٌ لَحْنًا فِي دِيَارِ البَلْبَلِ  
سَرَقَ اللحنَ وَألقاهُ  
بِأَذْنِ الجَدْوَلِ

لَيْسَ مَا يُشجِيكَ مِنِّي كَغَمَاتٍ فِي قَمِي  
إِنَّهَا وَآلِهَتَا نَفْسِي  
قَطَرَاتٌ مِن دَمِي

أَكَمَا شَاؤُوا غِنَائِي وَكَمَا شَاؤُوا نَوَاحِي  
أَفَلَيْسَ اللهُوَ لَهْوِي  
وَالجِرَاحَاتُ جِرَاحِي

مَلَأُوا كَأْسِي تَخْمَرًا لَيْسَ مِن تَخْمُرِي وَدَتِي  
وَسَقَوْا عودِي فَغَنِّي  
وَفَسَّادِي لَمْ يُغْنِ

يَا حَبِيبِي قُمْ نُرْصِعْ بِالهُوَى نَغْرَةَ الْحَيَاةِ  
نَحْ هَذَا الْكَأْسِ عَنِّي  
وَأَسْقِنِي هَذَا الشِّفَاءَ

كُلْنَا أَوْ مَضَّ لِحَفَاكَ بِيْلَعْنِ يَا حَبِيبِي  
كَلِمَا سَبَبَ خَدَاكَ  
بِيخْمَرٍ أَوْ بِيطِيبِ

كَلِمَا رَتَّلَ نَهْدَاكَ تَرَاتِيلَ الْمَغِيبِ  
صَفَقَ الْقَلْبُ وَنَادَى  
يَا حَبِيبِي ... يَا حَبِيبِي

\* \* \*



## مرحباً مصر

مرحباً مصرُ مرحباً ، كلُّ أهلٍ  
لكِ أهلٌ ... وكلُّ صدرٍ محلُّ

ليسَ تألو الرياضِ أن توقظَ الزمراً  
وأن تجتمعَ الشدا ليس تألو

لتريقِ الأريجِ تكباً وتثناً  
على وجدِ مصرٍ حينَ يطيلُ

مرحباً مصرُ يا شقيقتنا البركراً ،  
ويعلو ترديدُ مصرٍ ويغسلو

نحنُ فرعانِ ألفِ الشرقِ قلبينا  
على الحبِّ والحضارةِ أصلُ

مُعجزاتِ الزمانِ منكمُ ومينا ،  
زنٌ جيدَ الوجودِ والدهرُ طيفلُ ،

هرمٌ تجنيمُ العظامِ فيه ،  
وسقينُ على البحارِ يُبدلُ

## بردى والنيل

يا مِصْرُ ما نَظَمَ الجِهادُ قَصيدةً  
إلاَّ اسْتَهَلَّ بِذِكْرِكَ الفَوَاح

أَوْ سألَ جُرْحُ مِنْ جَبِينِ مُجاهِدِ  
إلاَّ عَصَبَتْ جِراحَهُ بِجِراحِ

بردى شَفِيقُ النِّيلِ مُنْذُ أُمِّيَّةِ  
جُمِعَا على الأَفْراحِ وَالأنْراحِ

نَسَبُ كَخَدِّ الوَرْدِ فِي شَفَةِ الضُّحَى  
يَعْتالُ بَيْنَ العَاصِرِ والجَراحِ

\*\*\*

## عروة وعفراء

مَهْدَ الْغَرَامِ وَمَسْرَحَ الْغِزْلَانِ      حَيْثُ الْهَوَى ضَرَبُ مِنَ الْإِيمَانِ  
يَتَعَانَقُ الرُّوحَانِ فِيهِ صَبَابَةٌ ،      وَيَعِيفُ أَنْ يَتَعَانَقَ الْجَسَدَانِ  
فَإِذَا سَبِعْتَ بِعَاشِقَيْنِ ، فَتَقْتُلُهُمَا      مَلَكَانِ مَهْلِكَانِ مُنْقَصِلَانِ  
مَادَارَ نَمِّ سَوَى الْحَدِيثِ ، كَنَانُهُ      رَاحَ يُدِيرُ كُؤُوسَهَا الْمَلَكَانِ  
سَلَّ عُرْوَةَ بْنَ حَزَامٍ عَنِ غَضَصِرِ الْهَوَى

تَسْمَعُ جَوَابَ فَتَى الْغَرَامِ الْعَسَايِ  
تَحْتَانِ سَاجِعَةِ الْحَائِمِ فِي الضَّحَى      وَزَفِيرِ أَعْوَادِ الْجَحِيمِ الثَّانِي  
وَأَلَهُ حَدِيثٌ ، كَالدَّمُوعِ إِذَا جَرَتْ      جَدَّبَتْ نَطَائِرَهَا مِنَ الْأَجْفَانِ  
عَلِمَ الْهَوَى ، مِنْ آلِ عُدْرَةَ ، عُرْوَةَ !  
كَذَبَ الْأُمِّيَ فَتَالُوا لَهَا عَلَمَاتِ

\* \* \*

وَلِدَةَ الْفَتَى الْعُدْرِيَّ عُرْوَةَ ، بَعْدَمَا  
فَإِذَا بِعُرْوَةَ فِي مَضَارِبِ عَمَةٍ  
عَفْرَاءُ ، إِبْنَتُهُ ، مَعَ ابْنِ شَقِيهِ  
وَإِذَا تَضُمُّهُمَا الْحُقُولُ ، فَإِنَّهَا  
يَتَرَكَضَانِ بِيهَا - فَإِنْ هُمَا بُوغِيْنَا  
وَلَتَطَالَمَا وَقَفَا عَلَى الْوَادِي وَقَدُ  
لَمْ يَلْبَسَا رِيَشَ الْهَوَى لَكِنَّمَا

\* \* \*

مُزِجًا ، فَلَوْ خَطَرَتْ لَعَفَّرَا فِي كَثْرَةِ ،

بَدَرَتْ بِهَا مِنْ عُرْوَةِ الشَّفَتَانِ  
وَإِذَا التَّقَى التَّظَرَانِ تَلَمَّعَ أُسْطُرُ  
يَعْنِي بِحَلِّ رُمُوزِهَا الْوَلَدَانِ  
حَتَّى إِذَا كَبِيرًا قَوْلِي شَرَحَ مَا  
لَمْ يَفْهَمَا قَلْبَاهُمَا الْخَفِيَّتَانِ  
فَلِإِذَا الْوَادِدُ هَوَى وَصَادَفَ كَثْرَتَهُ  
بِكُرًا ، فَطَابَ مَعَارِسًا وَمَجَالِي  
وَيُحِ الْمُحِبُّ إِذَا تَمَلَّكَهُ الْهَوَى  
نَمَتْ بِهِ عَيْنَانِ فَضَاحِحَتَانِ  
عَبَثَ الْهَوَى يَقْوَى عَلَى الْكَيْشَمَانِ  
عَيْنًا يُحَاوِلُ ذُو الْهَوَى كَيْشَمَانَهُ  
مِنْ عُرْوَةِ ابْنِ شَقِيقِهِ ، يُشْمَانِ  
فَدَرَى بِهِ هَضْرًا وَكَانَ يَسُوؤُهُ ،  
يُسْمُ الْغِنَى لَوْ يَسْمَعُ الْأَبْوَانَ  
وَأَهْمُ يُنْمِي عُرْوَةَ فِي عَيْنِهِ  
شَفَتَانِ تَخْتَلِجَانِ تَخْتَلِدَانِ  
فَتَشْكَا إِلَيْهِ مِنْهُ حُبُّ فَتَاتِهِ ،  
سَتَالَ مَنْ تَهْوَى ، فَكُنْ بِأَمَانِ  
فَأَجَابَهُ هَضْرًا وَكَانَ مُخَاتِلًا -

\*\*\*

نُعْمَى عَلَى كَيْدِ الْفَقَى سَقَطَتْ ، كَمَا  
سَقَطَ النَّدَى سَحْرًا عَلَى حَرَّانِ  
فَأَحْسَنَ أَنْ لَهُ جُنَاحِي طَائِرٍ  
وَبَدَتْ لَهُ زُهْرُ النَّجُومِ دَوَانِي  
فَتَجَرَى يَرْقِصُ عُوْدَهُ الشُّعْرَى عَلَى  
صَدْرِ الْمِبْرُوجِ وَمِعْصَمِ الْغُدْرَانِ  
فَيَتَصَوَّغُ هَيْمَنَةَ النَّسِيمِ قَمَائِدًا  
وَيَرُدُّ زَمَزَمَةَ الْغَدِيرِ أَغْنَانِي  
مَنْ رَاعَهُ إِلَّا مَقَالَةَ عَمَةٍ ؛  
سِرٌّ لِلشَّامِ بِمَتَجَرِّ ... فَأَطَاعَهُ  
وَعَصَى الْفُوَادُ فَتَظَلَّ فِي الْأَوْطَانِ

\*\*\*

بَيْنَا الْفَقَى فِي الشَّامِ يَكْدَحُ لِلْغِنَى  
كَانَتْ حَبِيبَتُهُ تَزْفُ لِثَانِي  
فَتَنَّتْ مَحَاسِنَهَا أَالَةَ وَهُوَ مِنْ  
هَضْرٍ لَهُ فَسَبَانَ مُلْتَزِمَانَ

نَسَبُ الدَّمَاءِ وَفَوْقَهُ نَسَبُ الْغِنَى  
فَأَنَالَ عَفْرَاءَ ، صَفْقَةَ تَاجِرٍ  
« مَا عَامِلٌ فِي الْحَقْلِ حَمَلٌ يَوْمَهُ »  
« يَمْشِي لِيَمُنْزِلِهِ ، يَنْفَسُ مَغَالِبِ »  
« يَمْحُو بِفِكْرَتِهِ عُبُوسَةَ »  
بِتَبَسُّمِ فِي آلِهِ وَحَسَانِ «  
فِي كُوخِهِ الْمَحْبُوبِ سَعْبَ دُخَانِ «  
وَبُكَا النَّبَا وَتَهَافُتِ الشُّبَّانِ «  
أَوْ دَى وَلَمْ تُشْرِعْ بِهِ الْقَدَمَانِ «  
وَبِجَنَّتِيهَا وَلَدَاهُ يَحْتَرِقَانِ «  
عَيْنٌ وَمَا سَمِعَتْ بِهِ أَدْنَانِ  
عَفْرَاءُ أُمْسَتْ زَوْجَةً لِفُلَانِ ...  
خَلَعَ التَّحُولُ عَلَيْهِ أَفْجَعَ مَا ارْتَأَى  
دَاهٍ ، وَأَبْلَى مَا احْتَسَاهُ عَانِ  
سَقَمٌ تَشِفُّ بِهِ الضَّلُوعُ ، كَأَنَّهَا  
فَقْدَا بِنِهِ مَثَلًا تَنَاقَلَهُ ، إِلَى  
قِطْعِ الرَّجَاجِ بِأَيْلِ الْجُدْرَانِ  
أَقْصَى الْقِيَانِ ، أَلْسُنُ الرُّكْبَانِ

\*\*\*

ما حَاضِرُ الرَّوْحَانِ ، دُونَ مَنَالِهِ  
لِيَحُولَ دُونَ فَتَى الْهَوَى وَفَتَاتِهِ  
فَمَشَى إِلَى أَرْضِ الْحَبِيبِ ، دَلِيلُهُ  
يُلْقِي الْقَصَائِدَ فِي الطَّرِيقِ ، وَحَشَوَهَا  
كَالْمَعْجَةِ الْبَيْضِيَاءِ ، حِينَ مُرُورِهَا  
وَخَدُّ الشَّرَى فِي الْأَمْعَزِ الصَّوَانِ  
إِنَّ الْهَوَى ضَرَبُ مِنَ الطَّيْرَانِ  
عَيْنَانِ ، إِنْسَانَاهُمَا غَرِقَانِ  
أَنْفَاسُ مَكَلُومِ الْحَشَا وَلَهْنَانِ  
بَيْنَ الصَّخُورِ وَشَائِكِ الْعِيدَانِ ،

بِخُصْلَا مُخَضَّبَةٍ بِأَحْمَرَ فَتَانٍ  
 وَبِمَا بَعْرُوَةٌ مِّنْ هَوَى وَهَوَانٍ  
 بَيْتُ الْقَخَّارِ وَمَلْتَقَى الضَّيْفَانِ  
 رَجُلًا كَعْرُوَةٌ مُّبْعَدًا مُتَدَانِي  
 بَلَدِي وَلَسْتُ لِحَيْمَتِي وَخِوَالِي...  
 عِنْدِي ، وَإِلَّا سَاءَ فِي حِرْمَانِي  
 نَزَلْتُ بَيْنَا مَا كُنْ فِي الْحُسْبَانِ  
 لِعَدِي - إِذَا فَتَجَرَ النَّهَارِ الثَّنَائِي  
 تَهْوِي ، عَلَيْهَا انْقِضَ صَاعِقَتَانِ  
 سَتَرِي الْمُرُوءَةَ أَنَّنَا كَقُؤَانِ...  
 قَدَمَانِ هَا زِلْتَانِ شَاكِيَتَانِ  
 طَبَعَتِ حُشَاشَتَهُ عَلَى الْأَحْزَانِ  
 رَحِبَتْ بِشِلْوِ لُفٍّ فِي أَكْفَانِ  
 أَبْدَأُ مَرْفُوفَةً عَلَى الْوُدْيَانِ

تَسْبِقِي عَلَى الْأَشْوَالِكِ مِنْ أَصْوَالِهَا ،  
 وَدَرَى أَنَا لَتَهُ أَنْ عَرُوَةٌ فِي الْحِمَى  
 وَأَنْتَا لَتَهُ رَجُلٌ الْمَحَامِدِ ، بَيْتُهُ  
 فَأَبَتْ مُرُوءَتُهُ عَلَيْهِ ، أَنْ يَرَى  
 فَمَسَّتْ إِلَيْهِ عَاتِيًا : أَتَكُونُ فِي  
 إِنِّي عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَنْتَ نَزَلُ  
 - عُدْرَ أَفْئَانِي رَاجِعٌ لِحَوَادِثِ  
 لَا عُدْرَةَ... لَا ، لَا عُدْرَةَ - أَنْظِرْنِي إِذَا  
 وَتَفَارَقْنَا ، فَإِذَا بَعْرُوَةٌ رُجْمَةٌ  
 وَأَشَارَ نَحْوًا أَنْتَا بِيَجْفُونِهِ :  
 هَجَرَ الدِّيَارَ لِيَوْقَتِهِ ، تَسْمَعِي بِهِ  
 هَجَرَ الدِّيَارَ ، دِيَارَ عَفْرَاءِ الَّتِي  
 حَتَّى إِذَا وَادِي الْقَرَى رَحِبَتْ بِهِ  
 جَنَمَانَهُ فِي الْقَبْرِ ، لَكِنَّ رُوحَهُ

\*\*\*

شَاهَدَتْ غُصْنَا مِّنْ رَّطِيبِ الْبَانِ  
 مُتَقَصِّفًا وَأَصِيبَ الرَّجَقَانِ  
 مِّنْ صَدْرٍ مُّحْتَضِرٍ بِهِ جُرْحَانِ  
 فَتَلَسَّمِ الْفِضْيِ بِالْمَرْجَانِ  
 إِلْفًا وَتَحْنُ وَعَرُوَةٌ حَدَثَانِ  
 يُخْزِي بِهَا رَجُلِي وَيُخْفِضُ شَانِي  
 أَفَمَا أَبِي وَأَبُو الْفَقَى أَخْوَانِ...؟

رَانَ التَّمِي بِأَذْنِ عَفْرَاءٍ ، فَهَلْ  
 لَعِبَتْ بِهِ هُوجُ الْعَوَاصِفِ ، فَالتَّوَى  
 هِيَ مِثْلُهُ ، حَاشَا الدَّمُوعِ وَأَنْتَ  
 فَاتَتْ أَنْتَا ، وَالدَّمُوعُ سَوَابِغُ ،  
 قَالَتْ : لَسَعَلِمَ أَنْ عَرُوَةٌ كَانَ لِي  
 وَعَلِمْتُ أَنْ هَوَاهُ لَا عَن رِيْبَةٍ  
 هَلَّا إِذْنَتْ بِيَانِ أَرْوَرِ تَرَابِهِ

سَمَنْ ذَا يُبَالِغُ أَنْ تَفِيهِ حَقُّهُ      سِيرِي، فَمَا هِيَ تَغِيرُ بَعْضَ ثَوَانِ  
حَتَّى رَأَيْتَ بِقَبْرِ عُرْوَةَ بَانَةَ      مَعْنِيَّةً وَالسَّهْفَتَا لِلْبَانِ ...  
ضَمَمُوا الْفَتَاةَ إِلَى الْفَتَى فِي حُفْرَةٍ      مِنْ فَوْقِهَا غُصْنَانِ مُلْتَفِقَانِ  
رُوحَانِ ضَمَمَهُمَا الْهَوَى فَسَمَانَقَا      وَتَعَاهَدَا فَتَعَانَقَا الْكَفْتَانِ

\* \* \*

أَنَا وَقَدْ أَبْنَاءَ الصَّبَابَةِ سَاجِدٌ      مِنْ تُرْبِ عُدْرَةٍ فِي أَدَلِّ مَكَانِ  
أَسْتَنْزِلُ الْوَحْيَ الَّذِي ظَفِيرَاتُ بِهِ      شُعْرَاءُ عُدْرَةٍ فِي الزَّمَانِ الْفَانِي  
فَتَسُدُّوعُ فِي أَدْنَى جَمِيلِ رَنْتِي      وَتَطْيِبُ نَفْسُ كَثِيرِ بَيْبَانِي

\* \* \*

## المسلول

حَسَنَاءُ ، أَي فَتَى رَأَتْ تَصِيدِ  
 بَصُرَتْ بِدِرْثِ الثِّيَابِ ، بِلَا  
 فَتَخَيْرَتْهُ ، وَكَانَ شَافِعَهُ  
 وَرَأَى الْفَتَى الْأَمَالَ بِسَائِمَةٍ  
 وَالْمَالَ مِلَّةَ يَدَيْهِ ، يُشْفِقُهُ  
 ظَمُنَانُ وَالْأَهْوَاءُ جَارِيَةٌ  
 رَوْضٌ مِنَ اللَّذَاتِ ، طَيِّبَةٌ  
 نِعَمٌ أَفْئَانِ ، يَكَادُ لَهَا  
 مَاضِيَهُ ، لَوْ يَدْرِي بِحَاضِرِهِ ،

قَتَلَى الْهَوَى فِيهَا بِلَا عَدَدِ  
 مَاوَى بِلَا أَهْلِ بِلَا بَلَدِ  
 لُطْفُ الْغَزَالِ وَقُوَّةُ الْأَسَدِ  
 فِي وَجْهِهَا ، لِفُؤَادِهِ الْكَمِيدِ  
 مُشْفِيًا إِنْشَاقَ ذِي حَرَدِ  
 كَالْتَلْسَبِيلِ ، مَتَى يُرِدُ يَرِدِ  
 أُنْمَارُهُ ، خِلْوٌ مِنَ الرُّصَدِ  
 يَخْتَالُ مِنْ غُلُوَاهُ فِي بُرْدِ  
 رُغْمِ الْأُخُوَّةِ مَاتَ مِنْ حَسَدِ

\*\*\*

سَكْرَانُ ، وَالكَاسَاتُ شَاهِدَةٌ  
 سَكْرَانُ لَا يَصْنَحُوكَ سَكْرَتِهِ  
 سَكْرَانُ ، وَهِيَ تَزْقُوهُ قُبْلًا  
 سَكْرَانُ ، وَهِيَ تَمُصُ مِنْ دَمِهِ  
 سَكْرَانُ ، بِحَتَّى رَأْسُهُ أَبْدَأُ  
 «قَالَتْ لَهُ: نَسَمٌ ، نَسَمٌ لِفَجْرِ عَدِ  
 إِنَّ الْكُؤُوسَ لَهَا مِنَ الْعُدَدِ  
 أَمْسًا ، وَبَسَكْرَتِهِ عَدَاةَ عَدِ  
 وَيَزْفَقُهَا ، وَإِذَا تَزِدُ بِزِدِ  
 وَتُرِيهِ قَلْبًا أَمَّ لِلنُّوَلَدِ  
 لَا يَسْتَقِرُّ لِكَثْرَةِ الْمِيدِ  
 ضَعَّ رَأْسَكَ الْوَاهِي عَلَى كَبِيدِي



نَمْ ، لا تَسَلِّطْ يا حَبِيبِ عَلَي  
عَيْنَاكَ مُتَعَبَّتَانِ مِنْ سَهْرِ  
- لا ، لا أُنَامُ وَلَا أذُوقُ كَرَمِي ،  
لا ، لا أُنَامُ وَلَا أذُوقُ كَرَمِي ،  
سَلِّمِي ، أَحْسِنِ النَّارَ سَائِلَةً  
وَأَحْسِنِي قَلْبِي فَاعْبِرْ أَقَمَّةُ  
إِنْ ضَاعَ يَوْمِي ، مَا أَسِفْتُ عَلَي

مَخْمُورِ جِسْمِكَ قَلِيلَةَ الْجَلْدِ  
وَيَدَاكَ رَاجِفَتَانِ مِنْ جَهْدِ  
إِنَّ النَّسَهَارَ مَضَى وَلَمْ يَمُدْ  
أَنَا لَسْتُ مِنْ بَحْيَا لَفَجْرٍ عَدِ  
بِيَدَمِي ، وَتَجْرِي مَعَهُ فِي جَسَدِي  
لِلنَّحْبِ ، لِلنَّدَاتِ ، لِلرَّعْدِ  
خَضِرِ الرَّبِيعِ وَرُوقَةِ الْجَلْدِ

\* \* \*

نَسَمُ لا نَكَابِرُ ، كَادَ رَأْسُكَ أَنْ  
- يَهْوِي ... نَسَمُ يا فِتْنِي وَمَنِي  
يَهْوِي ... وَلَمْ لا ، وَالشَّبَابُ ذَرَى  
لَمْ تُبْقِ لِي مِينِي ، سِوَى رَمَقِ  
رَبَاهُ مُذْ يَوْمَيْنِ كُنْتُ فَتَى  
وَالْيَوْمَ ، أُسْرِعُ لِيَلْبِي ، وَأَنَا  
سَلْهَيْ إِنَّكَ أَنْتِ قَاتِلِي ا  
وَطَوِيلُ شَعْرِكَ صَارَ لِي كَفْنَا  
سَلَمِي اَطْفِي الْأَنْوَارَ وَاْفْتِيحِي  
وَدَعِي شِعَاعَ الشَّمْسِ يَضْحَكُ لِي  
وَدَعِي أَرِيحَ الزَّهْرِ يُنْعِشِي  
أَنَا ، إِنْ قَضَيْتُ هَوِيَّ ، فَلَا طَلَمْتُ

يَهْوِي بِكَاسِكَ ، غَيْرَ أَنْ يَدِي ..  
نَفْسِي ، وَزَهْرَةَ جَنَّةِ الْجَلْدِ  
وَعَلَى شَبَابِي كَانَتْ مَعْتَمِدِي  
مُتْرَاحِ فِي أَضْلَعِ هُنْدِ ...  
لِي قُوَّتِي وَشَبِيبِي وَغَسَدِي  
لَمْ أَبْلُغِ الْعَشْرِينَ أَوْ أَكْثَرَ  
فَجَمِيلُ جَسْمِكَ مَدْفُونِي الْأَيْدِي  
كَفَنَ الشَّبَابِ ذَوِي وَكَانَ نَدِي  
هَذِي الْكُؤَى لِنَسَائِمِ جُدُدِ  
فَشُعَاعُهَا بَرْدٌ عَلَي كَبِيدِي  
وَهَدِيدُهَا طَبِيرُ الْأَيْكَةِ الْغَرْدِ  
شَمْسِ الضَّحَى بَعْدِي عَلَي أَحَدِ ،

\* \* \*

- أنا إن قتلتك كيف تحفظني  
 أو كنت متاً ليلتي جهدي  
 - لا ، أنتٍ محييتي ومُنقذتي  
 أفانتِ قاتلي ؟ كذبتُ أنا ،  
 لكننا العشاقُ ، عادتهمُ  
 ييكونون من جزعٍ ليلتهمُ  
 قلبي لقلبك خافقٌ أبداً  
 - إن كان ذلك ، فهذه شفتي  
 إن صحَّ زعمك ، حفظ مقتصدي  
 يا مُهيجي خففاً ولا تسزدي  
 من عيشي المتتكبر التتكد  
 لولاك كنتُ أذلٌ من وتدي  
 ذكرُ النايا ذكرٌ مُفتدي  
 أن لا تكونَ طويلةَ الأمدِ ...  
 ويظسلُ يخفقُ غيرَ مُتد  
 من يشتعلُ في الحبِّ يبترد

\*\*\*

وتصافحاً فتعانقاً فهما  
 نهياً أو يثقات الصفا ، وقد  
 وترشفاً كأس الغرام ، وما  
 ومشى الهوى بهما فكفادته ،  
 روحان خافقتان في جسد  
 عكفا عليها عكفاً مُجتهد  
 تركا بها من نهلة لصددي  
 والبحر لا يخلو من الزبد ...

\*\*\*

سنة مضت ، فإذا خرجت إلى  
 ولقت وجهك بمنة ، فارى  
 هذا الفتى في الأمش ، صار إلى  
 متلجج الألفاظ مضطرب  
 ذلك الطريق بظاهري البلد  
 وجهها متى تذكره ترتعد  
 رجل هزيل الجسم منجرد  
 متواصل الأنفاس مطرد

متجعد الخدين من سرف مكثر الجفنين من شهيد

\*\*\*

عياه عالقنات في نفق  
أو كالحبيب ، باخ لامعه ،  
تهتز أنملة ، فتعسبها  
ويكاد يتحمله ، لئما تركت  
كسراج كوخ نصف متقيد  
يبندو من الوجنات في خدود  
ورق الحريف أصيب بالبرد  
منه الصباية ، مخلب الصرد

\*\*\*

يمشي بعليته على مهل  
ويج أحيانا دما ، فعلى  
قطع نابين متجمعة  
قطع تقول له : تموت غدا  
والموت أرحم زائر لفتى  
قد كان منتحرا ، لو ان له  
لكنه ، والذاء ينهشه ،  
جلد على الآلام ، يتجده  
فكانت يمشي على قصد  
منديله قطع من الكبد  
مكتوبة بدم بغير يسد  
وإذا ترق ، تقول : بعد غد ...  
منزمل بالذاء مفتسد  
شبه القوي في جسمه الخضر  
كالشور بين مخالب الأسد ...  
طلل الشباب ودارس الصيد ...

\*\*\*

أين التي عليقت به غصنا  
أين التي كانت تقول له :  
نم ! لا تسلط يا حبيب على  
حلو المجاني ناصر المسد  
ضع رأسك الواهي على كيدي؟  
مخمور جملك قلة الجلسد

مات الشقيُّ بها وقد سلِّمتُ  
مات الفتى ، فأقيمَ في جدثِ  
مُتَجَلِّلٍ بالفقرِ ، مؤتزرٍ  
وتزورهُ حيناً ، فتؤنيسهُ  
كتبوا على حجراتِهِ بسدَمِ  
هذا قتيلاً هوى ، بينت هوى  
يا للقبيلِ قضي بيلا قَوَدِ ...  
مُسْتوحِشِ الأرجاءِ مُنفردِ  
بالنبتِ من مُمَيِّسِ ونَسْدِي  
بعضُ الطيورِ بصوتِها الغررِ . .  
سَطراً بيهِ عِظَةٌ لِندي رَشَدِ  
فإذا مررت بأختها فحَسِدِ .

★ ★ ★

## سامى الكورانية

تعجب الليلُ منها عندما برزتُ  
 فظنتها وهي عندَ المساءِ قائمةٌ  
 وتمنتمتُ نَجْمَةً في أذنِ جاريتها  
 أنظرنْ يا إخوتنا هذي شقيقتنا  
 أتلكَ من حدثتُ عنها عجائزنا  
 فأطلقَ الماردَ الجبارَ عاصفةً  
 قصتُ نَجْمَيْمَتنا الحسنةُ بدعتها  
 وكان بالقربِ منها كوكبٌ غزيرٌ  
 وراح يُقسِمُ أن لا باتَ ليلتتهُ  
 تسلسلِ النُورَ في عينيه عيناها  
 منارةٌ ضمها الشاطي وفداها  
 لما رأتها وجئتُ عندَ مَرآها :  
 فمنُ تراهُ على الغبراءِ ألقاهما ؟  
 وقلنَ إن ملكَ الجنِّ يهواها  
 تغزو النجومَ فكانتُ من سبابها ؟  
 عن نَجْمَةِ الشطِّ والآذانُ ترعاها  
 يُصغى ، فلعلَّ رأها ، سبح الله  
 إلا على شفقتيها لاثماً فاهها

\* \* \*

يا ملعبَ الشطِّ من أنفاه أتعلمُ من  
 ويا نواثي من موجٍ ومن زبدٍ  
 والشطُّ في الصيفِ جناتٌ مرفوقةٌ  
 إذا أرتكَّ الجبالُ الغيدةَ كاسيةً  
 داست على صدرِك الباري رجليها  
 أثنى عليكِ وحسبُ الفخر نهداها  
 كمُ فاحَرَ الجبلِ العالي وكُم باهسى  
 فالشطُّ أدوقُ منها حينَ عراها

\* \* \*

رافتُ سُلَيْمَى وما أدري أدمعتها  
 وذلك الأبيضُ المنشورُ في يديها  
 كأنما البدرُ قديماً كانَ خادِمَها  
 وما أصابَ الهوى نفساً وأشواقها  
 كأنه حَكَمَ العُشاقِ كوريمتِ  
 أو كاهِنِ الأزلِ الحالى بِشيبَتِهِ  
 تِلْكَ الَّتِي لَمَعَتْ لِي أَمِ ثَنَائِهَا  
 مِن دِيلِهَا أَمْ سَطُورِ الحُبِّ تَقَرَّهَا  
 فَمَنْ أَرَادَتْهُ نَادَتْهُ فَلَئِهَا  
 إِلَّا وَاللَّحْتِ بِأَذْنِ البِدْرِ شَكْوَاهَا  
 بِيَضَاءِ جُبَيْتِهِ شَتَّى قَضَائِهَا  
 قَبَّالُ تَوْبَتِهَا مَاحِي خَطَايَاهَا...

\*\*\*

أَمَا سَلَيْتِمْسَى فَمَا زَاغَتْ وَلَا عَشْرَتْ  
 من كانتِ الكُورَةُ الحُضْرَاءِ مَنبِيَّتَهُ  
 فَالحُجْبُ وَالطَّهْرُ يُعْنَاهَا وَيُسْرَاهَا  
 فَلَيْسَ يُنْبِتُ إِلَّا المَجْدَ وَالجَاهَا

\*\*\*

تَمَلَّقَتْهُ طَرِيراً ، كَالهِلالِ عَلَى  
 نَمَّتَهُ لِلشَّرْقِ الأَسْفَى عُمُومَتِهَا  
 أَحِبَّهَا وَأَحْبَبَتْهُ وَعَاهَدَتْهَا  
 فَيَبْتِنِيَا فِي ظِلَالِ الأَرزِ وَكَرْهَتِهَا  
 غُصْنِ مِنَ البانِ ماضِي العَزْمِ ، تَسِيَاهَا  
 وَنَشَاتِنَهُ عَلَى مَا كَانَ جَدَاهَا  
 أَنْ لَا يُظَلِّلْتَهُ فِي الحُبِّ إِلَّا هَا  
 وَيَجْرَعَا مِنْ كُؤُوسِ الحُبِّ أَشْهَاهَا

\*\*\*

وَرَاغَ يَقْرَعُ بَابَ الرِّزْقِ مُشْتَمِلاً  
 حَتَّى الذَّنْبَى وَعَلَى أَجْفَانِهِ بَلَلٌ  
 بِسُكَى فُوَادٍ لَسَلْمَى وَالبِيلَادِ مَعَا  
 وَأَنْفُسِ رَضِيَتْ فِي الذَّبَالِ تَمْشُوَاهَا  
 بِعَزْمَةٍ سَنَهَا عَلِيمٌ وَأَمْضَاهَا  
 وَدَّ الإِبَاءُ لَهَا لَوْ كَانِ أَعْيَاهَا

فَحَمَلَ الْمَوْجَ مِنْ أَشْجَانِهِ حَمَسًا      وَشَدَّ يَضْرِبُ أَوْلَاهَا بِأَخْرَاهَا  
وَقَالَ - وَالْيَأْسُ يَمْشِي فِي جَوَ الرَّيْحِ -      دِيَارُ سُلَيْمَى عَلَى رُغْمِ هَجْرَ ذَاهَا

\* \* \*

تَحْمَسُ مِنَ السَّنَوَاتِ السُّودِ لَارْجَعَتْ      صَبَّتْ عَلَى رَأْسِ الْبُنَانِ بِلَايَاهَا  
وَحُبُّ سُلَيْمَى وَرَيْقٌ مِثْلُ أَوْلَاهِ      سَقَتْهُ مِنْ ذِكْرِيَاتِ الْأَمْسِ أَنْدَاهَا  
تَمْضِي لِوَأَجِيْبِيهَا حَتَّى إِذَا انْصَرَفَتْ      فَلَيْسَ يَشْفُلُهَا إِلَّا فُؤَادَاهَا  
سُلَيْمَى أَرَى الشَّمْسَ فِي خَدَيْكَ ضَاكِكَةً

وَكُنْتُ كَالْفَيْمَةِ الْمَقْطُوبِ جَفْنَاهَا  
أَفْتَحَةَ مِنْ فُؤَادِي؟ كِدْتُ أَقْرَأَهَا      كَفِي عَيْونِكَ مَبْنَاهَا وَمَعْنَاهَا  
أَمْ سُوْرَةٌ مِنْ عِتَابٍ؟ أَيُّ فَايَجَّةٍ      فِي تَلْظَةِ صَبْحِ الْخَدَيْنِ لَوْنَاهَا  
قَوْلِي فَلَيْسَ سَوَى الْخُلْدِجَانِ كَسَمَعْنَا      وَرَقْرِقِيهَا سُلْفًا فَوْقَ حَصْبَاهَا...

\* \* \*

- «قُلْ لِلْحَبِيبِ إِذَا طَابَ الْبِعَادُ لَهُ      وَاتَّقِلْ النَّفْسَ مِنْ سُلَيْمَى لِلْيَلَاهَا  
وَاسْتَأْسَرْتَهُ وَإِخْوَانًا لَهُ سَبَقُوا      مَظَاهِيرُ مِنْ رَحَائِ مَا عَرَفْنَاهَا  
إِنَّا إِذَا صَبَّحَ الْأَوْطَانَ فِتْنَيْتُهَا      وَاسْتَوْتَقُوا بِسِوَاهَا مَا آصَفْنَاهَا  
حَسْبُ الْبُنُوَّةِ إِنْ صَاقَ الرَّجَالُ بِهَا      أَنْ تَرَى أَرْضَ صَعْتِهَا الْمَجْدَ أَنْشَاهَا...»

\* \* \*

لِبُنَانٍ مَا لِفِرَاحِ النَّسْرِ جَائِعَةٍ      وَالْأَرْضُ أَرْضُكَ أَغْلَاهَا وَأَدْنَاهَا  
الْغُرْبِ اِخْتِيَالٍ فِي مَسَارِحِهَا      وَاللِّقْرِبِ انْتِرِوَاءٌ فِي زَوَايَاهَا؟  
مَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّيَّاحِينَ الَّتِي سَمَّيْتُ      دُمُوعَنَا الْحُمْرَ قَدْ كَسَمْتُ بَرِّيَاهَا

كَأَنَّ مَا غَرَسَ الآبَاءُ مِنْ ثَمَرٍ لِعَيْرِ أَبْنَائِهِمْ قَدْ طَابَ بَجْنَاهَا  
وَمَا بَنَوْهُ عَلَى الْأَحْقَابِ مِنْ أَطْمٍ لِعَيْرِ أَبْنَائِهِمْ قَدْ حَلَّ سَكْنَاهَا؟.

\* \* \*

لَا تَلْمُ أُجَيْدُكَ فِي الْبُلْدَانِ مِنْ شَبِّهِ وَلَا لِنَاسِكَ بَيْنَ النَّاسِ أَشْبَاهَا  
لَوْ مَسَّ غَيْرَكَ هَذَا الذَّلْمُ مِنْ أَسَدٍ لَعَضَ جَبْهَتَهُ سَيْفٌ وَحَنَاهَا...

\* \* \*



لبنان ! عيد ما أرى

لُبْنَانُ عِيدٌ مَا أَرَى أُمَّ مَا تَمَّ  
لِلَّهِ أَنْتَ وَجُرْحُكَ الْمُنْتَبِهُمُ ...  
عَصَرُوا دُمُوعَكَ وَهَيَّ جَمْرٌ لِأَذِيعِ  
يَتَسَوَّرُونَ بِهَا وَصَبْحَكَ مُظْلِمٌ

\* \* \*

قُلْ لِلرَّئِيسِ إِذَا أَتَيْتَ نَعِيمَهُ  
إِنْ يَشِيقَ رَمْطُكَ فَالْتَمِيمُ جَهَنَّمُ  
أَيْطُوفُ السَّاقِي هُنَا بِكُؤُوسِهِ  
وَيَزْمُجِرُ الْجَبَابِي هُنَاكَ وَيُرْزَمُ  
تَعْرِى الصُّدُورُ هُنَا عَلَى قَبْلِ الْمَتَوَى  
وَهُنَاكَ عَارِبَةٌ تَنُوحُ وَتَلْطِمُ  
وَالْكَهْرُبَاءُ هُنَا تَشِيحُ شَمُوسُهَا  
وَسِرَاجُ أَكْثَرٍ مِنْ هُنَاكَ الْأَنْجُمُ ...

\* \* \*

لُبْنَانُ يَا بَلَدَ السُّدَاجَةِ وَالْوَفَا  
حَلْمٌ . . . وَهَلْ غَيْرُ الطَّفُولَةِ يَحْلُمُ  
هَذَا حَصِيرُكَ وَالْحَبِيبَاتُ الَّتِي  
كَانَتْ غِذَاءَكَ وَاللِّحَافُ الْمُبْتَهَمُ

بيعتا ليشترقا في الكؤوس مدامسة .  
هي - لا روتهم - أنفسنا تسألهم  
لبنان يا بلد السداجة والوفا  
حلهم ... وهل غير الطفولة يحلهم  
كبير الزمان ولا تزال كاميه  
فمسالك تكبير أو لعلك تظنهم  
زمن به تشقي الفضائل أهلها  
الصدق يقنسل والمروءة تعديم

\* \* \*

لبنان شاعرك الذي غاضبتك  
ترك العتاب وقد أتاك يستلم  
صدحك الشادي على مضباتيه  
كم « معبدي » في عوده يتراكم  
هو في صلا حالتيك أنت غرامه  
وعلى صلا حالتيه ذلك المعرّم ...

\* \* \*

## الفهرست

	ص
المقدمة	٥
احمد شوقي	٢٣
أحمد زكي ابو شادي	١٣٥
بشارة الخوري	٢٣٥



# أحمد شوقي

ص	نماذج من شعره	ص
٣٥		شوقي في سطور
٣٧		سيرته - خصائصه الفنية
٦٠		المنفى والأندلسيات
٦٥		بعد المنفى
٦٩		مسرحيات شوقي وقصصه
٧٥		شوقي والنقاد
٨٣	أندلسية	
٨٦	نكبة دمشق	
٩٠	الرحلة الى الأندلس	
٩٨	صقر قریش	
١٠٩	في الغزل	
١١٢	زحمة	
١١٤	رثاء حافظ إبراهيم	
١١٨	رثاء مصطفى كامل	
١٢٢	قوت عنخ آمون	
١٣٣	الثعلب والديك	
١٣٤	سليمان والهدهد	



# أحمد زكي أبو شادي

ص	نماذج من شعره	ص	تمهيد
١٨٠	القطعة القيمة	١٣٧	سيرته
١٨١	وحي المطر - الساعة	١٤٠	بيئته الخاصة
١٨٢	عرس الماتم	١٤٤	منابع ثقافته
١٨٣	لفتات الغريب	١٤٨	عصره -
١٨٤	ذكرى الحب الاول	١٥٣	الناحية السياسية والاجتماعية
١٨٥	إلى أمير الشعر أحمد شوقي	١٥٦	التيارات الأدبية والفكرية
١٨٧	الحريف في جلوان	١٥٩	خصائصه الفنية
١٩٢	المجهر، رفيقي الكشاف	١٦٢	آراؤه في التجديد
١٩٤	أقصى الظنون	١٦٨	أغراض شعره
١٩٥	عيد العمال	١٧٢	القيمة الحقيقية لشعره
١٩٧	فتاة الريف	١٧٣	رائد تيار أبولو
١٩٨	مذهبي		
٢٠٠	الوطنية والانسانية		
٢٠١	قبلة الجمال		
٢٠٢	الشاعر المجنون - المثلوم		
٢٠٣	ظلي		

<u>ص</u>			<u>ص</u>
٢٢١	في المنفى	عظمة النفس	٢٠٤
٢٢٢	لعبة ابنتي	الشاعر الانساني	٢٠٥
٢٢٣	حزن الفجر	عيد الربيع	٢٠٦
٢٢٤	الشمس الغربية	المجد الشخصي وعظمة الفن	٢٠٧
٢٢٥	النظر الجريء	الفردوس	٢٠٧
٢٢٦	الاشعة الجراء	المرآة	٢٠٩
٢٢٢	الاطيار والبراعم	أشعة الظلام	٢١٠
٢٢٧	تحطيم الذرة	التجدد	٢١١
٢٢٨	عودة الراعي - حلم الفد	غليون الشاعر	٢١٢
٢٢٩	حداد القطن	فلسطين الثائرة	٢١٣
٢٣٠	الالوهة والكون	قيثاري - الصبا الدائم	٢١٤
٢٣٠	الأمواج	بجر السماء	٢١٥
٢٣٢	مآل الانسانية	يوم مروع	٢١٧
٢٣٢	يوم العمل	اللمفة الخالدة	٢١٨
٢٣٣	وطني الاول	رثاء الجمال	٢١٩



# بشارة الخوري

## الأخطىل الصغىر

ص			ص
٢٨٥	سوف وجراح	حياته	٢٣٧
٢٨٦	الصبا والجمال	تهيد	٢٣٩
٢٨٧	من قصيدة الفردوسي	بيئته ومحيطه	٢٤٠
٢٨٩	الى امرأة	الجزو الشعري المحيط به	٢٤١
٢٩١	الفقراء « ١٩١٤ »	انطلاقه وتطور شعره	٢٤٣
٢٩٢	حكمة الدهر	شاعر الغزل - اهل الغيت	٢٤٥
٢٩٣	رثاء شوقي	بين الشعر والصحافة	٢٤٦
٢٩٤	من قصيدة المتنبي	لماذا الاخطىل الصغىر ؟	٢٤٨
٢٩٦	من قصيدة عمر ونعم	مراحل شعره	٢٤٨
٢٩٧	بلغوها	شعره الوجداني العاطفي	٢٥٠
٢٩٨	نياشين	ترجماته	٢٥٢
٢٩٩	يا مجد يا جنون	شعره الاجتماعي	٢٦٣
٣٠٠	رثاء سعد زغلول	شعر الاحداث الوطنية	٢٧٠
٣٠١	تراتيل المغيب	نماذج من شعره	
٣٠٣	مرحبا مضر	وردة من دمناء	٢٧٩
٣٠٤	بردى والنيل	أيها الغائب	٢٨٠
٣٠٥	عروة وغفراء	أبو العلاء المعري	٢٨١
٣١٠	المسلول	أرق الحسن	٢٨٢
٣١٥	سلى الكورانية	يا صارف الكأس	٢٨٣
٣١٩	لبنان ! عيد ما أرى	المهاجر	٢٨٤

$v \cdot |r| \dots$



منزطاع هذا الفرق، بزرك السحاو كسيرة في  
عالم الستر، وروى الصداؤها وقويت طما  
طبول الرعاية، فغلبت الجليله والنضوضاء  
على صوت البعير فاختفت همسه وتحرمت ...  
فماذا يعنى ذلك ان تقبح للستر ابرامه  
وتبائع عليها؟

والذي يعنى انك جعلت الستر رديفًا  
للجاء ... ان نطقه بغير صوته، وان تقبسه  
بغير عيانه، وان تجعله بوقا للحمايس !! ...  
بل ان تجد البيت عر هوني فارتما،  
ومحلتك ليست من هذا العالم ...

من المقدمة

---

منشورات المكتب التجارى - بيروت

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)